



كاترين بوردن

# ليل الصلب المغفوف

ترجمة: مأمون الزائدي

مكتبة ميزوبوتاميا

@Mesopotamia1972

رواية أثرت على جورج أرويل  
الرواية التي أثرت على جورج أرويل

وصف جون كلوت بيل الصليب المعقوف بأنها "علم التشريح النسوى اللادع للحرب، التمييز على أساس الجنس والسلطة" وتعتبر هذه الرواية من أهم ما أنتج الأدب الكلاسيكي من أدب مستقبلي يقول عنها آدم روبرتس إنها نوع من التكهن النسوى الذي تقدم نقدا صحيحا للفاشية

نشرت هذه الرواية في العام 1937، بالاسم المستعار "موراي قسطنطين إلا أنه لم يكشف إلا في العام 1980 عن اسم الكاتبة الحقيقية كاثرين بورديكين التي توقيت في العام 1963. والفائدة الرئيسية من هذا العمل الأدبي العظيم أن بورديكين كانت تحكى قصة مستقبلية عن أوروبا التي ستتشكل بعد سبعة قرون من تحقيق هتلر والنازية نصرهما الكامل. فتبدأ الرواية مع أحد الفرسان حيث يدخل "كنيسة هتلر المقدسة"، بينما ينشد المؤمنون الغناء بحمده ويسمونه إله الرعد. تصور الرواية هذا القدر الكابوسي على كل أوربا لو أن النازية قد انتصرت بالرغم من أنها، أي هذه الرواية كتبت قبل عامين من غزو هتلر لبولونيا، وقبل تشبّث الحرب العالمية الثانية أيضا. ومن الواضح أن بورديكين كانت تتبنّى بما ستؤول إليه سياسات هتلر وإيديولوجيته. والتحذير من مخاطر الفكر النازي. ومن اللافت أن هذا الكتاب قد اختير في العام 1940 من قبل مجموعة من اليساريين، بوصفه رواية مستوحاة من نقد فكرة هتلر النازية بخلق رأيـخ الألـف عـام. وقد وصفها المؤرخ الأدبي آندي كروفـت، بأنـها أكثر الروايات المناهضة للفاشية أصالة. وتعبيرـا عن الواقع المرير. فبطل الرواية ألفـيد، وهو انـكليـزي يعـمل مـيكـانيـكيـا يـقوم بـحجـج مـقـدـسـ إلى ألمـانيا، ورؤـية المـواقع الـهـتلـريـة، بـعـد أن تـحـول النـازـية إـلـى ما يـشـبه الدـين الـذـي يـحـكم العـالـم.

ISBN: 978-1-7732249-2-3



9 781773 224623

الـكاـ

ALKA BOOKS



كاترين بوردن روائية بريطانية ولدت في سبوندن من مقاطعة دريشاير في العام 1896 وتوفيت في العام 1963، كتبت روايات عديدة في أدب الفنتازيا والأدب النسوى، وكتبها تعتمد التأمل العميق في المسائل الروحية والاجتماعية والنفسية. كتبت في بداية حياتها مجموعة من الروايات أنا كالكوهن في العام 1922، الأمل المعقول في العام 1924، الرغبة المتمردة 1929، طرق هادئة في العام 1930، الرجل المتكبر 1934، الشيطان الشيطان المسكين في العام 1934، وقد أصدرت كتاباً نقدياً أيضاً عن الجندر، وفي العام 1937 أصدرت روايتها المهمة ليل الصليب المعقوف تحت اسم مستعار هو مورييل قسطنطين. التي أثرت على جميع الروايات التي تناولت العالم الشمولي من بينها رواية 1984 لجورج أورويل. في العام 1940 أصدرت روايتها فينيوس في العقرب.

کاترین بوردن

ليلة الصليب المعقوف

ترجمة مأمون الزائدي

دار الکا

Katharine Burdekin

Sawatika night

*Original text copy right © Feminist Press 1985*

*Arabic translation and publishing © Alca Books 2017*

ISBN: 978 1 77322 492 3

ليلة الصليب المعقوف

کاترین بوردن

ترجمة: مأمون الزائدي

الطبعة الأولى: ٢٠١٧

## تصميم الغلاف والإخراج الفني: ألكا

توزيع: دار الرافدين

LAMCA

ALCA BOOKS

*Chaussée de Haecht 57, Saint Josse 1210*

## *Bruxelles/La Belgique*

[www.daralca.com](http://www.daralca.com)

[info@daralca.com](mailto:info@daralca.com)

## الفصل الأول

استدار الفارس نحو مُصلّى هتلر المقدس، الذي كان يقع في الذراع الغربي للصلب المعقوف، من موقع هذه الكنيسة. ومع أوتار الأرغن الجاهزة بصوت عالٍ ومؤثِّر، والواقع المديد للطبول المقدسة، بدأت طقوس غناء العقيدة. كان هيرمن جالساً في كنيسة غوببلز في الذراع الشمالي، حيث يمكنه أن يشاهد بسهولة الفتى الوسيم ذا الشعر الحريري الطويل الناعم، الذي كان يغنى المعزوفات المنفردة. كان عليه أن يتلفّت نحو الغرب عندما استدار الفارس، ولم يعد يستطيع أن يرى الصبي إلا باختلاسة غير مباشرة. ورغم أن التحديق في الشبان الوسيمين في الكنيسة لم يكن معيباً عادةً، إلا أن أي وضع خلال غناء العقيدة، باستثناء الانتباه والنظر إلى الإمام، كان يعتبر تدنيساً لها. غنى هيرمن مع البقية بصوت ذكوري جهوري ورائع، لكن كلمات العقيدة لم تترك أي أثر في أذنه أو عقله. كانت مألوفة جداً. فهو لم يكن غير متدين. وكان حضوره الحفل السنوي الكبير المثير للحماسة، والذي يتم استبعاد الجميع منه باستثناء الهاتلريين الألمان، يثيره إلى حد الهيجان. ولكن هذا، وباعتباره مجرد طقس للعبادة الشهرية المعتادة، فقد كان عائلياً جداً ومملاً ليثير فيه أية حماسة، وخصوصاً إذا كان المرء مشغول البال بشيء آخر. لم يسبق له أن رأى مغني السولو الجديد، الذي كان له وجه ملاك وبطل يافع، شديد البراءة، ذو بشرة ناعمة جداً ومتورّدة، إلى

جانب صوت بنقاء ونبرة سماويتين.

أؤمن، غنى جميع الرجال والفتىان والفارس في انسجام تام

بالرب الراعد، الذي خلق هذه الأرض المتجسدة التي يسلكها الرجال  
بأجسادهم الفانية، وبجناه حيث كل الأبطال، وابنه أدولف هتلر المقدس،  
الرجل الوحيد، الذي لم ينجب، ولم يولد من امرأة، ولكنه انبثق!.. (دوى  
صوت الأرغن والطبول عالياً، ورفعت جميع الأيدي اليمنى كتحية تقرّ بأنها  
كانت معجزة هائلة).

..من رأس أبيه، هو الكامل، الابن- الذكر الظاهر، من نحن، الفانون  
والمدنسون بالحمل والولادة، يجب أن نعبده إلى الأبد ونمجده. يحيا هتلر.

الذي لحاجتنا، لحاجة ألمانيا، ولحاجة العالم، ومن أجلنا، من أجل ألمانيا،  
ومن أجل العالم، نزل من الجبل، الجبل المقدس، الجبل الألماني، الجبل  
الذي لا اسم له، ليمشي أمامنا كالرجل الذي هو الرب، ليقودنا، لينقذنا،  
لأننا كنا في الظلمة، في الإثم والفوضى والنجاسة، مطوقين بالشياطين،  
لينين، ستالين، روم<sup>(1)</sup>، وكارل بارت<sup>(2)</sup>، أُس الشياطين الأربعة، الذين وضع  
رقباهم تحت كعبه المقدس، وسحقهم وحولهم إلى غبار (بصرامة لطيفة  
بالكاد يمكن أن تسمى بالصرامة، ز مجرت كل الأصوات الرجالية باقي

(1) آرنست يوليوس روم (1887-1934) كان قائداً ألمانياً وعضوًا مبكراً في الحزب النازي وقبله في حزب العمال الألماني كان صديقاً مقرباً وحليفاً لهتلر، وأسس معه كتيبة العاصفة، وصار قائدها لاحقاً، وهي الجناح العسكري للحزب النازي. في 1934 رأى فيه معارضًا محتملاً فأعدمه في ليلة السكاكين الطويلة، وتسمى أيضاً عملية الطائر الطنان، وهي عملية تطهير

(2) كارل بارت (1886 - 1968) مصلح وعالم لاهوت سويسري. كان معارضًا شديداً لهتلر والحزب النازي وضد استيلاء هتلر على الكنيسة وإدارتها من قبل نظامه.

الكلمات القديمة).

الذي، عندما أنجز خلاصنا، مضى صوب الغابة، الغابة المقدسة، الغابة الألمانية، التي لا اسم لها؛ حيث توحد بأبيه، الرب الراعد، حتى لا نتمكن نحن البشر، الفنانين، والنجسين منذ الولادة، من أن نرى وجهه ثانية.

(صارت الموسيقى خفيفة، الأصوات المنسقة على وقع البيانو ترك أثراً حلواً معبراً، بعد عزف مشترك طويل).

وأؤمن أنه عندما يتم إنجاز كل شيء، ويُدرج آخر رجل وثنى في جيشه المقدس، فإن أدولف هتلر إليها سوف يأتي مرة أخرى بمجده الحربي على صوت المدافع والطائرات، على صوت الأبواق والطبول.

وأؤمن بالتوأم أُسُّ الأبطال، غوريغ<sup>(1)</sup> وغوبلز<sup>(2)</sup>، اللذين كانا يستحقان أن يكونا صديقين مقربين له.

وأؤمن بالفخر، بالشجاعة، بالعنف، والوحشية، وبإراقة الدماء، بالقسوة، وبجميع فضائل البسالة والبطولة الأخرى. يحيا هتلر.

التفت الفارس مرة أخرى. فاستدار هيرمن وجلس بهدوء ليستأنف تأمله لمغني الكورال ذهبي الشعر. كان صبياً أكبر من أن يكون محظوظاً بصوت طفولته. لا بد أنه تجاوز الرابعة عشر. ولم يكن أي أثر لزغب ذهبي قد ظهر بعد على خديه التفاحيين. كان له صوت رائع. جيد بما فيه الكفاية لكنيسة

(1) هيرمن غوريغ: قائد عسكري ألماني، رئيس جهاز الغستابو، قائد سلاح الطيران، سياسي نازي، نائب المستشار الألماني هتلر

(2) باول يوزف غوبلز: وزير الدعاية السياسية في عهد أدولف هتلر وألمانيا النازية، وأحد أبرز أفراد حكومة هتلر لقدراته الخطابية، وتولى منصب مستشار ألمانيا لمدة يوم واحد في 30 أبريل 1945 عقب انتحار هتلر. هو مؤسس فن الدعاية السياسية بلونها الرمادي.

ميونيخ، نعم، جيد بما يكفي لكنيسة في المدينة المقدسة، حيث كان المرآب المقدس، الذي فيه الطائرة المباركة التي كانت موجهة نحوها جميع كنائس الصليب المعقوف في هتلرdom، بحيث كانت ذراع هتلر على خط مباشر مع الطائرة في ميونيخ، رغم آلاف الأميال التي تفصل بين النموذج الصغير في كنيسة هتلر والشيء نفسه في أي مكان آخر.

فَكُّرْ هيرمن، "ما الذي يفعله الصبي هنا؟ ربما كان يقضي العطلة. إنه ليس ابنًا لفارس. إنه مجرد نازي. يمكنني التعرف إليه من دون التعرض لخطر التوبيخ. لا بد أن له شعبية، وأنه مدلل إلى حد ما".

الفارس العجوز، وبعد بعض سعالات (كان موشكًا على الإصابة بالتهاب الشعب الهوائية)، أخذ يتلو الآن بألمانيته المفخمة الممتعة القواعد الأساسية الراسخة للمجتمع الهتلري. بالكاد استمع إليه هيرمن. فقد كان يحفظها عن ظهر قلب، ومنذ أن كان في التاسعة.

لأن المرأة أرقى من الدودة،

كذلك الرجل أرقى من المرأة.

ولأن المرأة أرقى من الدودة،

كذلك الدودة أرقى من المسيحي.

وهنا وصل إلى التحذير القديم الممل من تدنيس شرف العِرق. "ما لا يرغب أي رجل أبداً أن يكونه" فَكُّرْ هيرمن، مستمعاً بنصف أذن.

لذا يا رفاق، الشيء الأكثر سفالاً

الأحط والأقذر،

الذي يزحف على وجه الأرض

هو المرأة المسيحية.

مجرد لمسها هو أقصى تدنيس

يطال الرجل الألماني.

والتحدث إليها فقط يعتبر عاراً.

إنهم جميعاً منبودون، الرجل، المرأة والطفل.

أبنائي، لا تنسوا ذلك أبداً!

تحت طائلة الموت أو ألم التعذيب

حتى لو يُقصد دمكم.

يعيا هتلر.

بصوته الأجش الممتع والعجوز، قدم الفارس هذا التحذير الرسمي

للغاية، وتابع باقي القواعد.

كما هو الرجل أرقى من المرأة،

كذلك النازي أرقى من أي هتلري أجنبي

ولأن النازي هو أرقى من أي هتلري أجنبي.

كذلك هو الفارس أرقى من النازي.

وكما أن الفارس هو أرقى من النازي،

كذلك هو الفوهرر<sup>(1)</sup> (من يباركه هتلر)

---

(1) القائد باللغة الألمانية وكانت تطلق على هتلر

أرقى من كل الفرسان،  
وأرقى حتى من دائرة العشرة المقربين.  
وكما أن الفوهرر هو أرقى من كل الفرسان،  
فكذلك هو الرب، ربنا هتلر، أرقى من الفوهرر.  
ولكن بالنسبة إلى الرب الراعد وربنا هتلر  
فلا أحد فيهما متفوق على الآخر،  
لا أحد يأمر،  
ولا أحد يطيع.  
وهما متساويان في هذا السر المقدس.  
هما الرب.  
يحييا هتلر.

سعل الفارس، وحيّا الجماعة، ورفع سلسلة الحديد المقدسة التي لا يمكن  
لرجل من غير سلالة الفرسان أن يحركها، وصعد الذراع الهتلري، وانعطف  
بحدة نحو اليسار، واختفى في الكنيسة. وانتهت بذلك طقوس العبادة.

تحرك الرجال والفتيان للخروج من الكنيسة بطريقة منتظمة مدربة.  
تمنى هيرمن فجأة لو كانت العادة الخروج على عجل بتدافع وتزاحم. كان  
ذلك الفتى على وشك الخروج قبله بوقت طويل، وسيختفي، أو سيكون  
محاطاً برجال آخرين. يا للشعر الواثل إلى وسطه تقريباً! هيرمن يريد أن  
يُضيع يديه فيه، ويقبضه قبضاً قوياً، ساحباً رأس الصبي إلى الوراء. ليس كي  
يؤذيه كثيراً، بل ليجعله ينتبه إليه فقط.

صرخ شخص ما بالقرب من الباب آمراً:

"هيا، يا رجال. النسوة سياتين إلى الكنيسة للعبادة. عجلوا. لا تتوانوا هناك".

وكان هيرمن على استعداد تام للمغادرة. فلم يكن هو، حتى الآن على الأقل، راغباً في معرفة أي شيء عن عبادة المرأة. كن يُسكن مرة كل ثلاثة أشهر كالماشية ويجمعون في الكنيسة: الفتيات الصغيرات، الأطفال، النسوة الحوامل، والعجائز الشمطاوات، وكل أنشى يمكنها المشي والوقوف، باستثناء القليلات اللواتي تم ترکهن في مأوى النساء لرعاية الأطفال الرضع وهم بين أذرعهن. لم يُسمح لهن بالتحرك في الكنيسة أبعد من ذراعي جورينغ وغوبزلز؛ لم يكن يسمح لهن بالدخول حتى إلى تلك المصليات المخصصة للأبطال الأقل قداسةً. كان عليهن البقاء محشوراتٍ في نصف جسم الصليب المعقوف، مع عدم السماح لهن بالجلوس. انشغل نازيون بتنظيف الكراسي التي استخدمها الرجال. كانت أردادف النسوة تعد أكثر تدنيساً للأماكن المقدسة من أقدامهن الصغيرة، وكان عليهن الوقوف في حين يحثهن الفارس على التواضع والطاعة العميماء والخضوع للرجل، مذكراً إياهن بالنعمة الكبرى للرب هتلر في تركهن حتى الآن يحملن أبناء الرجال، وأن يكون لهن هذا المبلغ من الاتصال بالسر المقدس للذكرة. في حين يهددهن بأبشع العقوبات إن كان لهن أي تماسٍ مع المنبوذين من الذكور، أو الرجال المسيحيين، وبعقوبة أخف إن قمن عبر الحديث أو البكاء، أو بأي طريقة أخرى، بمخالفة ذلك الإجراء، ذلك القانون الضروري جداً للمجتمع الهايلي، طقسُ انتزاع الطفل - الذكر.

كان هيرمن، وهو شاب أربعين في الثالثة عشرة، قد اختبا ذات مرة في الكنيسة خلال طقوس عبادة النساء، مدفوعاً بالفضول، وبشعور لا نازي

غريب من الاستيء من الإقصاء، حتى من شيء منحط جداً ومثير للازدراء. كان سيعاقب بشدة لو تم القبض عليه. وسيفضح علناً ويعرض للضرب حتى يفقد وعيه. ولم يُضبط، لكن فعله الآثم جلب عقوبته الخاصة. تعرض لرعب شديد، من مجرد رؤية هذا العدد الكبير من النساء جميعاً في قطيع ساكن وعلى مقربة منه، وكذلك من رؤيتها يمشين على طول الطريق من المأوى إلى الكنيسة برؤوسهن الحليقة القبيحة الصغيرة وأجسادهن المنتفخة الناعمة والكريهة يرتدين سراويل وسترات نسائية ضيقة. وأووه، من أولئك النساء الحوامل وبشاعتهن، والعجائز الشمطاوات النحيلات برقباهن التي تشبه رقاب الدجاج الذي يطرح ريشه، والفتيات الصغيرات الدميمات بأنوفهن السائلة، وكيف كن يبكيين كلهن! كن يصرخن مثل جروات، مثل قطيطات، بصرخات حادة رقيقة وتنهدات. لسن آدميات. بالطبع ليس للنسوة أرواح، وبالتالي فهن لسن آدميات. لكن هيرمن فَّرَّ بعدها، عندما أفسح رعبه الطفولي الطريق لغضب صبياني لا معنى له، أنهن قد يحاولن أن يكن مثل البشر.

بكث الفتيات الصغيرات لأنهن كن خائفات. فهن لم يحببن الذهاب إلى الكنيسة. كان عذاباً فصلياً وكن ينسينه في الأسابيع الطويلة الفاصلة، ثم يستولي عليهن مرة أخرى. كن فزعات من الفارس، رغم أن ذلك الفارس بعينه كان لطيفاً بما فيه الكفاية. ولم يكن يوبخهن أو يقتسمهن كما يفعل بعض الفرسان في بعض الكنائس الأخرى. لكن كانت له تلك السلطة عليهن، أكثر من النازيين الذين يجب أن يقدمن لهم تلك الطاعة العميماء. قد يأمر الفارس بضربيهن، أو قتلهم. ثم ودائماً تقريباً ما تكون أمهاهاتهن يبكيين في هذه العبادة الفصلية، وذلك ما يجعل من البنات أسوأ. ربما أخذ للتو من إحداهن ابنها الصغير بعيداً عنها وقد بلغ ثمانية عشر شهراً،

يجلبه الأب بالطقس الاحتفالي المعتاد ("أيتها المرأة، أين هو ابني؟" "هنا يا سيدى، ها هو ابنك، أنا، عديمة النفع، من أحضرته -")، وأين هو الآن؟.. يداه الناعمتان بين أيدي الرجال الخشنة، الرجال المهرة والرجال المدربين، تحممه وتطعمه وتربيت عليه، وتربيته على الرجولة. لم تكن النسوة بالطبع يصلحن ل التربية الأطفال الذكور. وبطبيعة الحال كان من غير اللائق للرجل أن يكون قادرًا على الإشارة إلى امرأة وأن يقول "تلك هي والدتي" .. بالطبع لا بد من أخذهم بعيدًا عننا، ولا يعودوا يروننا أبدًا وينسوننا تماماً. كل شيء كما ينبغي أن يكون، إنها إرادة ربنا، إنها إرادة الرجال، بل إنها إرادتنا.

ولكن، رغم أن المرأة قد تمضي طقس الانتزاع كله بلا بكاء أو أنين، حتى أنها قد تنطق الردود الرسمية بصوت هادئ، ورغم أنها قد تمنع عن البكاء بعد ذلك، إلا أنها، عندما تصل الكنيسة في المرة القادمة، فستكون على يقين من أنها ستنهار. كلهن معاً، تنخرط النسوة في نوع من الحزن الشامل. تبكي الواحدة على الأخرى، ومن لم تعاني من الانتزاع منذ سنوات، ستتذكر ألماها القديم وتفتح الحداد بعوبل حاد كحيوانة ثُكلت مؤخرًا. وكلما منعهن الفارس من ذلك، ازداد بكاؤهن وعوبلهن. ولا يمكن للفرسان الصارخين أن يوقفوا النساء عن البكاء في عبادتهن. لا شيء يمكن أن يسكتهن، إلا قتلهن جمِيعاً.

طلع الفارس من الكنيسة الهتلرية، ووقف يراقب النساء والفتيات يُسكن من قبل النازيين. كن قد بدأن يشهقن بالفعل، وبعض الصغيرات، على مرأى منه، وقبل أن يفتح فمه، شرعن في الصراح مرتعبات. إدراكهن وقد شابه الخوف الطبيعي، لم يمكنهن أن يرينه أن وجهه كان لطيفاً ونبيلاً، مع بعض القسوة في أنفه الكبير المعقوق الذي ينافق جبهته العريضة الهدئة ونظرته الوديعة المتزنة. لم يستطعن رؤية ذلك في ملامحه، وأنه بشعره

الأبيض تقريباً ولحيته، كان وسيماً أكثر منه عسكرياً في سترته الزرقاء بلون السماء بصليب فضي معقوف على ياقتها البيضاء، يلبس بنطاله الخيشي الأسود الكامل، وعبأة الفارس السوداء المبطنة بالأزرق، ترفل برشاقة من كتفيه.

صارت جميع النسوة في الداخل. خرج النازي، وصفع الباب الكبير وراءه، وأقفله حسب العادة. سببت الصفعة صراخاً أكثر صخبًا. انفجرت امرأة بنشيج منخفض عميق. تذكّر الفارس قولاً يناسب إلى الرب هتلر: "أيها الألمان، لتقسوا قلوبكم. لتقسوا قلوبكم على كل شيء، ولكن قبل كل شيء لتقسوا على دموع المرأة. ليس للمرأة روح، وبالتالي لا يمكن أن يعتريها أي حزن. دموعها كذب وخداع".

لوى الفارس شفته تحت شاربه، ناظراً في رعيته ومفكراً: "أعتقد أن شخصاً آخر قال ذلك. أيتها الأبقار المسكينة، سيجيئكن ما ستبيكينه أكثر وأكثر".

لأن الفارس عرف، ما لم تكن النسوة أنفسهن يعرفنه، وهو أنه في جميع أنحاء ألمانيا، في جميع أنحاء الإمبراطورية الألمانية المقدسة في هذا العام 720 للرب هتلر، قد ولد المزيد والمزيد من الأولاد الذكور. وكان فقداناً تدريجياً للتوازن، بطبيعة الحال، ويسبب الآن عدم ارتياح شديد. لم نصل بعد نهاية كل شيء. هناك الملايين من الوثنيين اليابانيين لم يتركوا دينهم، والملايين من الأعراق تحت نير اليابانيين والذين لم تتح لهم بعد فرصة مناسبة ليروا النور. وكذلك لا يزال بعد معرفة، إن كانت النسوة سيوقفن إكثار أنفسهن، وكيف يمكن لهتلرdom أن تستمر في الوجود؟ بعد مئات السنين من الخضوع التام في ظل الدين الذي كان ذكورياً تماماً، وعبادة الرجل الذي بدون أم، الرجل الوحيد، بدا الأمر وكأن النساء قد يئسن أخيراً.

لم يعدن يولَّدُن الآن. قد يكون هناك سبب مادي. ولكن لا يمكن لأحد معرفته. هذا الفارس العجوز تحديداً، الذي كان يعرف الكثير، أكثر من أولئك الذين في الحلقة المُقرَّبة، وأكثر حتى من الفوهرر نفسه، غرق هذا العجوز الألماني رمادي اللحية لطيف الملامح، في عمق شبك إلحادي منذ وفاة أبنائه الثلاثة لم يكن معروفاً لسواه. نظر إلى النسوة المصليات بشعور بالشفقة رحيم وغير ألماني.

"كل هذا خطأ"، كان يفكر "هناك أشياء لا يستطيع الرجال القيام بها، لا يستمرون طويلاً في نفس الطريقة الصارمة. ليس لخمسين سنة من دون أي تغيير أو إراحة. يا للماشية المسكينة. يا لأجسادهن الضعيفة القبيحة البائسة! لا شيء سوى الأولاد. السبب الوحيد لوجود المرأة، هو حمل الأولاد ورعايتهم لثمانية عشر شهراً. ولكن ماذا لو مُحيت النساء من الوجود على أيديهن؟ سيتخلص العالم من قبح لا يطاق".

لأن الفارس عرف، ما لا يعرفه أي رجل آخر، وما لم تحلم به أية امرأة مهما أجهدت خيالها البسيط الغائم، أن النساء كن ذات يوم جميلات ومرغوبات كما الأولاد، وأنهن كن يوماً محبوبات. ما هذا التجديف، كان يفكّر، لا وياً شفتيه قليلاً. أن تحب امرأة، في العقل الألماني، هو مساواً لمحبة دودة، أو مسيحي. النسوة مثل هؤلاء الصلعاءات، بفروة الرأس الحليقة المجردة، وأشكالهن المؤنثة البائسة غير المنتظمة التي تبديها ملابسهن الضيقة المفتقة - تلك الطريقة الخاضعة الكئيبة التي ينحنين بها في المشي والوقوف، رؤوسهن منخفضة، تبرز بطونهن والأرداف منتفرخة للخلف. محرومات من النعمة، بلا جمال، بلا اعتدال، فقد كانت كل تلك الصفات ذكورية. وإذا تجرأت المرأة على الوقوف كالرجل فستتعرض للضرب.

"أتعجب" فـ"فكَّر" الفارس العجوز: "لم نجعلهن يمشين على أربع كل

الوقت، ولم نستخرج دماغ كل طفلة- أنتي بعمر ستة أشهر. حسناً، لقد هزمنا. لقد دمرتنا عن طريق القيام بما نطلب منهن، والآن ما لم يقذف الراعد بجمهرة من الألمان من رأسه، فنحن على وشك نهاية شائنة". بهذا الكفر، البوح، انتهى الفارس من تأمله الخاص.

"هدوء... يا نساء"، بدأ بالكلام، مقطباً وجهه لهن كمسألة شكلية. "لا تزعجن الهواء المقدس في هذا المكان الذكوري المعظم بصخبكن المؤنث وعوينل肯. ما الذي تكونه؟ ألم ينعم عليكن دون كل الحيوانات المؤنثة في الوجود بالسماح لكن أن تكن أمهات الرجال؟" وتوقف هنيهة. وفي همس متفرق كليب خافت جاءه الرد: "نعم يا سيدي. نعم يا سيدي. لقد أنعم رب علينا" جاءت بعده موجة جديدة من البكاء وقد تساءلت النسوة أين ذهب الرجال الذين أحضروهن. إنه في الثانية عشرة الآن.. هو في الخامسة والعشرين ورودي في الواحدة والعشرين... لو كان هانز لا يزال حياً فسيكون في السبعين هذا الصيف، بلحية بيضاء كالفارس. طرأ ذلك الفكرة الأخيرة على ذهن عجوز طاعنة جداً في السن مثيرة للاشمئاز بشكل لا يصدق، واهنة تماماً بحيث لا تستطيع البكاء.

واصل الفارس عظه. فقد كان من الضروري دوماً فعل شيء نفسه. هناك عدد قليل من الأشياء التي يمكن للمرء أن يتحدث عنها إلى النساء. كن بالكاد أكثر تفهماً من كلب ذكي، وإلى جانب ذلك، كان كل شيء تقريباً مقدساً جداً بالنسبة إليهن كي يدنسنه بأسماعهن. وقد حظر عليهن أي شيء له علاقة بحياة الرجال. وبطبيعة الحال كان من المستحيل أن تقرأ لهن، من كتاب هتلر المقدس، قصص المآثر البطولية للرب وأصدقائه. مثل هذه الأمور، حتى من مسافة بعيدة ومن زاوية أخرى، كانت مقدسة جداً لتقابل في آذان نجسة. كان شيء الأكثر أهمية هو أن يُرسخ في أذهان الصغيرات

منهن ألا يقاومن تعرضهن للاغتصاب. من الطبيعي أن الفارس لم يطلق عليه هذا الاسم، فلم تكن هناك مثل هذه الجريمة التي تعرف بالاغتصاب إلا في ما يتعلق بالأطفال القصر. وهذا، كما يعرف الفارس، كان أقل، وأقل بكثير من أن يُجرّم لصالح الفتيات الصغيرات منه من أجل جودة العرق. فالفتيات الصغيرات والمرأهقات قد يحملن بأطفال سقيمين ومعتلين كنتيجة للاغتصاب. أما بعد السادسة عشرة، وقد نما الجسد جيداً وصار نسويأً، فإنهن سيتجاوزن هذا الخطر، الاغتصاب يعني الإرادة والاختيار، ورغبة الرفض من جانب المرأة، جريمة لا يمكن أن تكون هناك جريمة مثلها".

"ليس لِكُنْ أَنْ تخترن هذَا الرَّجُل أَوْ ذاك" قال لهن "أَوْ أَنْ تقولي لِسْت مُسْتَعِدَّة" أو "لِسْت مُرْتَاحَة، أَوْ أَنْ تنتابك أَيْة نِزُوهَة نِسَائِيَّة بِمُعَارِضَة إِرَادَة الرَّجُل. ذَلِك يَعُود لِلرَّجُل أَنْ يَقُول، إِذَا رَغَب "هَذِهِ الْمَرْأَة لِي حَتَّى أَمْلَ مِنْهَا". وَإِذَا رَغَبَهَا بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَر، فَلَيْسَ لَهَا مُعَارِضَتِه. فَهُوَ رَجُل؛ لِأَنْ مُعَارِضَة الْمَرْأَة لِأَيِّ رَجُل (بِاستِثنَاءِ الْمُسِيْحِيِّ) عَلَى أَيِّ شَيْءٍ هُوَ كُفُرٌ وَمِنْ أَعْظَمِ الْآثَامِ وَأَعْلَاهَا دَرْجَة".

سعل الفارس، وتوقف، لافتًا النظر، كي يسمح لهن أن يستوعبن ما قاله. "لَهَا أَنْ تَخْبِر الرَّجُل الَّذِي يَمْتَلِكُهَا مُؤْقَتاً مَا حَدَثُ، وَهُنَا تَنْتَهِي مَسْؤُلِيَّتِهَا. وَالبَاقِي مِنْ شَانِ الرَّجَال، وَلَيْسَ يُسْمَحُ تَحْتَ أَيِّ ظَرْفٍ أَنْ تَتَداوِلَهُ الْإِنَاث. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْكُنْ أَيْتَهَا الْفَتِيَّات"، وَسُلْطَ نَظَرَتِهِ عَلَى اللَّوَاتِي فِي السَّادِسَةِ وَالسَّابِعَةِ عَشَرَةِ مِنْ عَمْرِهِنْ "عَلَيْكُنْ الْخُضُوعُ وَالتَّواضُعُ وَالْفَرَحُ بِتَنْفِيذِ مُشَيَّئَةِ الرَّجُل، فَمُهْمَا خَطَرَ فِي عَقْوَلَكُنْ الْفَارَغَةُ فِي أَيَّةِ لَحْةٍ، إِنَّهَا دَائِمًا إِرَادَتِكُنْ أَيْضًا، فَلَتَكُنْ خَصْبَاتٍ وَتَنْجِبَنِ فَتِيَّاتٍ قَوِيَّاتٍ".

توقفت النسوة عن البكاء على الفور، باستثناء ثلاثة أو أربعة كن غير منصات. وفعلن جميعاً أفواههن. لقد كانت صدمة أن يقال لهن أن يضعن فتيات قويات مساوية لضربة مدوخة على كل رؤوسهن الصغيرة الخشنة والحلقة. لم يستطعن تصديق آذانهن. ولم يتمكن الفارس من التصديق أيضاً. كان قد اعتاد لسنوات عديدة التفكير في شيء وقول شيء آخر؛ كانت حياته كلها نمطاً معقداً من السرية والخداع، بحيث لا يمكنه محاسبة نفسه على ارتكاب مثل هذا الخطأ الأخير القاتل. صحيح أنه من الضروري للنساء أن يحملن المزيد من البناء، صحيح أن كل ألماني من فئة الفرسان المتعلمين كان يؤرقه كابوس انقراض الجنس المقدس، لكنها كانت حقيقة لا يتم التحدث عنها بحرية، ولا تقال أمام النساء على الأقل. كان كل ما يعرفنه أنه في أحياهن النسائية الخاصة تمت ولادة عدد كبير من الشبان الذكور، ولكن هذا الأمر لم يكن عاماً. لو علمت النساء يوماً أن الفرسان، وحتى الفوهرر، قد يرغبون في ولادة الإناث بكميات كبيرة، وأن كل ورقة إحصائية جديدة تشير إلى عدم تناسب معدلات المواليد الذكور مع الإناث بشكل مخيف قد تسببت بتململ ونوبات قلق وأدت إلى عقد اجتماعات سرية لا نهاية لها؛ لو علمت النسوة كل هذا، فما الذي يمكنه منعهن من توليد درجة ما من احترام الذات؟ لو أمكن للمرأة أن تفرح عليناً بولادة طفلة، فإن هتلرdom ستبدأ في الانهيار. بعضهن فعلن، كان يعرف ذلك، وفرحن سراً، فالفتيات على الأقل لا يمكن أن يؤخذن بعيداً عنهن، ولكنهن كن الأكثر انطواءً والأكثر جبناً، ومن النساء الأكثر أمومة حيوانية. ورغم أنهن كن منطويات وخائفات وكالحيوانات، استطاع بعضهن أن ينطويون أكثر من غيرهن، ويتوغلن أكثر في الشعور القليل غير الطبيعي والإنساني الذي يسمح لهن به، وهو أن يكن فخوراتٍ بالطفل الذكر، بحماس لا يبده حتى

ألم فقدانهن له. ولكن مهما كان ما تفكر وتشعر به النسوة لوحدهن، فلم يكن يُسمح في العلن بأي ابتهاج مهما ضُؤل عند ولادة الأنثى. وكان حدثاً مشيناً، وحادثاً مفجعاً قد يحدث بالطبع لأية امرأة ولكنه لا يحدث لأفضل النساء. وأما المرأة التي لا تنجب إلا البنات، فقد كانت أعلى قليلاً فقط من مجرد العباء الذي لا طائل منه على المجتمع الهتلري والميئوس منها مدى الحياة ألا وهي المرأة التي لا تنجب إطلاقاً. "ولكن في الواقع" فكر الفارس، وهو يفتل شاربه ويتحسس لحيته البيضاء تقربياً، وينظر برفق إلى رعيته المذهولة "المرأة التي لها عشر بنات ولم تضع أي وقت مهما كان على محاولة إنجاب ذكور ستعود، في هذه المرحلة، نجاحاً باهراً". ثم أدرك أنه ارتكب خطأً "إنه العمر"، كان يفكر. "أنا أفقد السيطرة. يتمكن المرء من السير متوازناً في العشرين، لكنه سيقع حتماً في السبعين". لم يكن في عجلة من أمره للتغطية على خطئه في الكلمات. كان يعرف أن الصمت مقلق للنساء. لذلك ظل صامتاً، ينظر إليهن، وهن يواصلن فغر أفواههن. ولكنهن في نهاية المطاف، بدأن يتململن غير مرتاحات.

"أهناك ما يزعجكن؟" قال لهن بأدب كما لو كن رجالاً، أو فرساناً. طريقته المهذبة أخافتنهن. فتراجعن بعيداً عنه مثل حقل ذرة في مهب الريح.

"كلا يا سيدى، كلا،" همسن. إحداهن، أكثر جرأة أو ربما أكثر خوفاً هستيرياً من البقية، همست لاهثة: "يا سيدى، كنا نظن أنك قلت...".

"ماذا تعتقدين أني قلت؟" سألها الفارس بتلك الطريقة المهذبة جداً.

حينها عرفن كلهن إلا امرأة واحدة أنهن لم ينصتن. وكن يعتقدن فعلاً، بما هن عليه من الغباء المؤنث المعهود والمرهون، أنه قد قال لهن أن يحملن بنات قويات. وكان ذلك خطأ فادحاً يقودهن إلى الكفر. كان هو قد

قال بالطبع "أبناء".<sup>(1)</sup> كانت الكلمة مثل القرع القوي لجرس هائل. وكان الفارس قد قالها، بقوة، مثل رجل يسحب حبل ذلك الجرس. شعرت النسوة بالذنب قوياً حتى تضرجن خجلاً، كلهن باستثناء واحدة. عاودن البكاء. عاد كل شيء كما كان من قبل. سعل الفارس، واستأنف خطابه عقب ذلك، ثم صرفيهن وهو يشكريهن. وأشار بجرس صغير للنازيين الواقفين في الخارج كي يفتحوا الباب ويسمحوا لهن بالخروج والعودة إلى قفصهن. كان هناك قدر ما من الثرثرة بصوت عال مندهش.

"آخرسن"، قال النازي بصوت خشن. كان هذا الانتظار لوقت عبادة المرأة واجباً مملاً ومهيناً. وبدأ بركل واحدة أو اثنتين منها كما لو كن جروات متعبات، ليس بوحشية، بل بانفعال فقط. جفلت النسوة من طريقه وصرن هادئات للحظة، ثم بدأن مرة أخرى: "كيف أمكننا أن نفكر في ذلك، هل فعلتِ؟ أنا فعلت، ولكنه بالطبع لم يكن كذلك -

أنا كلا، أنا لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه، ولكنني أظن أنه قال ذلك -  
نعم، حسناً- أوه، كيف يمكن لأي شخص أن يفكر في مثل هذا الشيء؟".  
لكن مارتا العجوز، قالت وهي تمشي ببطء شديد على عكازين: "لقد  
قال لكن أن تحملن ببناتِ قويات".

ربما كانت عجوزاً جداً بحيث لا تعد امرأة على الإطلاق، وبالتالي صارت بعيدة عن مشاعر العار والمذلة التي تشعر بها النساء. لم تكن حرة، ولكنها أفلتت ربما بسبب السن من الخضوع النفسي. لم تكن رجلاً، كلا، ولكنها لم تكن امرأة أيضاً، كانت أشبه بشجرة قديمة قبيحة بشكل لا يطاق. ليست بشرأ، وليس أنسى. على أية حال زال عنها التنويم المغناطيسي للفارس.

(1) ابن باللغة الألمانية

ولكن بقية النسوة الأخريات كن يحتقرنها. كانت قبيحة مثلهن لكنهن كن يرينها أقبح. قالت عجوز مقرفة قدرة بلغت أرذل العمر، تتحدث بالألمانية منكرة بلا أسنان - إنه كان لها أبناء - منذ مئات السنين - ولكن لا أحد يصدقها.

"لم يقل ذلك - أبداً. كنا ظننا ذلك فقط. لقد قال إنه علينا أن ننجب أبناء. بالتأكيد. أبناء. أبناء يا مارتا. هل تسمعين؟".

"أنا لست صماء" قالت مارتا. وكانت تلك حقيقة، كان لديها كل المظاهر غير السارة للتقدم في العمر إلا الصمم والخرف. "قال لُكْن أنجبن فتيات قويات".

"إنها كذبة. لماذا يقول شيئاً كهذا؟".

"أنا لا أعرف. ولا يهمني لماذا. كان هذا ما قاله".

أخذت النسوة تسخن منها وتركتها تخرج لوحدها، مقتنة تماماً وغير مهتمة: كانت متأكدة من أنها سمعت كلمات الفارس، كما كانت متأكدة من هذا الشيء الصلب الذي يطعنها أحياناً في الظهر ألا وهو القصبة السميكة للراعي النازي، وكانت غير مهتمة بعصابه أو به أو بأي شيء في العالم باستثناء الطعام (الذي تحصل على القليل جداً منه) وذكرى باهته لهاز، طفلها الأول.

كان الفارس قد وجد في نفسه درجة من التعاطف معها، وكان على اتصال نفسي بها. كان تشّكك مارتا عميقاً جداً، كلا، كان أعمق بكثير مما في نفسه، على الرغم من وصولهما إليه بطريقة مختلفة تماماً.



## الفصل الثاني

خرج هيرمن من الكنيسة أخيراً، ولكن الصبي المغني الذهبي الشعر قد ذهب. كان الكثير من الرجال يتسلّكون في الخارج. والنسوة يصطفن عند بوابة النساء في الباحة التي تحيط بالكنيسة. والعديد من الفتى والشبان يتجلّلون دون هدف، ولكن ذلك الفتى بعينه لم يكن في المرأى. بدأ هيرمن السير بسرعة على الطريق الذي يؤدي إلى بوابة الرجال، حيث كانت مجموعات من الرجال والشبان تعبّر ساحة القرية الكبيرة خارج باحة الكنيسة، عندما رأى شيئاً ما جعله ينسى قصده تماماً. رجلٌ يداه في جيوب بنطاله الخلفية، كان يقف (بالضبط وبكلتي قدميه) على العشب الجميل المجزوز بشكل متساوٍ الذي يملأ باحة الكنيسة، ويحدق ساكناً في جمّهرة من النسوة كن يُدفعن بنوع من النظام من قبل راعيهم. كان رجلاً بني الشعر وليس ضخماً. خفق قلب هيرمن من شدة الفرح. شعرُ بني مجعد ولحية بنية، وعينان رماديتان، واقفاً على العشب ويديه في جيبيه، هادئاً، منعزلاً.. لا بد أنه هو!

"الفرد!" صرخ.

الإنجليزي، كان ذاك الشخص اللامبالي الذي يقف بحزم؛ حيث لم يكن من المفترض أن يضع حذاءه، فاستدار مبتسمًا بابتهاج، ولكن تحيته بقيت غير معبرة تماماً. حتى أنه لم يسحب يديه من جيبيه.

"أهلا.. هيرمن!", قال. "هل هذه قريتك، إذًا؟ يا للحظ!؟"

"نعم، نعم!" قال هيرمن، مشتاقاً إلى لف ذراعيه حول كتفي صديقه الأكبر سناً، ولكن كان يكبحه، كالعادة، شيء متحفظ في أسلوب الفرد، أو في شخصيته، لم يعرف هيرمن أبداً كنهه.

"حسناً، حسناً"، قال ألفرد، رافعاً يده أخيراً.

"يعيا هتلر، هيرمن".

حياة هيرمن على عجل وأعاد يده. لم يلحظ أن الفرد لم يرد التحية. ولن يفاجئه أن يلاحظ. كان الإنجليز أناساً مضحكين، عفوين، وغربيي الأطوار، كل ذلك معاً. ومع هذا كان هيرمن يعتبر مدة العامين الذين قضاهما في إنجلترا عندما كان يؤدي تدريبه العسكري مع جيش الاحتلال الدائم الأكثر سعادة في حياته القصيرة، على الأقل، بعد أن التقى ألفرد، وهو رجل ثلاثيني كان وقتها ميكانيكيّاً أرضياً في واحد من المطارات الضخمة في سهل سالزبوري. كان ألفرد شخصاً مثيراً للاهتمام وجديراً بأن يكون صديقاً. كان فنياً، وبالتالي سمح له بتعلم القراءة. لم يكن هيرمن يستطيع القراءة، لأنه حين ينتهي من تدريبه العسكري، فسيعود إلى العمل في الأرض في ألمانيا، ذلك كان عمل صباح. لم يعتقد أن من غير العادي، أن يكون إنجليزي قادراً على القراءة، وأنه، كنازي، يجب أن يكون أمياً. كان ذلك جزءاً من الخطة العامة، الخطة المقدسة للحياة في الإمبراطورية الألمانية. لم يكن هناك ما يكفي من الألمان بالقدرات المناسبة لتزويد الإمبراطورية بأكملها بالفنين. يجب على بعض الأعراق الخاضعة أن تتعلم القراءة. ولم يكن هناك الكثير للقراءة عدا الكتب التقنية وكتاب هتلر المقدس. فقد كانت الأخبار تبث دائماً، ولا يفوت المرء أي شيء بعدم قدرته على القراءة.

كان نوع عقل الفرد هو الذي جعله مثيراً لاهتمام هيرمن، الريفي القنوع. كان الفرد حضرياً، سريع البديهة، ورجلًا ماهرًا بالآلات ومبتهجاً بمهارته. بينما كان هيرمن بطئ العقل، ريفياً، بنصف المهارة، ولكنه كان قوياً يبتهج بقوته. في الجيش كان في كثير من الأحيان ما يحن إلى الأرض، وكان الأكثر إثارة لدهشة الفرد أنه كان يتوق للجيش في ألمانيا.

"كيف يسير العمل في المزرعة؟" سأله الفرد، عندما أنهى هيرمن مصافحته. "أنت تبدو أكبر من أي وقت مضى <sup>(1)</sup> mein junker".

"أنت هناك.. ابتعد عن العشب!" هدر صوت قاس.

قفز هيرمن، وتحرك الفرد.

"أكبر من أي وقت مضى"، كرر الفرد، ناظراً إلى صديقه الشاب. "أيها الألماني الجميل. أنت تحب الأرض كما كنت تفعل في صغرك؟".

"أوه..نعم، نعم" قال هيرمن ببطء باللغة الإنجليزية. "أنا أحب ذلك. هيا تعال. دعنا نبتعد عن كل هؤلاء الناس".

"أنت هناك!". والآن علا خوار الثور فوقهم.

"ما اسمك؟ لا، ليس أنت، هيرمن. ما هو اسمك".

"الفرد، اي. دبليو. 10762، فني إنجليزي في رحلة حج إلى الأماكن المقدسة في ألمانيا"، قال الفرد، متاهباً بتصنع زائد أمام ذلك النازي المسؤول، ولكنه بقي بعيداً عن الأسلوب العسكري.

"أيها، الإنجلاني"، قال النازي، وهو يومئ برأسه في نوع من الاستيعاب

---

(1) سيدى الماجد بالألمانية في النص

المشمئز. "دعني أر بطاقة مرورك، إذاً" مضيفاً، بطريقة أكثر اعتدالاً

أظهر أفراد له ذلك.

"حسناً. تذكر أنك الآن في ألمانيا، وعندما يقال لك ابتعد عن العشب، فذلك بالضبط ما نعنيه. لم يوضع العشب حول كنائسنا هنا كي تخطر فوقه قطuan الإنجليز. Verstehen <sup>(1)</sup>؟".

"Ja, Herr Unter-offizier <sup>(2)</sup>".

"يحيا هتلر!" قال النازي، وأدى التحية.

هذه المرة حياد أفراد بالمقابل.

"دعني أخمن، يجب أن تكون في الخامسة والعشرين الآن، يا هيرمن"، واصل حديثه كما لو لم يكن هناك أي انقطاع.

لم يجب هيرمن. كان كثير من الذكريات المؤلمة يكاد يملأ عقله - وكان أفراد مثله تماماً - شعره المجعد القصير الذي لن ينمو حتى يلامس كتفيه، عيناه المتناسقتان الرماديتان، أسلوبه غير المكتثر - كل الأشياء التي لم يتوقع هيرمن حقاً أن يراها مرة أخرى، رغم أنهما تمازحا لبعض الوقت عن مجيء أفراد للحج - لم يكن هناك أبداً أي ألماني يمكنه أخذ مكان أفراد عبس هيرمن بقسوة وغضبه شفته. حدق أفراد في وجهه وأمسك ذراعه.

"أنتم عاطفيون أيها الألمان"، غمغم قائلاً.

وهيرمن، الذي كان قد سمع لتوجه الفارس يخطب حول قوانين المجتمع،

(1) هل فهمت؟ بالألمانية في النص

(2) نعم يا سيدي الضابط بالألمانية في النص

التي وضعته في مرتبة أعلى من الفرد كما هو الرجل أعلى من المرأة، تتمم بالألمانية متكسرة: "لم أكن أعتقد أني سأراك مرة أخرى. والآن فقط أدركت كم كنت وحيداً من دونك".

"هل نذهب للنזהة" اقترح الفرد "أم عليك العودة إلى العمل؟ لقد نسيت اسم قريتك ورقمك، ولم أتمكن من تذكر أي شيء إلا حي هونلندن. كان علي أن أنق卜 عنك في مكان ما".

"ليس على العودة حتى المساء" قال هيرمن، مستعیداً نفسه. "هل يوجد معك أي طعام؟".

"نعم، في الكيس. تركته قرب الجدار هناك".

"هل هناك ما يكفياني، أيضاً؟ كان عليك أخذ كيسك إلى الشرفة". صارا يتحدثان الآن كما اعتادا، كل واحد بلغته ويفهمان، دون أن يجهدا نفسيهما في تكوين كلمات أجنبية.

"ماذا، في ألمانيا؟" سأل الفرد، رافعاً حاجبيه. "لصوص عاديون في مدخل كنيسة ألمانية؟".

"ياه، الأولاد، كما تعرف. هناك تماماً".

"مهلاً، يا هيرمن، هل أنت جائع جداً؟ أعلينا أن نعود إلى مزرعتك ونجلب المزيد لك؟ حكومتكم، على الرغم من أبوتها، وليس لدى ما أشكوه منها، لا تسمح بالكماليات، أو بما هو أكثر من طعام لرجل".

"إذا لم تمانع، (لا شيء تقريباً) كاف بالنسبة إلي"، ضحك هيرمن بفرح وهو يضع الكيس على كتفيه العريضين. "هل تذكر الرجل الذي كنت تسميه الضئيل؟ كان كله لا شيء تقريباً. ولماذا تم وصفه بالضئيل؟ ما هو الضئيل؟

لقد نسيت كل شيء".

"اسم حركي لرجال يوركشاير. حسناً الآن، يا هيرمن، لا تقل لي إنك نسيت اسمي الحركي. سوف يزعجني ذلك".

"ياه، NEIN ، NEIN ! " صاح هيرمن.

" !<sup>(1)</sup>Du bist der Moonraecher "

"هذا صحيح، الرجل الذي حصد القمر من البركة. لكن لماذا؟ ولكن لماذا، أنا لا أدرى. تلك واحدة من الأشياء التي أرغب في معرفتها. تلك الأسماء القديمة. هيا يا هيرمن، دعنا نذهب ونستحم. الجو حار جداً".

"سنذهب إلى الغابة. أنا أعرف حوضاً جميلاً. أكون هناك أحياناً في الليل، يا أفريد، ولو أن أي رجال من ويلتشير حدث وكانوا هناك، فإنهم سيسرعون بالنبش بأسرع مما قد نقوم به نحن في حديقة الفارس عندما يكون في عجلة ليزرع شيئاً دون إعطائنا أية فكرة عنه. كل شيء مكشوف، الحوض والقمر يضيئه تماماً. لكنني كنت دائماً وحدي. هل أنت حقاً سعيد لرؤيتي يا أفريد؟". قال هيرمن بشك وقليل من الحزن.

"سعيد جداً"، قال أفريد جداً. ولكن هيرمن كان لا يزال يشعر بشيء من التحفظ في طريقة أفريد، وفي مسيرهما إلى الغابة ظل صامتاً ومنسحاً.

"ناس غربيون" فكر الألماني الشاب، بعد أن تخلى عن محاولته جعل أفريد يتحدث. "لا أحد يفهمهم حقاً، ومع ذلك فالكثير من الألمان يحبونهم". كان يعرف أن من بين جميع المحطات الأجنبية العديدة حيث كان الفرسان يبنون مراكز الخدمة الإدارية والدينية، كانت المحطات الإنجليزية هي الأكثر

(1) أنت حاصل القمر.(باللهجة المحلية البريطانية تعني احد سكان مقاطعة ويلتشاير).

شعبية. كان من المفترض أن يغيب الفارس عن ألمانيا لسبع سنوات. بعدها كان يحكم مقاطعة ألمانية لستين أو ثلاث سنوات، ثم قد يُرسل إلى الخارج مرة أخرى. كان الكثير من الفرسان الذين خدموا في إنجلترا مرة مستعدين لطرق كل السبل الممكنة كي يتمكنوا من العودة إلى هناك مرة أخرى. هذا الشعور الانجلوغرافي<sup>(1)</sup> لم يكن مشجعاً، ولكن لم يتمكن شيء من تخفيفه أبداً. كان بعض الألمان بالطبع يكرهون الإنجليز، ولم ينسوا أبداً أنه يلبسهم عار كونهم آخر المتمردين ضد جبروت وقادة الإمبراطورية الألمانية. كان هناك، قبل مائة سنة، متمردون إنجليز، واسكتلنديين وويلزيين، في قضية ميئوس منها، فرادى وغير منظمين، يُسحقون بسهولة تامة من قبل الفرسان وجيش الاحتلال. بعدها، وبأمر من برلين، تم ببرود إعدام واحد من كل عشرة من السكان الذكور. وتم توسيع جيش الاحتلال الدائم (رغم أن الجيش السابق كان كبيراً بما فيه الكفاية ليتعامل مع رجال لا مدفعية لديهم ولا طائرات) وزيدَ عدد الفرسان، مع إعطاء كل فارس منطقة أصغر. ومنذ ذلك الحين لم تعد هناك أي مشاكل. ولكن الإنجليز ظلوا غريبي الأطوار مثلما كانوا في أي وقت مضى، مائعين وعفويين ومع ذلك فهم محظوظون. وكان قد سمع ذات مرة فارساً يقول إنهم أساساً غير متدينين، وأن هذا ما كان عليه الأمر. كانوا متحفظين بما يكفي في تعاملهم مع النساء والمسحيين. كانت نساؤهم (وربما مسيحيوهم) تماماً كالآخرين. ولكن - ضبط هيرمن نفسه فجأة متمنياً أن الفرد كان ألمانيا. ليس بسبب أنه قد يمكن أن يكون قادراً على رؤيته أكثر حينها منه الآن. توضحت مشاعره بسبب صدمة لقائه لصديقه فجأة، وهو يعرف الآن ما لم يكن بالتأكيد يعرفه من قبل، إنه معجب بالفرد أكثر من أي رجل آخر في العالم. "أنا انظر إليه" كان يفكر

(1) المحب للإنجليز.

مضطرباً "كما لو كان فارساً. أنا أفعل. لا يسعني غير ذلك. كان يجب أن أكون قادراً على التخلص من هذه الفكرة. لأنه ليس حتى نازياً، ولا حتى مساوٍ لي، ليس إلا رجلاً إنجليزياً". لذلك أنا أرفع منه كما هو الرجل أرفع من المرأة. هذا أمر سخيف. نعم، إنه من السخف تماماً. هذا ليس صحيحاً!" وعند هذا الفاصل الأول الواعي تماماً في شعوره المتفوق عرقياً كان هيرمن مصدوماً، ومثاراً في الوقت نفسه. كانت هناك لذة في القبول العقلي بما كان يشعر به دائماً، أن الفرد لم يكن فقط أكبر سنًا وأكثر خبرة منه، بل كان نوعاً راقياً من البشر. بحيث لا تحدث إنجليزيته فرقاً. وبطبيعة الحال، فكر هيرمن، في محاولة لتبرير خيانته لألمانيا، أن الفرد هو إنجليزي خاص. وليس كل الإنجليز مثله. ولكنه كان يعرف أن هذا ليس عذراً على الإطلاق. فأنت لا تستطيع أن تعترف باستثناءات في المفهوم الإلهي للعرق وسمو الطبقة. عليه أن يكون في الدم المقدس. دم الألمان أو الفرسان. لو لم يكن كل الفرسان، وكل النسل العديد المتحدر من الفرسان الجerman الأصليين الثلاثة آلاف الذين كرسهم هتلر، متفوقين منذ الولادة - ولو أمكن أن تكون هناك استثناءات بين النازيين، بترفع واحد هنا وواحد هناك، ليتساوی مع الفرسان، لم حينها يكون الفارس لكونه فارساً، متفوق على الجميع! وهو يجب أن يكون كذلك، الكل يجب أن يكون كذلك، وإن فإن المجتمع سينهار. فكر هيرمن عميقاً في ذلك المنطق المؤلم غير المألف حتى شعر بدوامة في رأسه. التفت لمشاهدته الفرد يمشي، جليلاً ومنعزلاً إلى جانبه. لم يكونا قادرين على السير في نفس الخطوة. كان الفرد أقصر منه بكثير. كان هيرمن يتعمد أحياناً تقصير خطواته على الطريق قليلاً حتى تصير متعبة جداً، ولكن الفرد لم يحاول أبداً إطالة خطواته بمقدار ربع بوصة. وكان لا يمانع كونه متاخراً. وكانت تلك طبيعته الإنجليزية

النموذجية. اجتاحت هيرمن موجة من المشاعر اختلط فيها الحب بالتوتر والخوف ونوع لامألوف من الإثارة الروحية. كان يشعر كما لو أن أي شيء يمكن أن يحدث في أي لحظة. وكان قد نسي فتى الكورال المثير للاهتمام كما لو أنه لم يكن موجوداً. وألفرد نسيه كذلك.

"أَلْفِرِد!" صرخ هيرمن فجأة في أذنه، "إذا استمررت في عدم الانتبا  
إلي. فسأطرك أرضًا!".  
انتبه ألفرد قليلاً.

رد بصوت معترض. "ja,Herr Nazi "<sup>(1)</sup>

استدار هيرمن وتركه عائداً إلى الوراء على طول الطريق الذي أتيا منه.  
ركض ألفرد خلفه، مبتسمًا، وأمسكه من ذراعه.

"تعال، تعال" قائلًا: "سأتكلم الآن. لا تغضب. أنت نازي، كما تعلم."

"إنها طريقتك في قول الأشياء" تذمر هيرمن، لا يزال يعتريه الغضب.  
وهو يحاول تهدئة نفسه.

"الألمان الذين يصيرون في وجهي دائمًا يتركون أثراً سيئاً علي" قال  
ألفرد معتذرًا. "إما أن عضلات ساقي على غير ما يرام، ولا تعمل، أو أني  
أفسد الأمور".

"وماذا يحدث عندما يصرخ إنجليزي في وجهك؟" سأله هيرمن.

"أقذف به بعيداً. ألديك أبناء يا هيرمن؟".

وكان هذا سؤالاً غير متوقع، ترك هيرمن فاغراً. ثم قال:

(1) نعم سيد النازي

"لا".

"أنا لدى ثلاثة الآن". قال أَلْفِرْد "كان لي اثنان عندما كنت في إنجلترا والآن لدى آخر. ولكنهم صغار جداً. أكبرهم سناً في السابعة عشرة. لماذا لم تنجب أي أبناء؟ هل أصبحت بسوء الحظ، وأنجبت فتيات؟".

"كلا. لا أستطيع أن أحتمل النساء".

"ولكنك كناري، إن لم يكن لك أي أطفال البتة بحلول الوقت الذي تصير فيه في الثلاثين، فسوف تتعاقب. إنها الأعراق الخاضعة فقط هي التي يسمح لها بتجاهل إنجاب الأطفال إذا رغبت بذلك".

"بقي لدى خمس سنوات".

"لكن عليك أن تصل إلى موقف عادي تجاه المرأة في سن الخامسة والعشرين. لا تستغرق وقتاً طويلاً في ذلك يا هيرمن قد تجد نفسك في مواقف صعبة".

"لا يمكنني احتمالهن!" رد هيرمن بعنف "أوه، بحق هتلر.. أرجوك لا تدعنا نتحدث عن النساء!".

"حسناً. ولكنني سعيد أني رجل طبيعي وأنتفع بأبنائي. النسوة لا يقدمن ولا يؤخرن..".

"إنهن كثيراً كذلك". قال هيرمن غافلاً عن فهم مغزى المثل.

"أوه، حسناً، لا يهم"، قال أَلْفِرْد وغرق في الصمت مرة أخرى.

ولكنهما عندما استحما وأكلوا على نحو بسيط، استلقيا في راحة لذيدة تحت ظل شجرة ضخمة يستمعان إلى صوت تساقط المياه، قال أَلْفِرْد فجأة:

"هيرمن، سأقوم بتدمير إمبراطوريتك".

قهوه هيرمن ناعساً. فالنكتة الغبية الإنجلizية تماماً بصوت الفرد الهدئ والعميق هي أفضل من أي شيء مضحك حقاً قد قوله أي شخص آخر.  
كيف؟".

"بالطريقة التي صنعت بها حبة البلوط هذه الشجرة الكبيرة".

"ربما زرعت كشتلة. لقد تمت زراعة كل هذه القطعة من الغابة".

"حسناً، مثل واحد من ذلك السنديان الذي في الغابة المقدسة، الغابة الألمانية، التي بلا اسم".

"هل ذهبت إلى هناك حتى الآن؟".

"بقدر ما يسمح لي للذهاب، لكوني إنجليزي فقط. إنه مكان جميل. متكتم جداً وصامت. يمكن للمرء أن يمارس التفكير هناك".

"لا يفترض بالمرء أن يفكر، بل له أن يشعر هناك. أفترض أنك سوف تفك عندما ترى الطائرة المقدسة. أم أنك كنت بالفعل في ميونيخ؟".

"ليس بعد. ألا يمكنك الحصول على إجازة ليوم واحد، وتأتي معى؟".

"ربما. سأحاول، على أية حال. فارسنا، فارس هونلندن، هو فارسنا الخاص".

"ماذا تعني؟".

"إنه فارس عشيرتنا، فون<sup>(1)</sup> هيس. وهو يملك جميع الأراضي والقرى والبلدات لأميال حولنا ويعيش معنا في القرية".

(1) Von مصطلح يضاف للألقاب العائلية للدلالة على النبلة والأristقراطية، وألغى مع إلغاء الملكية في ألمانيا والنمسا سنة 1919 - المترجم

"أوه. هذا يبدو مشجعاً لحصولك على الإجازة. حسناً، سأفكر عندما أرى الطائرة، حيناً في المسألة الفنية دون شك، على الرغم من أنني على بينة من تصميم النماذج المصغرة، وأستطيع القول إن ليس هناك أي تغيير حقيقي في الطائرات على الإطلاق. ولكنني سأفكر حيناً آخر في تدمير الإمبراطورية الألمانية. بالطبع أنا مجرد ثمرة بلوط، هل تفهمي؟ ولكن الشجرة ستنمو من داخلي وتطلع مني. أنا نفسي سأكون ميتاً".

كسا هيرمن شعور خافت بعدم الارتياح. لا بد أنه يمزح -

"ستموت فوراً إذا قمت بالتجديف في الأماكن العامة".

"ليس عليك الانتظار لتقوم بذلك. يمكنك الإبلاغ عن تجديفي وكيري".

رفع هيرمن كوعه.

"الفرد.. أنت.. أنت لست جاداً يا صديقي العزيز.. صحيح؟".

"بل جاد تماماً".

هيرمن كان يعرف أنه كان كذلك.

"ولكنك عندها ستعذ مجنوناً".

"حسناً، هل أنا كذلك؟ انظر إلى يا هيرمن. هل أنا مجنون حقاً؟".

"كلا، أنت لست مجنوناً. ولكن - بعد كل هذا - لماذا تخبرني عن ذلك؟".

"أنت لن تغدر بي أبداً، بكل تأكيد؟".

فرد هيرمن بجدية "قد أستطيع، يا الفرد. أنت ترتكب خطأ. وأود أن أقتل نفسي بعدها، ولكنني أستطيع أن أرى أنك حتى لو قتلت فسيكون ذلك من أجل ألمانيا".

"حسناً، هذا صحيح جداً وسليم، ولكنه في الواقع لا يهم. يمكنك المضي والقول لقد قال كذا وكذا، ولكن رغم أنني إنجليزي، فسيكون عليك إظهار النزد القليل على الأقل من الإثبات كي أقتل. ربما س يتم قطع رحلة حجي واختصارها ثم ترحيلي إلى خارج البلاد. أنا ماض لأقول لك كل شيء".

"ولكن لماذا؟".

"لقد حان الوقت بالنسبة إلي أن أعرف كيف يطرق هذا الأمر فتى نازي عادي ومحترم. هل تفهم، أولاً وقبل كل شيء، لماذا قد يرغب إنجليزي في تدمير هذه الإمبراطورية؟".

"إن كان لا يؤمن بهتلر، فليس هناك من سبب على الإطلاق".

"لعل بعض الإنجليز لا يؤمنون بهتلر".

"ألفريد! هل أنت كذلك، لا يمكنك أن تعني أنك لا تؤمن بأن هتلر هو رب؟".

"الكثير منا لا يعتقد ذلك" قال ألفريد بهدوء.

"إذاً فالفارس كان على حق" تتم هيرمن.

"أي فارس؟".

"فون إيكارت. قال إن الإنجليز غير متدينين أساساً. ولم يبد أنه كان يهتم بذلك".

"ربما كان يعلم أن ذلك لا يهم، من وجده نظره. فون إيكارت كان دائماً على الجانب الإداري أكثر منه على الجانب الديني، ألم يكن كذلك؟ التمرد المسلح ضد ألمانيا يفشل دائماً".

"أنا سعيد لأنك تدرك ذلك" قال هيرمن شاعرًا ببعض الراحة.

وأصل ألفريد كلامه "لأن الألمان هم أكبر دعاة للعنف شهدتهم العالم باستثناء اليابانيين، بطبيعة الحال. وهم أعظم جنداً باستثناء اليابانيين طبعاً" "نحن فقط بمثل جودة اليابانيين!".

"إذاً.. لماذا لا تذهبون وتلتهمونهم وتحولوا آخر الوثنيين هناك بالقوة؟" لقد سبب السلام بين الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية اليابانية الصدم للجميع لأكثر من سبعين عاماً.

"نحن لا نزال نتجهز لذلك".

"حسناً، أنا لن أعandك. أنا لا أريد أن يكون علي محاربة اليابانيين بنفسي، لدي شيء أفضل أقوم به، وأمل إذا كانت هناك حرب أخرى أن تفوز ألمانيا".

"أنت مخلص إلى حد ما، إذاً؟".

"تستند حساباتي على الطبع الألماني، وليس على الطبع الياباني. أنا لا أعرف ما هو، رغم أنه من المحتمل أنهما في الموضع الفاسد نفسه!".

"الموضع الفاسد!".

"الموضع الفاسد. أقول لك. الآن، هل أنت مهتم يا هيرمن، أم أنك ستتصير عنيفاً؟ إذا كنت تريد مقاتلتي، قل ذلك. أما إذا كنت ترغب في الاستماع، فكن هادئاً".

"يجدر ويفترض بي مقاتلتك، وضربك، إلى حد ما. لا يمكنك مقاتلتي، أنت ضئيل جداً. أوه، حسناً.. استمر".

"يبدو لي أن الأمر حصل هكذا"، قال ألفريد مديرًا ظهره مرة أخرى. "بعد

حرب العشرين عاماً، عندما تفوقت ألمانيا أخيراً على الجميع، لا بد أن كل التعب اللعين قد نال من كل الأمم المهزومة. كانت قد حاولت مواجهة القوة بالقوة ولكنها فشلت، وكانت مهانة وتخجل من نفسها، ولكن الأسوأ من ذلك كله أنها استنفذت تماماً. لذا، ولأن من الأفضل بكثير أن يهزمك الرب من أن تهزمك عصبة من الرجال، مهما كانت كبيرة ومسلحة جيداً، فقد بدأت جميعها تؤمن بهتلر، التجسيد الإلهي للقوة المنتصرة. وكانت فكرة ناجمة عن الإرهاق. وحالما بدأت هذه الأمم، هنا وهناك، تسترجع قوتها قليلاً، نشبت القلائل والاضطرابات والثورات المسلحة (أو التمرد ربع المسلح)، وكانت تفشل دائماً، واستمرت الأمم في كونها هتلرية. كانوا يتمردون على الفرسان أو جيش الاحتلال (معظمهم)، وليس ضد الفكرة الألمانية. كانوا لا يزالون متبعين جداً للعيش من دون دين، ولا يزالون راغبين في الاسترضاء من تعرضهم للضرب على يدي الرب، وليس على أيدي الرجال فقط".

"لكنكم لم تكونوا متحضرين بعد، حينها" قال هيرمن. "كنتم مجرد قبائل همجية، أنتم والفرنسيين والروس والجميع. ليس هناك من عارٍ في التعرض للضرب على أيدي رجال متضررين".

"حسناً، هناك ظلام كبير حول أصولنا"، اعترف أفراد. "صحيح أننا لا نعرف تماماً ماذا كنا، لنقل مائة سنة قبل هتلر. ولكنني أعتقد أنه كانت لنا ذات مرة إمبراطورية عظيمة".

"هراء. كيف يكون لمتوحشين أية إمبراطورية عظيمة؟ لم تكونوا تعرفون كيفية بناء السفن أو أي شيء".

"لماذا هناك هذا العدد الكبير من الأعراق اليابانية الخاضعة التي تتحدث اللغة الإنجليزية؟ الأمريكان والكنديان والأستراليين، وبعض من

أعراقك الخاضعة أيضاً، وجنوب أفريقيا؟".

"لقد كانوا مجرد قبائل إنجليزية، ولكنها انقرضت كلها".

"أنا لست متأكداً من ذلك، ولدى أسباب تدعوني للشك بالأشياء الأخرى التي تخبرني بها أيضاً. ولكن لا يهم ذلك. إنه ما أنا عليه الآن ما يهم حقاً وليس ما كانوا عليه حينها. أنا رجل يعرف أنه حين يفشل أي تمرد مسلح ضد ألمانيا، فهناك تمرد آخر يجب أن ينجح".

"ماذا؟" سأل هيرمن بتلهف.

"تمرد الكفر. تصمد إمبراطوريتك تماماً على الجانب العقلي بواسطة العقيدة الهتلرية. وإذا ذهبت، إذا لم يعد الناس يؤمنون بأن هتلر هو رب، فلن تبق لك إلا القوة المسلحة، والتي لا يمكنها أن تفعل شيئاً سوى قتل الناس. لا يمكنك جعلها تعيد الناس إلى الإيمان بهتلر، إذا لم يفعلوا ذلك لوحدهم. وفي النهاية، مهما كان عدد الناس الذين يقتلون، وطالما بقي البعض، فإن الشك سيواصل النمو. ولا يمكنك أبداً قتل جميع الكافرین، لأنه رغم قدرتك على تفتيش بيت المرأة وجيو悲ه أيضاً، فلن يمكنك البحث في قلبه. ولا يمكنك أبداً معرفة تحديد جميع الكافرین. سوف تنمو الشكوك لأنها شأن حي، مليء بالقدرة على النمو، مثل جوزة البلوط. وسوف تهاجم ألمانيا في نهاية المطاف، سيصبح الألمان أنفسهم يشككون بهتلر، ثم تتعرفن إمبراطوريتك من الداخل".

"لن تفعل" رد هيرمن، كابحاً أنفاسه.

"إذا لم يكن هتلر هو رب، فليس هناك من سبب يتعين بموجبه على ألمانيا أن تحكم أوروبا وأفريقيا وجزء من آسيا إلى الأبد. وإذا كان هتلر هو رب، فلماذا لا يمكنه الفوز على اليابانيين؟".

"سنقوم بذلك. هناك متسع من الوقت".

"لقد أهدرتم وقتكم. كان لديكم حوالي خمسمائة سنة أو نحو ذلك للتغلب على اليابانيين، وكل ما قمتم به هو سلسلة من الحروب غير الحاسمة تماماً. الغارات الجوية، اختلاس أجزاء من روسيا بعيداً عن بعضها البعض ومن ثم فقدانهم مرة أخرى. لم تكونوا في طريقكم حقاً للفوز على اليابانيين. والآن بالكاد يتبقى لكم أي وقت على الإطلاق. عندما أقول أن لا وقت لديكم، أعني أن لديكم فقط حوالي سبعين سنة أخرى. وكان لديكم سبعون عاماً من السلام".

"حسناً، وأفترض أن كل حلمك المجنون كان حقيقياً، وأن الإمبراطورية تمزقت، لم تُعُدْ من الأفضل لك أن يحكمك اليابانيون؟".

"لا يجدر بنا ذلك. نحن لا نعتقد أن الإمبراطور الياباني هو الرب، كما ترى. لا يمكنك حكم الرجال بشكل دائم إلا من خلال فكرة. الرجال، أنا أقول. يمكنك حكم الأولاد، وربما الألمان. وربما لا. ولكن نظراً لأن الألماني لم يكن رجلاً في أي وقت مضى ولن يكون ذات يوم، أجده من الصعب أن أجزم بذلك".

وتب هيرمن على قدميه، ولكن لأن الفرد لم يفعل، لم يكن يعرف تماماً ما يجب عليه القيام به. اعتراه فجأة الغضب العنصري ورعب شخصي غريب وغير واضح، فركل الفرد بوحشية. نهض الفرد عندها، ولكن ببطء وهدوء. وكانت سيطرته تامة.

"هيا..إذاً" قال وهو يخلع معطفه. "إذا كان لابد من العنف فليكن. إن لم أقتل عينيك، فهل ستترك ما لدى؟".

كان هيرمن محمراً يرتجف، نظر في عيني الفرد، وعرف بياس وحيرة أن

المعركة انتهت قبل أن تبدأ. مجرد التفكير في اقتلاع عيني أُلْفِرِد الرمادي<sup>(1)</sup> جعله يمرض، رغم أنه شاهد من دون خوف العديد من المعارك التي انتهت بهذه الطريقة. وبصرف النظر عن العيون، فهو لا يمكنه أن يمسه، ولا حتى بنفحة غبار خفيفة. كان قد ركله، ولكنه الآن لا يستطيع أن يفعل شيئاً أكثر من ذلك.

"عد إلى الجلوس، *junker*<sup>(1)</sup>" قال أُلْفِرِد بلطف.

"لماذا لا تدعني لوحدي؟" قال هيرمن بصوت غليظ. وجلس رغم ذلك.  
"إنه شيء هام"، قال أُلْفِرِد. "عدني بعدم ركلي مرة ثانية، أو سأجلس بالطريقة الأخرى. ركلتان على نفس المكان قد يجعلني أُعرج".

"لماذا تقول إن الألماني ليس رجلاً؟" سأله هيرمن، وهو غير قادر على الانتباه لشيء سوى الإهانة.

"إنهم لا يحصلون على فرصة ليكونوا كذلك. إنه النظام. انظر يا هيرمن، ما هو الرجل؟، إنه كائن مصنوع من الفخر والشجاعة والعنف والوحشية والقسوة، قل ما تشاء. ولكن كل هذه هي خصائص الحيوانات الذكور في حالة الغضب. يجب أن يكون الرجل شيئاً أكثر من هذا، أليس كذلك؟" "أن يكون قادراً على التفكير، والسيطرة على العنف وتوجيهه".

"يمكن لامرأة أن تكون كذلك. إذا أرادت المرأة أن تضرب ابنتها وكانت الفتاة تخبيء فوق شجرة، فإنها لن تستمر بالجري طائفة حولها مثل بقرة مجونة، بل إنها ستكتم غيظها وتنتظر حتى تنزل الفتاة عن الشجرة من أجل الطعام. لذلك لا يوجد شيء رجولي بشكل خاص في هذا الأمر".

(1) أيها الماجد

"الرجل يكون قادرًا على الموت من أجل فكرة".

"وكذلك هو أي صبي في الثانية عشرة. إن أي صبي ألماني يذهب إلى الجيش في الثانية عشرة، وقد يذهب إلى الحرب إذا سُمح له بذلك".

"لا، يا هيرمن، لن تفهم أبدًا ما هو الرجل لأنك لا تعرف. أعني الفرق الحقيقي في ذلك هو الذي يميز الرجال عن الوحش والنساء والأولاد. الرجل مخلوق مستقل عقلياً، يفكر لنفسه، ويؤمن بنفسه، والذي يعرف أنه لا يوجد مخلوق آخر يمشي على الأرض يفوقه في أي شيء لا يمكنه تغييره".

"ماذا؟ أنا لا أفهم".

"إنه صعب، وأنا أعلم ذلك. ولكنه يعني أنني قد ألتقي إنجليزياً أكثر استقلالية وأقوى روحياً مما أنا عليه. فأود أن أقول حينها "هناك رجل أفضل مني الآن" وسوف أجعل نفسي جيداً مثله. ولكنك ترى الفارس قادماً نحوك فتقول "هذا الرجل هو أفضل رجل بسبب الدم الذي يجري في عروقه. إنه متفوق علي، مهما فعلت، إلى أبد الآبدين. ويجب أن أحبيه، الآن ودائماً". ثم ترى إنجليزياً قادماً نحوك فتقول "هذا الرجل أدنى مرتبة بسبب الدم الذي في عروقه، وعلى أن أركله" تلفت الفرد حوله مبتسمًا.

"أي شخص قد يفعل ذلك. وأنا لم أركلك لأنك إنجليزي ولكن لكونك مهيناً. وليس من الجيد الحديث حول هذا الأمر، لأن مسألة الدم يكتنفها الغموض، وهي شأن لا يمكن أن يفهمه غير الألمان. إنه أمر يخصنا".

"نعم، وطالما أن مسألة الدم يشوبها الغموض، فلن تكونوا رجالاً أبداً. يمكنكم الاختباء وراء الدم لأنكم لا تحبون أنفسكم حقاً، وأنتم لا تحبون أنفسكم، لأنه لا يمكنكم أن تكونوا رجالاً. لو كان حتى البعض منكم رجالاً،

فإن البقية سيودون أن يكونوا أفضل. إنها دائرة. إذا بقيت مسألة الدم هذه فلن يكون هناك رجال - أبداً. وبينما تبكون صبياناً، ستعتقدون أن العنف والوحشية والشجاعة المادية تجعل منكم رجالاً. ليست لديكم أرواح، إنها مجرد أجساد فقط".

"هل تعني يا أفراد؟" تحدث هيرمن بهدوء تحت تأثير الكلمات الفرد وهو يحاول أن يفكر حقاً، ووجد أنه لا يُصدِّم بما سمع أو يشعر بالغضب ولم يبق أي شيء في عقله ليفكر فيه. "هل يعني ذلك أنك تؤمن باللطف؟ بالدمة؟ والرحمة والحب وجميع تلك الأشياء الكريهة؟".

"ألا تؤمن بالحب، يا هيرمن؟".

"أوه، الصداقة" تتمم هيرمن مبعداً عينيه عن النظرة المتسائلة في عيني أفراد. "نعم فعلًا. ذلك مختلف. لكن الدمة...".

"ويجب أن تكون محقاً، لأن هتلر قال إنها شيء خاطئ" قال أفراد فوراً.  
"أنا أرفض العقيدة تماماً كما أرفض هتلر وكتاب هتلر وألمانيا والإمبراطورية".  
"والرب الراعد؟".

"أنا أرفض فكرة أن الرب يعيش في ألمانيا أو أنه يحب الألمان أكثر من أي شخص آخر. الرب، الرب، أوه، حسناً، أنا لا أعرف. أعني أنا لا أعرف دائماً. ولكن الرجال الآلهة، لا. لا يوجد إنسان هو ابن الرب أكثر مني أنا. ولو كان هتلر هو الرب، فكذلك أنا. ولكن من الواضح ومن المعقول أكثر أن لا أحد منا هو حقاً كذلك. بل نحن أكثر تواضعاً أيضاً".

"ماذا برأيك كان هتلر، إذا؟ أم أنك تنكر وجوده تماماً؟".

"أتوقع أنه كان جندياً ألمانياً عظيماً وشخصاً شجاعاً جداً. لكنه لم يكن

حراً، لأنه اضطر إلى الاختباء وراء الدم. وهو لم يكن رجلاً. الآن لو قرأت كتاب هتلر بعنایة أوه، لقد نسيت، أنت لا تستطيع القراءة. حسناً، هناك القليل جداً من أقوال هتلر نفسه".

"كيف يمكنك أن تعرف؟".

"لم أكن أملك شيئاً كثيراً للقراءة ما عدا الكتب التقنية وكتاب هتلر، وأنا مغمم بالقراءة، لذا درسته بحرص شديد وبعقل غير مضبب من الإيمان بأنه إلهي. من الواضح تماماً أن الكثير من التعاليم قد وضعت في وقت لاحق. وحتى كل مسألة الدم هذه، ولا تعرف ما إذا كان ذلك هتلر نفسه أو الكثير من الناس غيره. إنه كتاب غير مقنع. فيه شيء خطأ في مكان ما. وهو يتركك خاويًا".

"هذا لأنك لست ألمانيا، ولا حتى مؤمناً بالهتلرية".

"ربما. أتمنى ذلك" قال ألفريد بتنهيدة عميقه "لدي بعض الكتب الأخرى لمقارنتها به. هناك الكثير من العتمة. الكثير من الضبابية. لا شيء سوى الأساطير. إنجلترا تعج بالأساطير. وأتوقع كل البلدان الخاضعة كذلك. إنها تعطي الناس شيئاً يتتحدثون عنه إلى جانب عملهم أو أجورهم أو الشرور التي يقترفها الفارس الموكلون إليه. هناك أسطورة عن قائد إنجليزي عظيم يدعى ألفريد، الذي كان له تمثال ضخم في وينشستر (ألا تتذكر وينشستر؟ لقد ذهبنا إلى هناك ذات مرة معاً)؛ وكان التمثال كبيراً كالتلة التي وراءه، وكان لديه سكين وخوذة ضد الشظايا، لكنه لم يكن جندياً فقط، لأنه كتب كتاباً. الآن، إذا كان لدى ذلك الكتاب لأقارنه مع كتاب هتلر! فالرجل الذي يدعى ألفريد سيكون هو من سيخلص إنجلترا من الألمان".

"ووهكذا بنيت حلمك على اسمك؟".

"أنا لن أخلص إنجلترا فقط من الألمان. بل أنا ماض لإنقاذ العالم" قال  
الفرد بنبرة متواضعة تماماً.

"ماذا عن اليابانيين؟".

"أوه، - اليابانيون. عندما تتصدع الفكرة الألمانية يمكننا المضي معها  
والقضاء على فكرتهم. إنها نفس الفكرة ولكنها تختلف بعض الشيء، وأنا  
واثق من ذلك. ولكن ألا ترى، يا هيرمن الشاب، أنني لست مجنوناً كما أبدو  
ولست مُضاعاً تماماً كذلك. أنا المستودع، والمكان الذي تحفظ فيه أفكار  
النعيم القديمة جداً. يجب أن تكون هناك فكرة هي على العكس من الفكرة  
الألمانية، ويجب أن تكون قديمة كقدم الفكرة الألمانية. ألا ترى ذلك؟  
وهكذا فلست أنا من سيفعل كل هذا، ولكنها الفكرة. إذا قتلتني فإنها سوف  
تننتقل إلى رجال آخرين".

"وأين كانت خلال هذه السبعمائة سنة الأخيرة؟".

"لقد كانت بلا مأوى، ربما لعدم وجود مكان. أو أنها كانت تستريح  
أو تقضي السبات. ولكنها أبداً، أبداً لم تكن ميتة. ما هي السبعمائة سنة؟  
ولماذا؟. يمكن للرجل أن يعيش طوال المئات من السنوات. السبعمائة سنة  
ليست زمناً على الإطلاق. والتاريخ على وشك البدء من جديد".

"ماذا تقصد؟" سألهيرمن.

"لا أعرف" قال الفرد. "أنا ذاهب للنوم. أيقظني عندما يتوجب علينا  
الذهاب إلى أي مكان أو القيام بشيء ما".

## الفصل الثالث

لم يخلد هيرمن إلى النوم، وظل يراقب أفراد الصعود والهبوط البطيء، صدره، الرمش الخاطف العارض لجفنيه، ومشهد يديه المسترخيتين، كانتا صغيرتين ولكنهما قويتان. منح كل ذلك الشاب هيرمن متعة هادئة شديدة. لم يفكر في البداية في كل ما قاله أفراد. كان من الرائع جداً أن يكون موجوداً قربه، أفراد بشحمه ولحمه، بدلاً من تلك الصورة الذهنية المشوّشة عنه التي كانت تختفي تدريجياً والتي تمسّك بها خلال السنوات الخمس الماضية. ولكن وبعد فترة من الوقت، بعد فترة طويلة، احتل الشعور عنده مكان التفكير، ولم يعد تفكيره مجموعاً في قبضة صلبة محكمة كالتي يحوزها أفراد فيه وفي كامل شخصيته. عندما كان أفراد مستيقظاً كان هيرمن يفكر تقريباً مثل أي شخص آخر، رغم أنه شخص ضعيف جداً يشده التوق للتبغية الشخصية، ولكن أفراد نائم الآن وقد خف نفوذه الثقيل، فبدأ هيرمن يفكر كنازي. وتشكلت الفكرة المروعة في ذهنه. كان أفراد خائناً اعترف بنفسه، وكافراً، مُحدّفاً، وعدواً أكثر شراسة وعناداً من اليابانيين، وأكثر خطورة منهم. لو كانت هناك حقاً في إنجلترا مجموعة من الرجال يفكرون بالطريقة نفسها، - بالطبع لا يمكنهم أبداً فعل أي شيء - ولكن الأشياء قد تحدث - وهيرمن لم يكن يعرفها. إذا، فالفرد يجب أن يكون على رأس

هذه المؤامرة السخيفة والمرعبة في التفكير ضد ألمانيا، ضد هتلر - نعم، لم يكن هناك أدنى شك في أنه القائد. لبضع لحظات ترك هيرمن أفكاره النازية وعاد إلى شعوره الشخصي. أوه، لو أن الفرد فقط كان بمعجزة ما قد ولد ألمانيا ومن طبقة الفرسان، كم كان هيرمن سيتعطش لخدمته، ول يكن خادماً له، يحول بجسده، وعظامه القوية وعضلاته الصلبة المتأهبة، بين الفارس ألفريد وكل أذى حتى الموت من أجله.... تلاشت نزوة هيرمن في وهج من العار. فمجرد التفكير في أن إنجليزياً قد يكون فارساً يعد خطيئة ضد الدم المقدس. كلا، ولكنه واجب هيرمن، واجبه الألماني الصارخ هنا والآن، أن يقتل ألفريد حيث يرقد، وأن يُوقف دماغه، ويخرس فمه، وقلبه الغادر الشرير بطعنة واحدة سريعة من سكينه التي نُقشت عليها كلمتي الدم والشرف. كان جعل دم ألفريد يسيح خلال أوراق البلوط القديمة التي من العام الماضي، حتى يتوحل ويمرغ التراب الألماني المقدس، كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكنه أن ينقد شرف هيرمن. لو أنه وشى به - ولكن كيف يشي بخائن؟ - فقد لا يصدقونه. لقد كانت فكرة ألفريد كلها، ما لم تسمعها من شفتيه، غير معقوله أبداً. كانت سخفاً، على أية حال، ولكنها كانت تثير شعوراً مروعًا لا يطاق بصوت ألفريد الصفيق. وبنفس ذلك الصوت البارد قد ينكر كل شيء، ويقول ببساطة إن هذا النازي الشاب مجنون ليقول عنه ذلك، وأن جنونه كان جلياً في الخيالات الجامحة غير العادية التي استطاع أن يختلقها، وإن كلام ألفريد سيفحص لتحرى صدقه. لأنهم سمحوا له بالحج. لا، هذا ليس جيداً، أما لو قتل ألفريد، فسيكون هناك يقين. لن يتعدد أي ألماني للحظة واحدة. ولن يدينه أي ألماني، بعد معرفة كل الحقائق. ولكن، طعنُ رجل أثناء نومه، طعن صديق المرء نفسه، الرجل الذي لم يقدم لهيرمن إلا الراحة والعون والعطف؟! - ول يكن، فحين يتعلق الأمر بصالح

ألمانيا فلن يعتد وقتها بأي صداقة، أو حب خاص؛ ليس أي تعاطف مقبولاً في هذا الشأن. ألم يصل ذلك الدرس إلى عقل هيرمن الطفولي منذ أن صار بإمكانه فهم الكلام؟ ليس هناك ما هو مشين، أو ممنوع، أو شرير، في أي فعل، إذا قمت به لأجل ألمانيا ومن أجل هتلر. حسناً إذاً، عليه أن يفعل ذلك بسرعة قبل أن يستيقظ أفراده. كان استسلام أفراد في نومه مثبطاً ولكنه على أية حال هو نفسه - روحه (بعدها لن تكون له روح) كانت غائبة مؤقتاً. أن يقتل أفراد مستيقظاً لا، هذا سيكون من المستحيل. قد يفعل ذلك الآن. ولكن ما إن أخرج هيرمن السكين من غمده، حتى عرف أنه سوف يفشل في المهمة. يمكنه إخراج السكين، وقراءة الكلمات الألمانية المقدسة المحفورة عليه، وأن يتذكر قسمه الذي أخذه على نفسه في الثامنة عشرة عندما دخل الجيش، وأن يشاهد ضوء الشمس المتناثر يلمع على النصل المشرق، وأن يتصوره مضرجاً بالدم، وقد أدى واجبه، ووفى بيمنيه، وصديقه يرقد مقتولاً - لكنه لم يستطع، ولم يتمكن من جعل ذراعه تطاووه وتطعن جسد أفراده. الحب الشخصي لا يزال موجوداً، وأفراد حتى وهو غارق في النوم كان لا يزال يُطبق على إرادة هيرمن. لذا، فهو خائن، وألماني سيئ. كان ضعيفاً. أشاح هيرمن بالسكين بعيداً، وجلس مذهولاً من عاره.

فجأة، وغير بعيد عنه، اندلع صخب مرعب: كان صبي صغير يصرخ بجنون، يائساً، طلباً للمساعدة، وصبي آخر يضحك - "ها هي الشياطين الصغيرة الصاخبة" فكر هيرمن، وهو يكاد يهم بالذهاب نحوهما وضربهما لقياً لهم بإزعاجه. قليل من العقاب الشديد، كان يفترض... ولكن هل هو صبي؟ كان هناك شيء رقيق في الصوت المزغرد قليلاً في تلك الصيحات القوية. وكانت فتاة! لا بد أنها من الفتيات المسيحيات، لأن المكان كان يبعد أميلاً عن مأوى النساء. ولماذا يجب أن تضحك فتاة وتصرخ الأخرى؟

أيكون من الممكن أنهما تفرضان سلطتهما على بعضهما البعض كما يفعل الجنس النبيل؟ شعر هيرمن بالاشمئاز من فكرة قربه من المسيحيان، ولو لم يكن يحس بالاشمئاز العميق، الذي وصل حد الخوف من النساء، لقام إليهما ثم أجبرهما على الفرار. كان أفراد غارقاً في النوم. تواصلت الصرخات، صوت تحطيمهما للنباتات، صوت الفتاة الأخرى، الضاحكة الأكبر سنًا، قفز هيرمن على قدميه. هل كانت الأكبر سنًا فتاة؟ كان لضحكها وكلماتها جرس غريب، أشبه بصوت صبي يقترب صوته من البلوغ. صبي! ألقى هيرمن بنفسه تجاه الصوت مندفعاً كثور مجنون، وهناك في تلك الفسحة من الغابة المقطوعة الشجر شاهد فتى الكورال ذا الوجه الملائكي ذهبي الشعر يهم مصمماً باغتصاب فتاة صغيرة نامية الجسم في حوالي الثانية عشرة. كانت الطفلة لم تصل إلى سن الخضوع بعد، وبالتالي كان من ضمن حقوقها القيام بمقاومة شديدة. وفيما وقف هيرمن للحظة، يراقبهما يسقطان ويتدحرجان، ويتبادلان الخمس، والركل والعض، وقع نظره على صليب أحمر كبير على صدر سترة الطفلة. إذًا فهي مسيحية! اعتمل جسم هيرمن بكماله بفيضانات هادرة وحارة وثائرة من الغضب. شعر بالبغض نحو الصبي لكونه يحب الفتيات بوجهه الجميل وصباه غير الذوري ذاك، كان هيرمن غيوراً تماماً. كان يشعر بالعار. إنه لم يقتل أفراد، ولكنها هو شيء أمامه أخيراً يمكنه سحقه وتمزيقه وجعله ينجز ثم تدميره تماماً. وصل إلى الحيوانين الصغيرين وهما يتعاركان بقفزتين اثنتين منه، وقبض على الصبي من شعره الأصفر الطويل وأنزله عن الفتاة بعنف كاد أن يدق عنقه. ثم أمسكه وقذف به بكل ما أوتي من قوة في جسده إلى أقرب جذع شجرة. لكن الصبي، وربما لسوء حظه، صدم الشجرة بكتفيه، وليس برأسه. نهضت الفتاة المسيحية الصغيرة وركضت بعيداً، متشبثة بملابسها المبعثرة.

كان فرارها صامتاً تقريباً. واختفت داخل الغابة مثل حيوان بري. حدق الصبي مندهشاً نحو هيرمن، دون أي نية بطولية لخوض قتال، ودون وعي كاف للهرب منه. وبدا معتاداً على المعاملة الفظة، ولكن الوجع في عنقه وتحطميه على الشجرة كان شديداً جداً حتى بالنسبة إلى جسده الشاب القوي. قفز هيرمن في وجهه مرة أخرى، وانهال عليه بقبضته حتى أفقده وعيه. واستسلم لمتعة خاصة في لكمه وإفساد وجهه. وعندما انطرح الصبي بلا حراك عند قدميه، بدأ يركله، في أضلاعه، على رأسه، في أي مكان، وكان يوشك أن يتركه ميتاً على الأرجح، وليس فاقداً وعيه، لو لم يقم ألفرد، الذي كان قد استيقظ ولحق بالمشهد، بالتدخل ومنعه. "توقف، يا هيرمن! سوف تقتله إذا ركلته على رأسه بهذا الحداء الثقيل. حسناً الآن، أظن أنك تسمعني جيداً". توقف هيرمن بعد ذلك، ونظر إلى ألفرد. وكان أحمر الوجه، يتعرق، زائغ العينين، في مظهر بائس. أما الولد فكان مظهراً قاتماً جداً. كان وجهه متورماً تماماً بحيث يصعب التعرف عليه. رفع ألفرد خصلة من شعره.

"إنه ذاك الصبي الذي غنى جيداً في الكنيسة هذا الصباح. عرفته من شعره. هيرمن، أيها الوحش، لقد فتكت به كثيراً. لقد كان صبياً جميلاً".  
"لن يكون كذلك مرة أخرى" غمم هيرمن، وبصق على الأرض.

تلمس ألفرد أجزاء جسمه. "إنه لم يمت.."، قال. "عظم ترقوته مكسور، وربما الأضلاع، وإصابات داخلية ربما. ولا يبدو أن ججمنته قد كسرت... لابد أن رأسه من حديد. ماذا نفعل به؟".

"اتركه - مرمياً حتى يتعفن!"، قال هيرمن بشراسة.

"ما الذي جعلك تهاجمه؟".

"كان يحاول اغتصاب فتاة مسيحية. وأستغرب أنك لم تسمع صراخها".

"هم. مسيحية؟ حسناً، بالطبع ستكون مسيحية. لقد سمعت شيئاً ولكنني أعتقد أنه كان الصبي وهو يئن عندما استيقظت. حسناً، دعنا نقربه إلى الماء ونرش بعضاً منه عليه."

"أنا لن أمسه."

"إذاً يجب أن أرفعه بنفسي".

رتب ألفريد ملابس الصبي قليلاً وحمله. ولكنه عندما وصل به إلى الماء البارد حيث كان يستحمل لم يتمكن من استعادة وعيه. وظل ملقى مثل جثة إلا أنه كان دافئاً، وما زال يتتنفس.

"يجب أن نحمله إلى مكان ما" قال ألفريد أخيراً، وهو يتلفت.

"إلى السجن في القرية".

"أوه، لا تكن أحمق. مهما كان ما فعله عليه الذهاب إلى المستشفى قبل أن يُعاقب. تعال، ضعه على ظهري إذا كنت لن تساعدني في نقله".

"أنا لن أمسه"، قال هيرمن مرة أخرى، بعناد وهو متوجه الوجه. وأضاف "لا علاقة لك به. إذا اخترت أن أتركه هنا فهذا شأنى. لقد أخبرتك، كان يحاول اغتصاب مسيحية، وحتى لو كانت ألمانية فهي كانت قاصراً. كانت فتاة صغيرة".

"أعتقد أنك لست منزعجاً على الإطلاق من أن الصبي قاصر أيضاً؟" سأله ألفريد ساخراً. "الأنه صبي جميل يجب عليه فقط أن يكون مهتماً بالرجال؟".

"يمكنك أن تفعل ما تريده وتذهب إلى حيث تريد، أنا ذاهب إلى المنزل!" رد هيرمن بخشونة. "يحييا هتلر. وداعاً".

"يحييا الحمار" قال ألفريد، منزعجاً جداً "أنا لا أفهم كيف حتى لнациي مثلك

أن يكون بمثيل هذه الوحشية المجنونة كما كنت للتو".

هنا شتت الصبي انتباهمَا بمحاولته الجلوس. ثم سقط مرة أخرى مصدراً أنيئاً مخنوقاً، ومن زاوية عينه المنتفخة بشكل مخيف، نظر إلى هيرمن.

"هل تشعر بتحسن؟" سأله الفرد الصبي باللغة الألمانية. أدار الصبي متأنماً العين التي بالكاد كان يرى بها نحو الفرد. وهمس:

"نعم".

"أيمكنك أن تقف؟"

"ربما".

ثم أنهضاه على قدميه، وهذه المرة قدم هيرمن المساعدة، مدفوعاً بنظرة قوية من الفرد. لم يصدر الصبي أي صوت إلا القليل من الشخير، رغم أن استيقاظه كان عذاباً.

"هل تقدر على المشي؟" سأله الفرد.

"ساقاي على ما يرام" همس الصبي من خلال شفتيه المتورمتين. وأضاف "أتوقع أني أقدر".

صنع الفرد رباطاً من الملابس ليضعه تحت ذراع الصبي حيث گسرت ترقوته، وربط كوعه بحزامه. ضغط الرباط على أضلاع الصبي المكسورة، فلهمث من الألم، ولكنه لم يقل شيئاً.

"الآن، سر، يا فتى"، قال الفرد، وهو يمسكه جيداً من ذراعه السليمة نسبياً.

"أمامنا حوالي الميلين سيراً على الأقدام لنصل الطريق الرئيسي ما لم

للتقط عربة".

توقف الصبي شاعراً بالغثيان، وبعد ألم القيء الشديد استلقى على الأرض مرة أخرى لبعض الوقت. ثم ساعداه لينهض مجدداً، مشى بشكل جيد إلى حد ما، بدعم من الفرد. ولم يقل شيئاً. ماعدا همهمات صغيرة وتنهدات كانت تفلت منه أحياناً.

"الأولاد الألمان يمتازون بالصلابة بصورة عجيبة" قال الفرد بالإنجليزية لهيرمن.

"هذا الولد في حاجة إليها" قال هيرمن بتوجههم. وأضاف: "لم يصلها حتى الآن".

"ليس لديك شاهد على ما حدث" لاحظ الفرد. "ولا يسمح للمسيحيين بالإدلاء بإفاداتهم ضد النازيين. أو حتى ضد الإنجليز".

"أنت الشاهد".

"في الواقع أنا لست كذلك. أنا لا أعرف إن كان هناك أي فتاة على الإطلاق إلا منك".

"سوف يعترف بكل ما حدث. وإذا لم يفعل فسأشبعه ضرباً بعدها".

"في أعمال العنف، في الوحشية، في إراقة الدماء، في القسوة، وفي خداع الذات" غممغم الفرد.

"أنت لا يهمك اغتصاب طفل. ولا تهتم حقاً إذا أقام نازي علاقة مع مسيحية. لقد ضربت هذا الولد لأنك كنت غيوراً وغاضباً. الصبي مخطئ لأنه تربى على هذا النحو، لكنه كان صادقاً على الأقل. وأنت لست حتى كذلك".

"إنه لم يُربَّ كي يُنجِّس نفسه بالمسيحيّات".

"المسيحيون أناس شرفاء. أنا أعرف بعض المسيحيين الإنجليز".

"ماذا؟" صرخ هيرمن. "أنت تعرف بعضهم؟".

"نعم. أتريدني أن أكرر ذلك بالألمانية؟ سيكون عليك إيجاد شاهد حينها".

ولكن الصبي لم يكن في حالة تسمح له أن ينتبه لما قيل، حتى لو كان الحديث بلغة يفهمها. كان يقوم بكل خطوة تحت عذاب ألم شديد، يُصرّ بما تبقى من أسنانه ليكبح الآهات التي تخرج من فمه. حتى إنه لم يستغرب أن مساعدته في طريق الآلام جاءت من ذراع أجنبي. وكان يعاني من كابوس من الألم والعار، ليس عار قسوته وشهوانيته، بل عار أن يضبطه نازي مع مسيحية. كانت حياته على ما يبدو قد انتهت، لقد كان حتى صباح ذلك اليوم في غاية السعادة وهو يغنى (لأنه يعشق الغناء) وسط نظرات إعجاب من الرجال. والآن سوف يكرهه كل إنسان، لا يمكن لأحد أن يحبه بعد الآن، وصوته سيتغير ويتكسر قريباً جداً، على أية حال. في الوقت نفسه، وضع قدمًا بطريقة أو بأخرى بجوار أختها، دون أن يتأوه. وتمكن من قطع ميلين، في حالة يكون فيها رجل من جنس آخر - أقل متانة جسدية - بالكاد قد تحرك مسافة مائة ياردة، ثم أغمى عليه.

تمكنوا الآن من الخروج من الغابة تقربياً، وكان الطريق الرئيسي المؤدي إلى القرية على مبعدة قليلة منهم. وضع الفرد الصبي على ظهره وحمله إلى الطريق. وانتظروا حتى جاءت شاحنة.

"أين علينا الذهاب به؟" سألهما السائق، وهو ينظر إلى الجسد المكدوم بلا مبالاة وبغلظة معتادة على الألم والمشاهد الدموية.

"إلى المستشفى أو إلى بيته" قال الفرد.

"إلى السجن" قال هيرمن. "أوه، تخلص منه في أي مكان في القرية. نحن لا نعرف أين يسكن هذه البهيم الصغير. كان في الكنيسة هذا الصباح وهذا كل ما أعرفه عنه".

"مددهُ قرب الأكياس، إذاً. لا يمكنني وضعه هنا في الأمام، وهو يتخطى هكذا".

كانت شاحنة صغيرة يقودها رجل واحد بمقصورة قيادة ضيقة قليلاً، ولا مكان لرجل ثان. وضع الفرد وهيرمن الصبي على الأكياس المليئة القاسية، ومضى السائق في طريقه. وبعد أن انطلق، صاح الفرد فيه بصوت عالٍ: "توقف! توقف!" ولكن السائق لم يسمعه أو أنه لم يرد أن يتوقف.

"ما الأمر؟" سأله هيرمن بفضول وهو عابس.

"لماذا؟ علي أن أذهب معه".

"أنت عطوف جداً على هذا الصبي". قال هيرمن مرتباً "لقد رأيته في الكنيسة أنت أيضاً".

"أوه، اسكت، يا هيرمن. لقد قرفت منك. الفتى يحمل ستري الصوفية تحت ذراعه، وحزامي الوحيد حول كوعه. وعندما يصل إلى القرية، قد يُرسلونه إلى مستشفى في ميونيخ أو إلى أي مكان آخر. لا يمكنني أن أفقد ملابسي. أنا لست فارساً ولا أملك أراضي ومصانع وسفن وطائرات خاصة. أنا لا ألبس بدلات زرقاء حريرية ولا آكل الديك الرومي كل يوم. السترة الصوفية ستة صوفية بالنسبة إلي".

"أوه، أفترض أنك لا تقر بحق الفارس في أن يحوز أراضي؟".

"أنا لا أقر الكثير من الأمور" قال الفرد، ومشى بسرعة نحو القرية.  
وأضاف "لكني لست بصدق الحديث عنها الآن. هل أنت عائد إلى القرية؟  
أين تسكن؟".

"أنا أعمل في مزرعة بيت الفارس. لدي غرفة لوحدي فوق حظيرة الأبقار.  
يمكنك مشاركتي لليلة إذا رغبت".

لم يقدم الدعوة بصدق، ولكن الفرد قبلها بطريقة ودية. مضيا في طريقهما إلى القرية بصمت. وعندما وصلا إلى الساحة شاهدا شلة صغيرة من الرجال تجتمع في إحدى الزوايا. لم تكن الشاحنة هناك، وكان كل الرجال ينظرون إلى شيء على الأرض.

"إنه الصبي على الأرجح" قال الفرد. "لماذا لم يأخذوه إلى المنزل؟".  
ذهبا إلى المجموعة ووجدا أنهم كانوا يتجمعون حول الصبي المصاب.  
وكان في حالة سيئة، لا يزال غائباً عن الوعي أو في غيبوبة وينزف قليلاً من فمه.

"ظننت ذلك"، تتمم الفرد بالإنجليزية. "لقد حطمته من الداخل في  
مكان ما. ما كان علينا جعله يمشي".

ولكن الفرد كان يعرف أن ليس بمقدوره اقتراح شيء على هذه الشلة من الألمان. سيسارعون بإيقاف الأجنبي إذا حاول أن يتولى المسؤولية.  
وصل مسؤول نازي حالاً ليس على عجلة من أمره، ولكنه كان يمشي بخطى سريعة. كان أحد الرجال قد استدعاه.

"من هو هذا الفتى؟" سأله.

"لا أحد يعرف. إنه شخص غريب" قال أحدهم، "لابد أن الفارس سيعرفه"

"إذا لم يفعل أحد ذلك".

"لماذا؟".

"لأنه كان يعني المعزوفات المنفردة في الكنيسة هذا الصباح. والفارس كان يشرف على الموسيقى بنفسه".

"يستلزم نقله إلى المستشفى" قال المسؤول النازي، الذي كان ذو خبرة بنتائج شجارات دامية كهذه. "فريتز، اذهب واطلب سيارة الإسعاف بالهاتف. من فعل به هذا".

"أنا ضربته" قال هيرمن.

"لماذا؟".

"أفضل أن أقدم شهادتي أمام مساعد الفارس".

"ضد هذا الصبي؟".

"نعم".

"أوه، حسناً جداً. ولكن لماذا أيها الأحمق الدموي، ألا يمكنك معرفة ما يمكن أن يحتمله صبي في هذه السن وما لا يمكنه - يا للأسف. سيد المساعد!" - قال معتذراً لرجل كان يحاول جذب انتباذه.

"سيدنا الرفيع، الفارس فريديريك فون هييس، يريد منك أن تخبرني لماذا يتجمع هؤلاء الرجال هنا".

كان ذلك مساعد الفارس، وهو نازي على أهمية كبيرة في المنطقة حدث وأن كان يمر بالساحة مع سيده النبيل. على مبعدة قليلة وقف الفارس، متعالياً جداً ليقترب من المجموعة في حال كانت تتحلق حول

شيء تافه. كان واقفاً يستند إلى عصاه ومتشحاً بالسواد يبدو أنيقاً بمزاج يشي بالملل إلى حد ما. تنحدر عباءته السوداء في طيات ناعمة من كتفيه. كانت رأسه عارية، خصلات سميكة من شعره اللامع الفضي ترتفع وتنخفض برقة في مهب الريح.

"قل للنبي، من فضلك، إنه صبي مصاب. ونحن لا نعرف من هو".

حمل المساعد الرسالة عائداً، ومن ثم اقترب الفارس. وقف الرجال في تأهب تام. وقاموا بتحيته، وقفوا بتصنّع أكثر من قبل، إن صح القول.

"لا عليكم" قال الفارس بلا اكتراش. وأخذ يتطلع إلى الصبي، بلا اهتمام كثير في البداية، ثم فحصه عن كثب.

"يا هتلر!". قال "من البربرى المتوحش الذى فعل هذا؟".

"أنا يا سيدي" قال هيرمن، ونبرة المفاجأة تفوح من صوته. "إنه أفضل مغني سوبرانو في كنيسة الفرسان الجرمان المقدسين في ميونيخ، لقد حطمت ضلوعه كما أرى. حسناً، كان صوته سينضم ويتكسر في وقت قريب، كما أفترض. هل أرسلت في طلب سيارة الإسعاف، يا أدلبرت؟".

"نعم يا سيدي. لقد أرسلت رجلاً ليهافهم".

"يجب أن يحظى برعاية تامة، رغم أنني لا أعتقد أنها ستكون ذات جدوى. فهو إما أن يموت أو أن صوته سيتكسر قبل أن يتعافي. من المؤسف أنه جاء هنا ليقضي عطلته. هيرمن، تعال إلى هنا".

ابتعد هيرمن قليلاً عن الرجال الآخرين ووقف ثانية في تأهب تام. ذهب أفراد معه.

"أنا لم أمرك أن تأتي معه" قال الفارس.

"لا يا سيدي، ولكن-".

"عد إذاً".

عاد أَلْفَرِدُ إِلَى مَكَانِهِ.

"قل لي يا هيرمن، لماذا ضربت هذا الفتى حتى شارف على الموت؟"  
سأله الفارس.

"سيدي، هل لي أن أدلّي بشهادتي أمام المساعد؟".

"ضد الصبي؟".

"نعم يا سيدي".

تمعن الفارس قليلاً.

"أرى أن الأفضل أن تقدمها أمامي"، قال "من هو هذا الإنجليزي؟".

"رجل كنت أعرفه عندما كنت أؤدي الخدمة العسكرية في إنجلترا، يا  
سيدي".

"أكان معك عندما حصل ما حصل وقمت به؟".

"نعم يا سيدي. حضر جزءاً مما حصل".

"إذاً، احضره معك إلى غرفة المحكمة حالاً".

حياه هيرمن وعاد إلى أَلْفَرِد.

"هيا" قال له بخشونة.

"إلى أين؟".

"علينا الذهاب إلى غرفة المحكمة، إنه يريد أن يسمع شهادتي".

"من الطبيعي ربما، إذا تعافى الصبي ولم يفقد صوته، أن يحاولوا إخفاء الأمر. إنه المغني الرئيسي في جوقة كنيسة الفرسان الجerman المقدسين في ميونيخ! لقد عطبت عندلبياً. أنا كنت أسمعهم عبر البث في إنجلترا. ما يُؤسف له أنك لست موسيقياً ألمانياً يا هيرمن".

"لا يمكنهم إخفاء الأمر" قال هيرمن باستياء.

"لن يستطيع ذلك الصبي أبداً الغناء هناك مرة أخرى مهما عاش أو حافظ على صوته. أنا سعيد بذلك".

"هل فارسك رجل دين أم رجل موسيقى؟".

"بالطبع هو رجل دين. أوه، نعم، إنه موسيقي جداً أيضاً. لكنه لا يستطيع منعي من الإدلاء بشهادتي. وعندما يسمع ما هي فلن يكون راغباً في إخفاء الأمر"، أضاف هيرمن بتحمّل.

"من المثير أن نرى ذلك. كنت على علم منذ فترة طويلة أن الصدع الوحيد في الزنزانا المدرعة لأخلاقك الدموية، والمكان الوحيد الذي قد تحصل منه على أي هواء، هو الموسيقى".

رد هيرمن مستخدماً كلمة مهذبة تعني الهراء.

انتظرا في غرفة المحكمة لبعض الوقت، وقفوا مستعدين بشكل صارم، حتى قدم الفارس وجلس في المقعد المرتفع الكبير. أمسك بقلم في يده ووضع قطعة من الورق أمامه.

"أقسم اليمين، يا هيرمن".

أقسم هيرمن بجميع الأشياء المقدسة وبشرفه كألماني على قول الحقيقة، ثم بادره قائلاً:

"سيدي، لقد كان يحاول اغتصاب فتاة مسيحية لم ت تعد الثالثة عشرة." أسقط الفارس القلم من يده. ثم التقاطه مرة أخرى، وقال بهدوء "الديك شاهد على ما تقول؟".

"نعم." سارع هيرمن بالقول، ونظر إلى الفرد.

"أقسم القسم الأجنبي" قال الفارس.

تلا الفرد القسم باللغة الإنجليزية، ثم توقف.

"أنا أفهم اللغة الإنجليزية. استمر".

بعد حلف اليمين، سأله الفارس:

"هل كنت شاهداً على محاولة الاغتصاب؟".

"كلا يا سيدي".

"إذاً بماذا تشهد؟".

"أشهد بأن هيرمن ضرب الصبي، يا سيدي".

"أتقسم أن محاولة اغتصاب قد حدثت؟".

"لا يا سيدي. بدا الأمر كما لو أنه قد حدث".

"أتقسم أنها كانت فتاة مسيحية؟".

"أنا لم أسمع أو أر أية فتاة على الإطلاق".

شhec الفارس بلطف.

"حسناً، يا هيرمن، سوف آخذ بشهادتك، ولكن إذا لم يعترف الصبي فلن يكون هناك أي دليل على كلامك".

"لا يمكنه أن ينكر ذلك، يا سيدي". قال هيرمن بتجهم.

"هل أنت متأكد من أنها كانت فتاة مسيحية؟" سأله الفارس بحدة.

"لا يمكن أن تكون أي نوع آخر من الفتيات، يا سيدي. لقد كانت بعيدة ثلاثة أميال عن مأوى النساء".

"هذا لا يؤكد شيئاً. الفتيات الصغيرات قد يفلتن أحياناً من المأوى ويهمن على وجههن حتى يُعثر عليهن ويؤخذن مرة أخرى إلى مكانهن. قد يُضعن ويسرحن لأميال. وسن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة هي السن المناسبة تماماً لذلك. يُكُن حينها في سن تكفي ليتخلصن من السيطرة الشخصية المباشرة لأمهاتهن ولسن بالعمر الكافي بعد ليدركن فكرة واجباتهن كنساء. من المحتمل جداً أن تكون فتاة ألمانية".

"لقد رأيت صليبيها! يا سيدي" قال هيرمن بسخط عميق خفف في تعبيه من احترامه للفارس.

"ماذا كانا يفعلان؟ - يتدرجان ويتعاركان على الأرض؟" سأله الفارس دون تأثر.

"كانا على الأرض".

"ويمكنك أن تقسم أنك رأيت الصليب، وليس منديلاً أحمر في جيب سرتها أو شيء من ذلك القبيل؟".

"أقسم على ذلك".

"إنه اتهام خطير" قال الفارس. "إنه أخطر اتهام يمكن للألماني أن يتهم به آخر. يجب أن تكون على يقين تام. هل ما زلت تريد أن تقدم شهادتك ضد هذا الصبي؟".

تردد هيرمن. إرادة الفارس الآن تقف بقوتها التامة مع الشاب النازي. مما ألقى بظلال من الشك للمرة الأولى حول ما كان قد رأه. أيمكن أن يكون أي شيء آخر غير الصليب الأحمر ذلك الذي رأه على سترة الطفلة؟ كلا، إنه واثق من أنه كان صليبياً. ولكن الفارس لم يكن يرغب في شهادته. كل شيء في هيرمن كان يدعوه أن يترك هذا الصراع المستحيل وأن يخضع للرجل الذي ولد متفوقاً عليه، سيده، وسيده، وسيد الأرض. كيف يمكن لهيرمن أن يعارض الرغبة الواضحة لفون هييس؟ لا يمكن للانتقام أو أي رغبة له في أن يبرر موقفه أن تكون مجديّة الآن. لقد تلاشت كل تلك الدوافع أمام نظرة الفارس الحادة. ولكن شيئاً لم يكن في هيرمن، بل كان في أفراد، الذي يقف قريباً يكاد يلمس كتفه تقريراً، جعله ينتشل نفسه من حافة الاستسلام. كان أفراداً يطلب منه الوقوف بحزم والإبقاء على الحقيقة.

"نعم يا سيدي"، قال هيرمن، باحترام بالغ.

"سأدي بشهادتي".

كان فون هييس، وهو رجل ذو حساسية نفسية ملحوظة، مهتم بشدة بهزيمته. لكنه لم يشعر بالغضب أو أدنى حس بالإذلال، فقد كان على يقين أيضاً من مكانته، العامة والشخصية. كان صادماً أن يقف نازياً ضد الرغبات الواضحة لفارس، ولكن هذا النبيل بالتحديد كان غير قابل للصدمة، نظراً للحقيقة السرية والمذهلة حقاً في أنه حدث وكان في مواجهةٍ مع دينه المفترض وخطة مجتمعه الكاملة، وكان يعد نفسه فرداً استثنائياً. ولكن كيف تأتي ذلك لهذا الأخرق العادي هيرمن، ربما لم يكن عادياً تماماً، لاحظ الفارس عليه بعض الأشياء البسيطة والغريبة، اكتئابه، نظرته الغائمة الدائمة - ولكنه كان أحمق في كل ذلك - فكيف تمكن من توليد مثل هذه المقاومة العنيفة؟ تحولت أنظار الفارس بسرعة من هيرمن إلى أفراد.

وتلاقت أعين الرجلين تماماً وبقوة. كان الفرد يعلم أنه كان يفعل ما يفترض أن يكون أمراً بالغ الخطورة، مقارنة ربما بمحاولة التحديق في ثور هائج، لكنه كان أيضاً منتبهاً جداً. ولا يعرف لماذا كان لديه شعور قوي بأن الخطر لم يكن ما كان يبدو لهم. أرسل نحو الفارس نظرة باردة طويلة كانت تقول، بوضوح كما لو أنها تتحدث بصوت عال، أن "هيرمن على حق، وأنت على خطأ". فهم الفارس ذلك. لم يكن هيرمن من كان يعارضه حقاً. بل كان هذا الإنجليزي ممتنع الجسم. كانت تحرّك ذلك الأخرق هيرمن روح مفعمة بالحيوية وأشد عزماً تنبثق من لحمٍ وعظمٍ أجنبيٍ غير مقدس.

فكرة الفارس، تعترىه سعادة غامرة، " هنا... في مواجهة جميع الاحتمالات، هناك رجل. أم أنها هي التي كانت تواجهه؟ أليس هذا ما قد يتوقعه المرء، ما لم يكن أحمق؟ من رجال إنجليز، أو فرنسيين، أو روس، ولكنه لا يتوقعه - بالطبع لا - من رجال ألمان. هذا هو الشيء الأروع في كل ما حدث ". أخذ يتأمل ذلك بصمت هادئ متواصل، عيناه لا تزالان على اتصال متناغم مع الفرد. كان دفقاً غامضاً، يعلو وينحسر ليعلو مرة أخرى، لروحين بشريتين التقتا في تعاطفٍ، يعبر بينه وبين الإنجليزي، مستثنياً هيرمن تماماً، تاركاً إياه في عتمة غير مريحة. فكر الفرد، " هذا الألماني العجوز يعرف شيئاً شيء لا علاقة له بالدم وغموضه وبنبالة الفارس. بحق الرب هذا الألماني العجوز يعرف كل شيء. آوه، ها هي نجوم الحظ تلمع فوق رأسي!".

دام الصمت الذي بدا لهيرمن وكأنه ساعة كاملة، فأخذ يبذل قدميه على الأرض. وكان ذلك التصرف دالاً على عدم انضباطه تماماً، لأنه كان لا يزال واقفاً في انتباه، لكنه لم يستطع منع نفسه من ذلك. تبدلت قدماه لوحدها. كالعطاس أو السعال، بلا إرادة أو تحكم.

لفت الفارس رأسه نحوه وقال. "قف مرتاحاً يا هيرمن".

فخفف هيرمن من انضباطه. وكان الفرد قد استراح فعلاً قبله. لم تكن الوقفة العسكرية الصارمة تتناسب مع تلك المغامرات العقلية المثيرة.

"حسناً الآن، قدم شهادتك" قال الفارس "تكلم ببطء يا هيرمن".

أخذ الفارس يدون الاتهام بشكل متأنٍ بخطه الجميل الصغير نوعاً ما، كان يكتب الحروف الألمانية بدقة كما لو أنه يحبها. كان خطه عملاً من أعمال الحرافية والمهارة، واضحًا كما لو كان مطبوعاً، ولكنه ذا طابع فردي مميز وشخصي.

"أنت لست مناسباً كشاهد" قال الفارس للأفراد، عندما انتهى من التدوين.  
"أنت لا تعرف شيئاً على الإطلاق، ماعدا أن هيرمن اعتدى على الصبي، وهذه النقطة ليست محل خلاف".

ثم دون شهادة هيرمن ايركسون، HDBH 7285، ضد رودولف وليام الابن - (وترك مساحة لكتابة الاسم الرسمي للصبي الذي كان الفارس يجهله)، أقر بذلك أمام فريدرick فون هيس الهولنلندي، فارس الإمبراطورية الألمانية المقدسة، اليوم، السنة. يحيا هتلر. ثم نشف الورقة الأخيرة ووضع القلم. ثم طوى الشهادة ووضعها داخل جيب سترته. "هيرمن، انتبه! تحية. تمام. إلى اليسار. سر".

مشى هيرمن خارجاً، حذاؤه يتثاقل على الأرض الخشبية. زرر الفارس جيب سترته وحدق مسروراً في الفرد.

"أود أن أعرف المزيد عنك... أنت الفرد أفردسون، EW 10762، فني إنجليزي، في مطار بلفورت، بسهل سالزبورى، مقاطعة إنجلترا". افتخر الفارس قليلاً بذاكرته. وكان الفرد قد سرد كل تلك التفاصيل عندما أقسم اليمين الأجنبي. ولم ينس الفارس شيئاً.

"أولاً، ما الذي تفعله هنا؟ الحج، على ما أظن".

"نعم يا سيدى. لقد سُمح لي بكرم من قبل السلطة الألمانية المقدسة في إنجلترا بالسفر إلى ألمانيا لمدة شهر واحد لرؤيه الأماكن المقدسة. يحيا هتلر. وقد تمت تغطية كل نفقاتي. هل أريكم أيها النبيل بطاقة مروري الخاصة؟".

"كلا. منذ متى وأنت هنا؟".

"أنا في ألمانيا، منذ أسبوعين. وفي هذا المكان، منذ ما يقرب من أربع وعشرين ساعة".

"هل زرت ميونيخ حتى الآن؟".

"لا يا سيدى".

"لا بد أن القيادة في إنجلترا قد توسمت فيك خيراً لتسمح لك بالحج شهر وأنت في هذا العمر".

"سيدى النبيل سخي جداً معى. أعتقد ذلك".

فكرة الفارس "أية مجموعة من الحمير العميم فاحشى البلاهة هم. قد يكون هذا أفضل فني في العالم، لكنه ليس سوى تابع طالح، أم أن على تصديق رفاقي هناك".

"أي نوع من الفنيين أنت؟".

"ميكانيكى أرضي لكل أنواع الطائرات".

"أنت تفهم بالطائرات جيداً؟".

"نعم سيدى. أعتقد أننى أستطيع صنع واحدة يمكنها أن تطير إذا

حصلت على الأدوات الالزمة والوقت الكافي".

"هل سبق وأن طرت؟".

"كتيران تجريبي يا سيدي، مرات عده". لمعت عيناً الفرد، حرفياً. كان يجيد خدعة فتحهما باتساع عند أية فكرة يتحمس لها، بحيث يسقط المزيد من الضوء على مقلتيه. شهد الفارس هذا اللمعان والنظرية الخطرة التي واكبته. "بطبيعة الحال" كان يفكر "لا بد أنه من المزعج للمرء قبل كل شيء، لا يسمح له باكتساب مهارات معينة يعلم أن بمقدوره تعلمها. ولكن إذا تركنا الرجال الخطرين يتعلمون السيطرة على أسلحة الحرب الخطيرة، فإن أين سيوصلوننا؟ هذا التابع يطير في الاختبارات، ويشاهد الطيار كالصقر، لا تفوته أدنى حركة يقوم بها. أراهن بكل شيء أنه يظن أن بإمكانه التحلق بطائرة، ويعرف أنه يستطيع الطيران بمروحية صغيرة". كانت فكرة رائعة جداً قد بدأت تتشكل في ذهن الفارس. فكر في سره، وفي أبنائه الثلاثة المتوفين، وفي والده، الذي كان يشاركه أوقاتاً مختلفة. جميعهم في عداد الموتى. لا أحد يحضره الآن. وهذا الرجل يظن أن بإمكانه تشغيل طائرة، لكنه ربما لا يستطيع. لندع الأمر إلى رب - إذا ضربت الصاعقة - فحسناً. وإذا لم تضرب، إذا لم يكن هناك رب، أو إذا كان رب لا يمانع، أو إذا كان رب مع العجوز فون هيس، فليكن حينها ما يكون -

عندما تحدث الفارس مرة أخرى كانت طريقته قد تغيرت. كانت طريقة رجل عجوز في الحديث إلى رجل أصغر منه من نفس طبقته.

"أعرف سالزبورى وبولفورت وكل ذلك الجزء جيداً". قال الفارس "منذ زمن طويل، كنت فارس ساوثامبتون. كنت اعتدت الذهاب في كثير من الأحيان إلى مائدة الفرسان في سالزبورى، وأحياناً إلى بولفورت. بسبب ما

كان لديهم من الكثير من الطعام الجيد، وكانوا رجالاً لطيفين جداً، كانوا فرساناً عسكريين. يبدو أن الجيش يحصل دائماً على أفضل المواد الغذائية، لديه كل ما قد يرغبه المرء".

لم يقل أفراد شيئاً ولكنه كان يفكر "أنا لا أمانع في تناول الطعام على مائدة الفرسان في ساوثامبتون كنوع من التغيير. يمكنني ترك سالزبورى دون جهد".

"أكان ذلك في بولفورت" واصل الفارس حديثه "حيث قابلت هذا العامل الشاب، هيرمن؟".

"نعم يا سيدي".

"وصرت صديقاً له؟".

"نعم يا سيدي".

"إنه من أكثر الشباب حظاً" غمغم الفارس.

"نعم يا سيدي الفارس؟" قال أفراد، غير متأكد تماماً ما إذا كان قد سمعه بشكل صحيح. قد يكون فعل، ولكنه كان يريد التأكيد.

ابتسم الفارس.

"أعرف أنه قد يكون من حسن حظ الشباب الألماني تكوين صداقات مع نوع معين من الإنجليز. قد لا يرى آخرون في ذلك شيئاً سوى التعالي، الناجم عن الرغبة أو الفضول الخامل أو بعضاً من الدوافع الأخرى التافهة إلى حد ما، في الجزء الألماني من العلاقة. ولكنني عندما أقول إنه كان شاباً محظوظاً، فربما يجب أن أضيف أنه قد يكون كذلك الأكثر تعاسة من بين جميع الشباب الألماني وبصورة تدعو إلى الأسى. من إحدى وجهات النظر

هذا صحيح. قل لي يا أَلْفِرِد، لماذا يبدو هيرمن بائساً دائماً إلى هذا الحد؟ إنه يعمل في مزرعة بيتي، وأنا أهتم بالمزرعة، وأراه في كثير من الأحيان. إنه عامل جيد، ويحب عمله، ولكنه مع ذلك مكفره دائمًا. لماذا يا ترى؟".

"أنا لم أره منذ خمس سنوات، سيد".

"هل تعني أنه كان يفتقدك لمدة خمس سنوات؟".

"أنا لا أعرف، يا سيد. ربما كان كذلك بطريقة مبهمة. لقد كان مسروراً جداً لرؤيتي".

"يمكنني أن أفهم ذلك. هل أنت على بينة من كل شيء في صداقتك في إنجلترا، لا شيء قلته له، أو تحدثتما عنه والذى قد يكون أثر سلبياً عليه، طيلة هذه السنوات الخمس؟" قال أَلْفِرِد جاداً جداً "أيها الكريم النبيل، وكيف يمكن لأي شيء قد يقوله إنجليزي أن يؤثر على نازي سلباً حتى لخمس دقائق؟".

"هيا، يا أَلْفِرِد، ليس هناك داع لكل هذه المناورة، أنت تعرف حقاً أن ذلك ليس صحيحاً. أعدك بشرفي كفارس-"

وتوقف الفارس. كان أَلْفِرِد ينظر إليه بطريقة غريبة، مشفقة تقريباً.

"سيدي الفارس، حيث لا توجد حرية في اتخاذ القرار، فلن يكون هناك شرف. "لا شيء م شيئاً". إذا كانت في عقل الرجل أية فكرة غالبة، أو أي إيمان، فقد يمكن لذلك أن يجعل أي شيء مشرفاً، غير أنها لو كانت فكرة فظة قاسية، وغادرها مخادعة، أو غير صحيحة، فلن تكون في روح ذلك الرجل أية ذرة للشرف. كلمتك كفارس جرماني تافهة بالنسبة إلي".

تلقي الفارس هذا الضربة العنيفة في صمت، من دون أن يتاثر على ما

يبدو. وللحظة وثب الدم العريق المتجلب الحار، هادراً في أذنيه، محاولاً إغراق النبرة العالية للصوت البارد الخافت لتلك الحقيقة التي يسمعها الآن للمرة الأولى من لسان رجل آخر. لقد كان يعرفها دائماً. لكن أن يسمعها تقال أمامه هكذا بصوت عال! ويشهد عار الجهر بها! من يكون إذاً، فريدريك فون هييس، إذا لم يكن قادراً على التمسك بالحقيقة؟ من بين مئات الآلاف من الفرسان، واحد فقط هو فون هييس. شخصياً الآن، الوحيد فقط. لنفترض أنه لم يفسح المجال للرغبة الوحشية القديمة في مسح كل ما كان يعارضه، ما كان غريباً، وما تجراً على انتقاده. لنفترض أنه دفع بألفريد للضرب أو التعذيب أو القتل، ستبقى الحقيقة رغم ذلك حيث ما كانت عليه من قبل، في عقله. "حتى لو لم يعرفها أحد على الإطلاق"، فكر "وحتى لو مات هو ومت أنا، فإنها ستظل هناك. وحتى لو لم يبق أي رجال أبداً، فستظل بعض الأمور حول طبيعة الرجال صحيحة". حيث لا توجد حرية في اتخاذ القرار فلن يكون هناك شرف". فك الفارس يداه. ووضعهما جنباً إلى جنب على الطاولة أمامه ونظر إليهما. ثم نزع خاتم الفارس من إصبعه ووضعه على الطاولة. سكن الخاتم بين الرجلين مثل عين واسعة حمراء لامعة.

"إذاً. أنا أعطيك كلمتي كرجل"، قال.

كان ألفريد مأخوذاً ويشعر بالحرج "أنا أوافق يا سيدي"، رد قائلاً. "حسناً، أنا لم أتحدث لهيرمن أبداً عن أي شيء كما أظن. لقد كان مجرد صبي وقتها، على كل حال".

تنهد الفارس، ولبس خاتمه مرة أخرى. كان إصبعه بارداً وبائساً من دونه، وكان عليه أن يضعه حتى مماته. متعجبًا أن ذلك قد يكون قريباً. اقترح ألفريد، "أعتقد أن هيرمن في ورطة إلى حد ما، لأنه لا يستطيع

التعامل مع النساء. والأمر لا علاقة له بصداقتنا".

"ليس ذلك غريباً. حسناً، لقد وصلت إلى قرار" قال الفارس ذلك ونهض | واقفاً.

"من الأفضل أن نقوم الآن".

"نقوم بماذا يا سيدي؟" سأله أفراد بدھشة.

"أظن أنك تستطيع أن تطير بطائرة. أليس كذلك؟".

"أنا متأكد من أنني أستطيع" قال أفراد بشجاعة، وهو لا يزال مرتبكاً.

"إذاً عليك الآن أن تصحبني وتحلق بي فوق ميونيخ ثم تعود، وإذا هبطنا بسلام فسيكون لدى الكثير مما سأ قوله لك". كان رد فعل أفراد المباشر شعوراً بالإثارة الجامحة والسرور. أن يطير! أن يحوز ذلك الشيء الحساس والجميل، تحت سيطرته الذاتية وتحت إرادته الشخصية! شيء خطير؟ فظيع، حقاً. قد يتعرض للموت في غضون ساعة أو ساعتين، أو بضع دقائق، ما الذي يهم؟ أن يطير! أن يطير! ثم أطرق قليلاً، اتسعت عيناه مفكراً. وقال:

"هل لك أن تقول لي لماذا يا سيدي؟".

"لا أستطيع. أستطيع أن أقول لك الآن إنني إلى حد محزن قليلاً، لا أزال مؤمناً بالخرافة. إنه هوسي بالخرافة".

"إننا قد نقتل" ذكره أفراد.

"أظن أننا معرضون لذلك. ولكنك قد تقر بأن الفارس германي الذي قد يكون بلا شرف، من غير المرجح أن يكون خائفاً ومذعوراً من الموت".

"بالطبع. ولكن لماذا تريد لي أن أقتل؟ أنا أتحرق لفرصة الطيران، ليس

الأمر كذلك، وأنا لست خائفاً. ولكن لماذا؟".

"سيموت رجل خطير إذا قُتلت".

"أرى ذلك. وإذا قُتلت أنت؟".

"شيء آخر، أكثر خطورة. ولكن الآن لن أقول لك أكثر من ذلك. عندما نصل المرآب سأصرف الرجال المناوبين وسأقول إنني سأحلق بالطائرة بنفسي".

تبيس الفرد من الإثارة.

"لنفترض أنني قلبت الطائرة قبل أن نطير؟ وأننا صدمنا حاجزاً أو شيئاً من هذا القبيل، ولم نتمكن من الخروج؟ وأنهم وجدوني في مقعد الطيار. أنا رجل إنجليزي".

"عليها القبول ببعض المخاطر".

"هل هي مروحية صغيرة؟".

"كلا. بل طائرة هيرتز ذات المقعدين. مجرد طائرة خاصة صغيرة".

أصدر الفرد صفيرًا.

"هل ما زلت تعتقد أنك تستطيع أن تفعل ذلك؟".

"أنا متأكد من أنني أستطيع. أعني فقط أنه ما زال علي أن أكون أكثر تأكداً من مسألة الهبوط بالطائرة. لماذا يكون ذلك والمروحيات الصغيرة تماماً بنفس الكفاءة وأكثر أماناً بكثير، نحن نواصل صنع الكثير من الطائرات قديمة الطراز؟".

"لم يبق خطر في أي مكان في الإمبراطورية إلا في تعلم قيادة الطائرات

من الطراز القديم أو في الطيران بها خلال الأحوال الجوية السيئة. إن لم يوجد الخطر فلن يوجد الرجال الشجعان. علينا القيام بجنازة عسكرية لبطل بين الحين والآخر. وستقام لي واحدة. أما أنت، فلا".

"سارحل من دون ذلك" قال أَلْفِرِد، ضاحكاً بفرح. وأضاف "مهما الدوافع الخاصة بك يا سيدى، فأنا أشكرك كثيراً. أنت لا تدرى ماذا يعني ذلك لرجل لم يسمح له أبداً من قبل بالطيران وهو يقضى كامل حياته بصحبة محركات الطائرات".

"يمكن لمن في السلطة أن يمنحوا دائماً متعة غريبة وغير متوقعة" قال الفارس ساخراً. "لو قمت بتعذيبك الآن بسبب الإهانة المباشرة التي قدمتها لي فستشعر بالظلم، ولكن مجرد أن أعطيك فرصة جيدة لتحترق حتى الموت يجعلك في غاية الامتنان. تحرك الآن".

خلال سيرهما نحو المرآب سار الفارس في المقدمة، بيسر، رشيقاً وممشوقاً جداً، بينما تبعه أَلْفِرِد بما يناسب خطوه المتمهل، بعشر ياردات وراءه. في المرآب كان طيار الفارس في المناوبة واثنين من الميكانيكيين في حالة استعداد.

"أريد تشغيل الطائرة بنفسي"، قال فون هيس، مُنهياً أي نقاش آخر، رغم أنه لم يقم بذلك منذ سنوات. "ربما أعود الليلة، أو لا أعود. يمكن لكل الرجال الخروج من الخدمة. انصراف".

قاموا بتحيته ورفعوا أعقابهم عن الأرض، ومشوا بخفة وهم يعبرون أرض المهبط.

"من الذي سيشغل المحرك" قال أحد الميكانيكيين.

"هذا الزميل كما أفترض".

"من هو؟".

"لا أعرف".

"هل تظن أن الفارس العجوز سيكون بخير؟ إنه لم يطر لمدة طويلة".

"لا علاقة لنا بذلك. أطع الأوامر، لا تطرح أي أسئلة. آمل أن يكون بخير" وأضاف هذا النازي الحقيقي بقلق "يمكنه الإقلاع، ولكن هل هو بصحة جيدة ليهبط مرة أخرى؟ أعتقد أننا رغم ما قاله يجب أن نمكث قرب المدرج. ما رأيك يا فيللي؟".

أومأ فيللي برأسه.

"نعم فعلاً. قد يجد أنه لم يحب أن يكون في الأعلى وينزل في أي وقت إلى الأرض ويصدمها ليستلقي منبطحاً فنكون قادرين على إخراجه أو فعل شيء. سنبقى هنا قليلاً".

كان الفرد في الوقت نفسه قد أخرج الطائرة من المرآب. كانت خفيفة جداً وكان التعامل معها سهلاً. صعد الفارس إلى المقعد الخلفي.

"هل أبدأ يا سيدي؟".

"دقيقة واحدة. إذا لم يكن هبوطنا جيداً وليس سيئاً للغاية، فحاول إخراجنا من مقاعdenا".

"نعم يا سيدي".

"عد إلى مقعدك ثانية، وتأكد من أن قنوات التحدث هذه تعمل على ما يرام. عندما نُقلع سأعطيك المسار، و تستطيع أن تطير على البوصلة. سيكون

ذلك أسهل عليك، بدلاً من البحث عن المعالم الأرضية، فأنت لا تعرف البلاد.  
هنا، هل سمعت ذلك؟ لقد همست لك به".

"نعم" همس أفراد مجيباً.

ثم خرج مرة أخرى، أدار المحرك واستعد. كان كل شيء منظماً تماماً  
بالطبع. شيء جميل، دنون أفراد، مستمعاً إلى هدير المحرك بأذن خبيرة  
مدربة جيداً: "إنه ليس جديداً جداً. آه، أيتها الجميلة الصغيرة، أنت لي، لي  
وحدي! والآن إذاً". لم يكن مندهشاً كثيراً أنه أقلع بالطائرة في السماء من  
دون حادث. كان ذلك سهلاً حقاً. ثم عندما توقف عن الارتفاع، وعرف أنه  
صار في الجو، لم يتمكن من قمع صرخة الانتصار.

"هoooooraa!" صاح. "نحن في السماء، يا سيدي!".

"توجه حيث تحب" جاء صوت الفارس عبر قناة التحدث، "أنت رائع.  
سأعطيك المسار. تذكر.. هذا ليس سهل سالزبورى. إنها بلد جبلية ويجب  
أن تكون عالياً بما يكفي". ارتفع أفراد أكثر إلى أعلى ثم بدأ يميل. كانت  
الطائرة الصغيرة حساسة للغاية.

"إنها سهلة جداً" صاح أفراد. "أوه، إنها فاتنة! إنها السماء!".

"قم بالمزيد من الارتفاع بأسرع ما يمكن" كان رد الفارس على تلك  
الصيحات الصبيانية. "سيكون سخيفاً أن تصدم الجبل وأنت تستمتع كثيراً  
هكذا".

زاد أفراد من ارتفاعه، وبأسرع ما يمكنه دفع الطائرة إلى الأعلى. كان  
منتشيأً. يريد أن يصل علو ميل فوق ألمانيا، ومن ثم يأخذ المسار مباشرة  
نحو إنجلترا، ويحلق حتى يصل إلى هناك، ثم يقوم بإخفاء الطائرة في مكان

سري ما. ولكن ماذا يفعل بالفارس؟ سيقتله، ويقتل كل فارس وكل نازي تجرأ على إيقاف رجل يطير! سيقتلهم جميعاً!".

"هذا ما سنفعله الآن" قال صوت الفارس، مقاطعاً هدير المحرك. "اتبع مسارك". وقدم له المسار، وتمكن أفراد من أن يتبعه ويحافظ عليه. "أنت طيار بالفطرة يا أفراد. بالكلاد شعرت بتمايل".

"نعم" فكر أفراد، "أنا طيار بالفطرة، أما نصف طيaryك النازيين الحقراء فأكثر ادعاءً". ولدهشته بعد أن مرت دقيقة أو نحوها، طلب الفارس منه أن ينظر إلى أسفل. وهناك تحتهما كانت مدينة ميونيخ المقدسة هادئة ومسالمة تحت شمس الظهيرة. ودأ أفراد أن يستطيع إسقاط قنبلة فوقها، خصوصاً وعلى وجه التحديد على الطائرة المقدسة. "يوماً ما"، فكر بغضب. "أسحق كل هذا بطريقة أو بأخرى!".

"والآن لنعد"، أمره الفارس. "قم بدورة واسعة وساعدنيك المسار مرة أخرى".

صرخ أفراد بصوت عال جداً في قناة التحدث.  
"أنا لن أعود إلى الوراء!".

"لا تزأر هكذا" قال الفارس. "في هذه القنوات مكبرات للصوت، ولن أسمع شيئاً سوى الضجة إذا أخذت تصرخ. تكلم بهدوء. ماذا قلت؟".

"أنا لن أعود إلى الوراء!" كرر أفراد بلهجة متوجحة أكثر هدوءاً. ولكن الجواب الوحيد كان ضحكة ساخرة خافتة. طار أفراد بثبات، ولم يقل الفارس شيئاً أكثر من ذلك. بدأ أفراد يشعر بالخجل من تصرفه الصبياني. لم تكن لديه أدنى فكرة إلى أين هو ذاهب أو كم بقي من الوقود في الطائرة.

"هل يمكنني الذهاب إلى مسافة أبعد قليلاً قبل أن نعود؟" سأله بعدها.

"ومن يستطيع أن يمنعك؟ لقد طرت لفترة طويلة بما فيه الكفاية كمرة أولى. أطول بكثير مما يسمح به لطيار نازي مبتدئ. هناك ضغط عصبي حتى لو لم تشعر به. عليك أن تهبط لاحقاً. كنت على ما يرام، ولكن لا تنس ذلك".

بدأ أَلْفِرِد يستدير بالطائرة. وأعطاه الفارس المسار. ومرة أخرى بدا أَلْفِرِد بالكاد يجد الوقت ليتمتع نفسه قبل أن يقول الفارس: "الآن انظر إلى أسفل. تستطيع أن ترى المهبط، هناك إلى اليسار قليلاً؟ الآن طر بشكل لولبي نحوه وحاول ألا تكون بعيداً جداً. اهبط ومقدم الطائرة يتوجه نحو المرآب، ذلك يناسب الريح. ولن أقول كلمة أخرى".

طار أَلْفِرِد بشكل جيد إلى حد ما، وكانت الطائرة في وضع مناسب للهبوط، عندما انتبه إلى مجموعة من الرجال يركضون على الأرض نحو المرآب. فصعد مرة أخرى.

"ما بك يا أَلْفِرِد؟" سأله الفارس.

"أولئك الحمقى!" قال أَلْفِرِد بتلهف.

"سيخرجون من الطريق. والآن افعل ذلك هذه المرة بغض النظر عن مكان وجودهم".

"لكن الأغبياء يقفون ساكنين الآن!" صرخ أَلْفِرِد بألم.

"كان عليهممواصلة الركض!".

"إنهم يتساءلون ما الذي أفعله. لا تقلق بشأنهم. تظاهر أنهم ليسوا هناك".

استدار أَلْفِرْد مرة أخرى، وأنزل الطائرة، مستقيماً فوق رؤوس الميكانيكيين، وهبط على مسافة أبعد منهم. صدمة - قفزة ! صدمة - قفزة ! صدمة، صدمة، ثم بأمان نحو الأسفل. الآن لا شيء يمكن أن يحدث سوى التشقلب أوه، يا هتلر، المرآب ! وكان قد ترك لنفسه مجالاً بسيطاً للغاية يصل المدرج. فبدا وكأن المرآب قد هرع إليه بسرعة هائلة وفمه مفتوح على مصراعيه لالتهاجمه. أطفأ المحرك، وحاول تحويل الطائرة. فلم يحدث شيء، ركض مباشرة إلى داخل المرآب واصطدم بالجدار الخرساني محدثاً جلبة. ضرب رأسه بشيء، وهو نصف واع، تبين صوت الفارس بعيداً يأتي من الصمت الكثيف الذي يصم الآذان،

"خرج يا رجل. بسرعة".

فأسرع بالخروج، متراجعاً بسلامة جميع عظامه. صفى ذهنه تدريجياً. تضررت الطائرة كثيراً وتحطم المحرك والمروحة، لكن الأضرار البشرية كانت طفيفة. كان الفارس واقفاً على قدميه يعقد منديلاً على أنفه ويضع يده على أضلاعه اليسرى.

"هل أنت على ما يرام يا سيد؟" سأله أَلْفِرْد، متحسساً رأسه.

"كدمة أو نحو ذلك. لم تكن تسير بسرعة كبيرة".

"يا له من عمل أخلاق!" تتمم أَلْفِرْد، ممتعضاً في نفسه. وقال "لقد حطمت ذلك الشيء الجميل تماماً. يا للجحود! أنا آسف لذلك يا سيد. لقد أفسدت الأمر. ولكنني كنت قد أديت الأمر على أكمل وجه لو لم يكن علي تفادي أولئك الحمقى الكريهين".

"كان عليك أن تتوجه نحوهم كما قلت لك. كنت حصلت على مسافة كافية حينها".

هرع الميكانيكيون بعدها لرؤيه ما حدث. وكانت سعادتهم في رؤيه الفارس واقفاً على قدميه خارج الطائرة كبيرة جداً. نظروا إليه بخجل، لأنهم جميعهم عصوا أوامره بالخروج من الخدمة، محاولين السيطرة على لهائهم الصاخب. لم تتأثر كرامة الفارس بطريقة عجائبية من مشهد أنفه الراعف. لوح بيده نحو الطائرة الساكنة.

"لقد تحطمـت هذه الطائرة" قال بهدوء. "لا أعتقد أنكم تستطـعون فعل الكثير لها هنا. أفضل الحصول على واحدة أخرى تجلب حالاً من المصنع. اتصلوا بالهاتف. وبالمناسبة، هل نسيـت شيئاً أم أنتـم أمرـتـكم بالانصراف خارج الخـدمة؟". "نعم، أيـها النـبـيل، لـقد فـعـلتـ" قالـوا، وـهم يـقـفـون مـثـلـ صـفـ من التـماـثـيلـ الحـجـرـيـةـ الصـغـيرـةـ.

"إذـأـ، ما الـذـي جـئـتم إـلـىـ المـدـرـجـ منـ أـجـلهـ؟ـ".

لم يـجـبـ أحدـ. ثـمـ قالـ فيـلـهـلـمـ، وـهـوـ الطـيـارـ الأـكـبـرـ سـنـاًـ "ياـ سـيـديـ، كـنـاـ نـسـاءـلـ -ـ كـنـاـ خـائـفـينـ"ـ. ثـمـ عـلـقـ، لـمـ يـرـقـ لـهـ القـوـلـ إـنـهـ جـمـيـعـاًـ كـانـواـ يـتـوـقـعـونـ لـهـ هـبـوـطـاًـ سـيـئـاًـ، وـرـبـماـ تـنـشـبـ النـارـ فـيـ الطـائـرـةـ. نـظـرـ الـفـارـسـ إـلـيـهـمـ مـنـ فـوقـ مـنـدـيـلـهـ حـتـىـ لـمـ يـعـودـواـ يـقاـوـمـونـ أـمـنـيـةـ أـنـهـ قـدـ هـبـطـ وـصـدـمـ الـأـرـضـ بـقـوـةـ تـكـفيـ كـيـ لـاـ يـنـتـبـهـ إـلـىـ عـصـيـانـهـ، ثـمـ التـفـتـ وـخـرـجـ مـنـ الـمـرـآـبـ، مـقـلـبـاًـ مـنـدـيـلـهـ بـحـثـأـ عـالـ "ـأـلـفـرـيدـ"ـ!ـ هـلـ لـدـيـكـ مـنـدـيـلـ نـظـيفـ؟ـ".

قفـزـ أـلـفـرـيدـ إـلـىـ الـأـمـامـ، مـتـحـسـسـاًـ جـيـوبـهـ: "ـلـاـ، لـيـسـ عـنـدـيـ وـاحـدـ. كـانـ هـنـاكـ اـثـنـانـ فـيـ كـيـسـيـ، الـذـيـ لـاـ يـزالـ فـيـ بـهـوـ قـاعـةـ الـمـحـكـمـةـ"ـ.

"ـلـاـ يـهـمـ"ـ، قـالـ الـفـارـسـ. "ـإـنـ النـزـيفـ يـتـوـقـفـ، عـلـىـ مـاـ أـعـتـقـدـ. تـعـالـ صـبـاحـ يـوـمـ الـغـدـ فـيـ السـاعـةـ الـعـاـشـرـةـ إـلـىـ بـيـتـيـ"ـ.

"نعم يا سيدي".

"انصراف".

"سيدي. اسمحوا لي أن أقول شيئاً؟".

استغرق فون هيس في المشي ولم يأبه له حتى مشى حوالي خمسين ياردة. تبعه ألفريد متربداً قليلاً. لم يكن يعرف ما إذا كان الفارس يتصرف رسمياً حقاً، أو أنه كان يتجاهله بسبب الرجال في المرآب.

"حسناً، ما الأمر؟" قال الفارس مستديراً وواقفاً في انتظاره. لا يمكن لأحد أن يسمعهم الآن.

"هل ستخبرني غداً لماذا أرددتني أن أخذك بالطائرة؟".

"نعم".

"و هل ستقول لي أي شيء آخر؟".

"نعم".

"هل لي أن أضع شرطاً؟".

"يمكنك المحاولة".

"أريد أن يسمع هيرمن ذلك أيضاً".

"لماذا؟".

"لديه الحق أكثر مني في سماع ذلك. يجب أن يكون لديه مزيد من الحق".

"إنها ليست مسألة حقوق، بل هي مسألة تعقل واتزان. وهيرمن لا

يتحلى كثيراً بأحد هما".

"يمكنني جعله متزناً".

"هل يمكنك ذلك؟ هل يمكنك جعله يمسك لسانه حتى يحين وقت الكلام؟ إذا حان مثل ذلك الوقت يوماً".

"نعم"، قال الفرد بثقة كما قال إنه يمكن أن يطير.

"أنت لا تعرف ما تدعوه إليه. خذه إلى حرب وحطمن أطراقه، واسحب أمعائه خارجاً، افقاً عينيه وسيتحمل ذلك كله، ولكنني لست متأكداً منه في هذه".

"أريدك أن تصدق شيئاً. إنه يصدقك".

فكر الفارس لبعض الوقت، رسم أنماطاً غامضة على العشب بعصاه السوداء الطويلة. ثم قال أخيراً:

"أوافق، يجب أن يعرف، ولكن الحقيقة عبء ثقيل حتى بالنسبة إلى رجل ناضج. سأكون سعيداً إذا رميت بها بعيداً".

"أنت عجوز، وهو شاب. يجدر ببعض الشباب الألمان أن يأخذوها منك".

"كما تريده، يا الفرد. سأكون كما تحب. قد يكون هناك خطر شديد في إخبار هيرمن، وأتوقع أنك تدرك ذلك".

"ما عقلت الكثير من الأمور في حياتي لأعقل شيئاً محدداً".

"باستثناء عدم السماح لك بالطيران؟".

"أوه، حسناً" ضحك الفرد. "أعلم أن تلك صبيانية حقاً". "متى بدأت تعقل الأمور؟".

"في السادسة عشرة فقدت إيماني".

"والآن؟".

"أقترب من السادسة والثلاثين".

"عشرون عاماً من السعي وراء الضوء في الظلام والانسجام في الارتباك.  
يتعبك ذلك جداً أحياناً، كما أتوقع".

"نعم".

"وهكذا قد ترحب في الموت، لمجرد أن تكون قادراً على التوقف عن  
التفكير؟".

"أوه، أحياناً يشعر المرء بشيء من هذا القبيل".

"يثير بعض الرجال إعجابي أحياناً.<sup>(1)</sup> Auf Wiedersehen يا ألفريد".

بدون تحية عسكرية، أو يحيا هتلر، بأنف محمّر جداً وأضلاع مؤلمة،  
اتخذ الفارس العجوز طريقه إلى منزله.

(1) إلى اللقاء

## الفصل الرابع

عرج أَلْفِرِد عائداً إلى باحة المحكمة ليأخذ كيسه وعصاه. كان رأسه يؤلمه وإحدى ركتبيه مرضوضة بشدة، بحيث جعلته يعكرز عليها، لكنه كان سعيداً سعادة غامرة. إنه يحوز الآن شيئاً لا يمكن لأحد على الإطلاق أن يسلبه منه، حتى لو مزقه إرباً - كان قد طار. وهناك أشياء أخرى تجعله راضياً أيضاً. تبددت بعض الظلمة، وزالت بعض الحيرة. كان على وشك أن يعرف شيئاً أكيداً بدلأً من التخمين والتخمين، حتى يظن أنه أصيب، رغم كونه رجلاً صلباً وعنيداً، بمس من الجنون. ورغم أنه ضحك من نفسه، إلا أنه كان منتثياً والسماء لاتزال فوقه، معظم الوقت الذي قضاه في الطيران.

في مبني المحكمة، كان الحاجب النازي التقى والمتحيز عرقياً عند الباب حاقداً ومزدرياً له.

"ماذا تريدين، يا هذا؟" قال مقاطعاً في منتصف الممر فيما أَلْفِرِد يعرج ليتجاوزه في مدخل البهو.

"أريد كيسني وعصاي، من فضلك".

صوت لهجة أَلْفِرِد جعلت النازي يتفاجأ. أجنبى قدر. سادعه يطلب دون طائل كيسه وعصاه. كان النازي قد باشر عمله منذ نصف ساعة. وبقيت أمامه ساعتان لينصرف قبل أن يقفل دار المحكمة ليلاً. ويمكنه قضاء دقائق

قليلة في محادثة ممتعة.

"ولماذا تركت أمتلك الغريبة اللطيفة والنظيفة.. كيسك المقمول وعصاك في دار المحكمة عندنا؟".

كان الفرد سعيداً جداً ليقبل الإهانة الآن، حتى الموجة نحوه. وكان بالكاد قد سمع ما قاله النازي.

"طلب الفارس مني أن أذهب معه حالاً".

"الفارس!" قال النازي، مشيراً بيده تراجعاً نحو رأس الفرد.

"طلب النبيل منك أنت، أيها القذارة". زاغ الفرد من الضربة بمهارة اكتسبها من الممارسة طوال حياته. سببت الحركة المفاجئة المماً غائراً في ركبته المصابة. فجفل متراجعاً عن النازي، الذي ضحك دون اعتراض.

"أنت أيها البريطاني الأصفر"، قال. "لا يمكنك أن تصمد أمام نقرة؟ حسناً<sup>(1)</sup>، أنا لن أؤذيك، يا صغيري الجميل. سيكون علي الذهاب لغسل يدي إذا لمستك، على أية حال".

"طلب مني النبيل أن أصحبه فوراً، لذلك اضطررت للمغادرة تاركاً كيسى عصاي" أوضح الفرد مرة أخرى. "أرجوك هل يمكنني أخذها؟".

"كلا".

"هل يمكن أن آخذ العصا؟" سأل الفرد لا يزال متحلياً بالأدب. (كان قد حلق بالطائرة، وهو ماض لمعرفة بعض الأمور، فماذا يهمه في هذا الجاهل؟ إنه بقدر الفار أو غيرها من الحيوانات المؤذية العاجزة) "أنا أُعرِّج".

(1) يا عزيزي

"يا عزيزي، يا عزيزي، يا له من شيء مؤسف! أخشى أن عليك أن تستعيض عصا الفارس لهذه الليلة. أنا متأكد من أنه سيكون سعيداً بمنحها لك".

انفجر أَلْفِرْد ضاحكاً، وكانت تلك الفكرة الخيالية المسلية للحاجب تقترب من الحقيقة. ربما يقوم العجوز فون هييس بإعارة عصاه إذا سأله ذلك.

"ما كل هذه الضجة اللعينة؟" أَتَتْ هذه المقاطعة الغاضبة من وراء النازي، كان مساعد الفارس الذي كان مشغولاً داخل غرفة المحكمة، قد هرع نحو الباب الخارجي.

"هذه ليست حضانة أطفال. أوه، إنه أنت مرة أخرى!" قال ذلك عندما رأى أَلْفِرْد.  
"ماذا تريدين؟".

"أريد كيسِي وعصاي، من فضلك، سيدي المساعد. لقد اضطررت إلى تركهما هنا لأن النبيل الفارس أرادني أن أذهب معه فوراً".

"إذاً. لماذا بحق الجحيم لا تأخذهما من دون كل هذا الهدر؟ أنا أعرف جيداً أنك مضيت مع الفارس. رأيتكم تخرج من هنا".

لم يقل أَلْفِرْد شيئاً، ولكنه تمايل داخل المدخل وجمع ملابسه. حيا المساعد وابتسم ابتسامة عريضة للنازي. "يُحيَا هتلر!" صرخ مبتهجاً، "ليلة سعيدة".

"لماذا لم تسمح له بالحصول على أشيائِه؟" سأَلَ المساعد بحدة.

"إنه مجرد أجنبٍي قذر، سيدي المساعد" قال النازي بصعوبة.

"ولأنه مجرد أجنبٍي قذر كان ينبغي عليك أن تعرف أنه لا يجب أن يتواجد هنا مطلقاً من دون سبب خطير. عليك أن تكون حذراً وتدعه وشأنه.

لديه عمل ما مع الفارس. لا يمكنك منع أن يكون وجهك مثل فانوس الليل،  
أجرؤ على القول، ولكن يمكنك السيطرة عليه".

عاد المساعد إلى غرفة المحكمة في ضجة تاركاً النازي مذهولاً.

وجد الفرد طريقه إلى مزرعة بيت الفارس، التي لم تكن تبعد كثيراً، من منزله الرائع، عن المرآب وأرض المهبط. تجول قليلاً في فناء المزرعة الخاوي حتى وجد رجلاً في محلب الماشية. سأله الفرد عن الطريق إلى غرفة هيرمن. وكان ذلك الألماني شخصاً مرحًا دون أي ازدراء صريح للأجانب.

"هناك فوق الحظيرة" قال، "من خلال هذا الباب ستتجد بعض السلالم. سيكون العشاء جاهزاً خلال ثلاثة أرباع الساعة في غرفة الطعام بالمزرعة. إذا كنت تريده أن تغتسل، هناك تجد المضخة".

"هل يمكنني تناول العشاء معكم؟" قال الفرد شاعراً بالدهشة.

"حسناً، أنت الإنجليزي صديق هيرمن، أليس كذلك؟ لقد قال لنا إنك قادم عندما ينهي الفارس حديثه معك. ماذا كان يريد منك؟".

"أوه، لقد تحدثت عن إنجلترا. كان فارس ميناء كبير يقع قريباً من مكان سكني. أوه، اللعنة على ذاك الصبي!" كان الفرد قد تذكر فجأة أن سترته الصوفية قد ضاعت في مكان مجهول، وكانت لا تزال تحت ذراع الصبي المصاب. ولا يملك هيرمن فراشاً إضافياً، بطبيعة الحال، كما أن الأكياس في مخزن الغلال ستكون قاسية. ولكن، لا يبدو أن الجو سيرد، فأخذ يخلع معطفه وقميصه ليتمتع بالأثر المنعش للماء تحت المضخة. ثم قام بتمثيل شعره ولحيته، وطلب من اللبناني الودود جبلاً قصيراً أو حزاماً قديماً.

"لا أستطيع الحفاظ على سروالي في مكانه الصحيح، والصبي أخذ

حزامي وكذلك سترتي".

"أي صبي؟".

"الأفضل أن تسأل هيرمن عن ذلك. شكرًا، سأكون على ما يرام. هل سيأتي هيرمن إلى مخزن الغلال قبل العشاء؟".

"ستكون هناك صافرة لموعده العشاء إذا لم يفعل. تعال مباشرة إلى المنزل. لباس في ذلك، كما تعلم. قد تكون الإنجليزي الوحيد، ولكنك صديق هيرمن في هذه المزرعة. غير أن عليك أن تكون لطيفاً مع رئيس العمال، إنه رجل قصير ذو لحية سوداء داكنة".

شكراً ألفرِد. وصعد إلى غرفة هيرمن واضطجع على فراش القش القاسي الضيق، سعيداً بإراحة ركبته. وكان هيرمن قد قام فعلاً ببعض التجهيزات لمقدم ضيفه، كان قد رتب كومة من الأكياس على شكل سرير في الزاوية الأقل عرضة للهواء في مخزن الغلال، ولكن ألفرِد كان يعتقد أن ليس هناك أي ضرر في استخدامه للسرير حتى يأتي ضيفه. ورغم الألم في ركبته، داهمه النعاس، وسقط من فوره في نوم عميق.

أيقظه بعدها صوت ضحكة هيرمن.

"يا لك من محب للنوم!" قال هيرمن، ناظراً نحو صديقه. رمش ألفرِد بعينيه في وجهه.

"هل حان وقت العشاء؟".

"قريباً. قال كورت إنك تعرج بشدة، أيمكنك المشي دون عصا. ما الذي حدث؟".

"أوه، الكثير من الأشياء. ولكنني أفضل أن أخبرك لاحقاً. أنا سعيد لأنك

نام هنا وحدك وليس في المنزل".

"أنا أفضّل المكان هنا خارج المنزل" قال هيرمن، وقد استعاد مزاجه تماماً، وكذلك سعادته في وجود الفرد معه وفي غرفته الخاصة، مضطجعاً على سريره الخاص، ما أعطى وجهه إشراقة ساحرة مؤقتة. ولكن قريباً ستخيّم عليه تعاسته المظلمة المعتادة.

"هذا هو الشيء الذي أحبه أكثر. أن أكون لوحدي، أستمع إلى الأبقار تحتي عندما تكون في فصل الشتاء. إنها في الحقول ليلاً الآن. أنا أكره أن أنام في المنزل. هل تشعر بالصداع؟".

كان الفرد يتحسّس رأسه بأصابعه، ثم يهزه كما لو كان غير متأكد منه.

"لا، أنا أفضل بكثير. ولكنها كانت ضربة قوية".

"هل تشاهدت مع أحد؟".

"أنا لا أدخل شجاراً أبداً ما لم أضطر إلى ذلك. هناك صافرة، يا هيرمن. هل سيكون العشاء جيداً؟".

"أفضل مما قد يتاح لك في كثير من الأوقات، أجرؤ على القول. هناك البطاطا والحساء والخبز، والكثير من التفاح بقدر ما ترغب. بالطبع سيتاح لك أفضل منه، أثناء تناولك الغداء مع الفارس".

"يمكنني أن ألتهم موائد ثلاثة فرسان" قال الفرد، مثبتاً حزامه. "يقولون إن الرجل الذي ينام طويلاً لا يكون بحاجة لتناول الكثير من الطعام، ولكنني أنام طوال الليل وفي أي وقت أكون فيه متفرغاً خلال النهار أيضاً، وأنا جائع على الدوام".

"إن من النعمة أن يتوفّر لديك كل ما تود أكله". قال الشاب النازي على

نحو ورع.

"لا بد أن الفرسان لا يستطيعون مقاومة إغراء الطعام".

"آه، ذلك شأن مختلف. بالكاد يمكنهم العيش بدونه، إذا كانت هناك أي مناسبة لذلك".

تمتع أفراد بعشائه جداً. كان هناك ما يكفي من الطعام، الجيد في حد ذاته، وكان جميع الألمان لطيفين جداً معه، بما في ذلك فورمان، الذي كان قد جذبه شيء في شكله الممتلئ القوي وفي عينيه الرماديتين الداكنتين. قدّم هذا الرجل له ولهيمن سجارة رخيصة لكل منهما كي يدخناها بعد العشاء. هيمن لم يكن يتحمل كلفة التدخين دائماً، في حين حُسبت نفقات حج أفراد لتكون بفنك<sup>(1)</sup> واحد، لإبقاءه في حالة صحية جيدة، ولاستبعاد أي كماليات من أي نوع. لم يكن يدّخر أي مال. فلم يكن هناك أي حافز للنازيين أو للأعراق الخاضعة لتوفير المال. فالدولة ستتكلف برعايتهم عندما يمرضون أو يشيخون ويتقاعدون عن العمل، ترعى الدولة الأبناء والنساء أيضاً، ويعتنى بهن جيداً قبل البلوغ وفي سن الإنجاب. أما بعدها فيوضعن على الهامش الضيق جداً. ستظن مارتا العجوز نفسها في جنة الرجال إذا استطاعت تناول الوجبة التي انتهى منها أفراد لتوجه. لكن أفراد لم يكن يقلق قط إزاء المعاناة اليومية للنساء. وهو لا يكاد يدرك أنهن يعانيين. وكان من الطبيعي والصحيح الذي ينبغي دائماً أن يكون لهن نصيب أقل من نصيب الرجال، فعندما لا يعود في مقدورهن الحمل لماذا نعطيهن أكثر من مجرد ما يبيهنهن على قيد الحياة؟ ليس أمامهن أي عمل شاق لينجزنه. لذلك لم يفسد متعته بالأفكار العقيمة عن الغير الذين يتضورون جوعاً، فقبل

---

(1) البفنك pfennig عملة ألمانية قديمة تعادل البنس (أو القرش) الإنجليزي

السيجارة بفرح، وكأنها إكليل صغير ملائم في يوم مجيد.

ثم صعد بصحبة هيرمن إلى مخزن الغلال ليتقاسما متعة التدخين معاً، خارج صحبة أولئك الذين بالكاد استطاعوا إخفاء حسدهم. لم يكن التدخين ممنوعاً ولا مشجعاً في الإمبراطورية. كان المقدس، الرب البطل، بطبيعة الحال، لا يدخن إطلاقاً، ولا يأكل اللحوم، ولم يشمل من شرب الجعة أو النبيذ. (كان بطول سبعة أقدام) وكانت مآثر قوته الهائلة تعود إلى الأغذية الغنية الخشنة المحببة لأقل الألمان. ولم تكن هناك ضرورة مطلقة في محاولة تقليل طريقته في العيش، في زهده التام (والذي شمل عدم التواجد مطلقاً في حضور المرأة المدنسة)، فكان معظم الرجال يدخنون ويشربون الجعة وياكلون اللحوم، حيث أمكنهم ذلك.

أضاء هيرمن المصباح الكهربائي، الذي مدد من النظام الكهربائي للحظيرة تحته.

قال أفراد: "القمر بدر يا هيرمن. دعنا نفتح الباب في السقف وندع ضوء يواجهنا. الجو حار جداً في الداخل".

أطفأ هيرمن المصباح، وفتح الباب الذي تُدفع من خلاله الأكياس إذا تم استخدام الدور العلوي لغرضه الصحيح. سحبا السرير قرب الباب وجلسا عليه جنباً إلى جنب. أشعل سجاريتهما، وأخذَا يسحبان أنفاساً طويلة لذيدة من الدخان. "لا أظن أنني سأحب أن أكون فارساً" قال أفراد. "لا أقدر أن أصدق أنهم يستطيعون التمتع بشيء، رغم امتلاكهم كل شيء. لم تتح لي السجائر منذ أن غادرت إنجلترا".

"جيدة، أليس كذلك؟" غمم هيرمن.

" علينا عند الانتهاء منها أن نحصل على واحدة أخرى لكل منا، لو كان

المرء فارساً لأمكنته وقتها مواصلة التدخين من علبة سجائر".

"حسناً، إنها لم تنته، وقد بدأت لتوها، لذا دعنا لا نفك في ذلك".

أخذوا يدخنان بصمت، وينظران إلى الساحة المقامرة، والحظيرة الكبيرة ترتفع سوداء فاحمة على الجانب الآخر. شقت قطة طريقها بخطوات رشيقه وكأن الساحة مليئة بالبرك. كان الرجلان مسترخيين تماماً كي يهمسا لإبعادها. انتاب هيرمن الفضول ليعرف ماذا فعل الفرد بعدما صرفه الفارس، خارج غرفة المحكمة، لكنه كان على استعداد تام للانتظار حتى يبدي الفرد استعداده ليتحدث لوحده. أما الفرد فكان ينتظر أيضاً، غير راغب في إفساد متعة هيرمن، حتى أنهيا السيجارتين لآخر نفس ممكناً فيهما، ممسكين بالعقب بحواف الأظافر. وسحقا النهايات المشتعلة بعنایة على الأرض.

"من دون شرر" قال الفرد. "ذهبتا. بصمت تام. الآن لو كنت فارساً، هل كنت أشعلت أخرى أم لا؟ كلا، ما كنت لأفعل. لكنني الآن أود أن أملك واحدة لصباح الغد". وأضاف "صباح يوم الغد!" بلهجة مختلفة.

"هل هنا لك ما سيحدث غداً؟".

"نعم. في وقت مبكر سوف تصلك رسالة تبلغك بالحضور إلى منزل الفارس في العاشرة".

"بخصوص مغني السوبرانو اللعين؟".

"كلا".

"ماذا يمكن أن تكون؟" قال هيرمن "و كيف علمت بذلك؟ هل تعرف لماذا؟".

"هيرمن، هل ترغب بالحرب مع اليابانيين؟".

"يا إلهي هتلر! هل أرغب فقط؟ هل ستتشبّه الحرب؟ مرحى!".

"لن تكون هناك حرب. ولكن ما سيحدث سيكون أسوأ بكثير من الحرب على الأقل بالنسبة إليك. عليك أن تكون شجاعاً من أجل ذلك. حسناً، انظر هنا، سأقول لك شيئاً لأظهر لك كم هو غريب ومهم ما سيحدث. لقد أخذت الفارس في طائرته الخاصة بعد ظهر هذا اليوم. لقد طرت بالطائرة".

"أنت طرت بال---! ولكنك مجرد إنجليزي! ولا يمكنك أن تطير بطائرة. أوه، لا تكن مضحكاً، يا أفراد. أنا لا أحب ذلك".

"هذا صحيح، يا هيرمن. يجب أن تصدقني وإلا فستتعرض لصدمة قاسية دون داع، لقد طرت إلى ميونيخ وعدت معه، وهبّطنا بسلام، على الأقل كنت سأفعل، ولكن بعض الحمقى كانوا في الطريق، كانت المسافة كافية حقاً، لكنهم جعلوني في حالة عصبية، ورغم أنني حطمت الطائرة على جدار المرآب قادماً بسرعة كبيرة، فقد كان الأمر ممتعاً للغاية، تماماً مثل كلب يمرّ عائداً إلى وجاره، لم يصب أيٌ منا بأذى جسيم. تآذت ركبتي ورأسي قليلاً، أما هو فقد نزف أنفه وصدمت أضلاعه".

"نزف أنفه!" قال هيرمن مذهولاً، متصدراً هذه النقطة في القصة التي لم يصدقها.

"نعم نعم. أليس للفرسان أنوف يمكنها أن تنزف إذا ضربت؟ حتى أنه ظن أننا قد نقتل".

"لقد فقد عقله. - فون هييس عشيرتنا - إنه ليس كالآخرين. ما كان يفترض بك أخذه، يا أفراد. كان شيئاً غريباً تقوم به، وهو لا يستطيع أن يضبط نفسه".

"إنه ليس مجنوناً" قال أفراد جاداً جداً، ثم أضاف بضحكه مكتومة " وإن كنت لا أمانع ذلك. هل ظننت أنني كنت أسمح لحياة فارس معته أن تقف بي و بين فرصة الطيران؟ أبداً. لكنه ليس مجنوناً. لنقل الآن على الأقل، وهو سيخبرني يوم غد لماذا رغب في نيل فرصة سانحة كي يموت، وأن يتخلى عن كل شيء (أياً كان)، مقابل حسن حظه غير المحتمل بنجاحي في أن أطير بالطائرة لأول مرة دون رجل ثان يتحكم فيها معي. وسيخبرك أنت أيضاً".

"لماذا أراد أن يُقتل؟" "وأن يكون هناك احتمال لعرضه للموت"، هز هيرمن رأسه عاجزاً. "أنا لا أفهم".

"ولا أنا. سفهم غداً. أنا أصر على أن تعرف أيضاً".

"لا أريد أن أعرف شيئاً!" صرخ هيرمن مذعوراً. "الرجل العجوز مجنون وأنت انتهت بذلك لتطير. كل شيء، كل ذلك جنون في جنون".

"كلا هيرمن، إنه ليس كذلك. عليك أن تكون رجلاً وتقف إلى جانب شيء أكثر من المشاجرات والعمل في المزرعة. ربما تجد نفسك في جهنم، ولكن لا تهرب منها، أنا سأقف معك. والفارس سيساعدنا أيضاً".

"أنا لا أفهم" قال هيرمن بيسار تقربياً. "لماذا يجب علينا أن نعرف أشياء ثم نُساعد بعدها؟ لماذا لا يدعنا وشأننا؟ لماذا قلت أن علي أن أعرف".

"أتريد مني أن أسمع أشياء من الفارس لا تقال أمامك وكأنك صبي في الثانية عشرة يُبعد عن حديث الرجال؟".

"حسناً، كلا. ولكن - لماذا ليس شخصاً آخر؟ أوه، أعني، أنا لا أعرف".

"هيرمن، أنت تحبني، أليس كذلك؟ ألمست ثق بي؟".

"نعم" قال هيرمن بصوت خفيض.

"ورغم كوني إنجليزياً؟".

"نعم".

"إذا، إذا كان في مقدورك محبة والوثق بإنجليزي، فأنت تفهم فكرة أنه قد يكون هناك شيء مهم، بعض المعرفة، بعض الحكمة، وهذا أمر لمنفعة كل واحد منا، ولجميع الرجال على حد سواء؟".

"نعم، أظن أنني أفهم ولكنني لست كذلك، يا ألفريد"، صار صوت هيرمن همساً - "ليس إذا كان ضد ألمانيا".

"الفارس ألماني أيضاً".

"أعرف ذلك - أوه، أعرف أنه لا يمكن أن يكون كذلك".

"والفارس لا يمكن أن يكون أبداً ضد مصلحة ألمانيا. في الواقع، يا هيرمن، هو رجل رائع جداً، فارس عشيرتك هذا. هل نخلد إلى النوم الآن؟ لقد تأخر الوقت".

"نعم"، قال هيرمن شاكراً. "خذ السرير".

"كلا، كلا. الأكياس مناسبة لي".

"بسبب ركبتك، من فضلك، يا ألفريد" توسل هيرمن. "كنت ستفعل ذلك معي لو كنت أنا من تعرض للأذى في شجار الغد؟".

"أوه، مع حق، يا صاحبي. ليكن ما تحب. "نزع هيرمن حذاءه، واستلقي على الأكياس ولفت وجهه إلى الحائط. وفي الحال، ورغم خوفه وقلقه، غرق في النوم. أما ألفريد، خلافاً لعادته، بقي مستيقظاً لبعض الوقت.

في منزله الكبير، وعلى سريره المريح، كان العجوز فون هيس مستيقظاً أيضاً يعاني ألمًا في جنبه وقشعريرة باردة غامضة تذرع عموده الفقري صعوداً وهبوطاً. كان الانفعال يسيطر عليه، وهو من كان يظن أنه تخلص منه إلى الأبد قبل فترة طويلة، ولن يشتت ذهنه. دين وخلق طفولته اللذين تركهما انتصبا أمامه مثل عملاقين، وهو نفسه، رجع إلى حجمه كطفل، وانكمش أمامهما في عجز. إنه يحتاج لساعات طويلة كي تتمكن من إعداد نفسه للمعركة، وعندما يفعل ذلك، فإنه لن يصل إلى أية نتيجة حاسمة. وأخيراً، ذهب إلى النوم، مستنفداً ومرهقاً، وكانت الأوهام والشكوك لا تزال موجودة. وعندما استيقظ في ضوء النهار الشافي وجده أن تلك الشكوك والأوهام قد تبددت.

في الصباح كان يبدو أجوف العينين قليلاً، والملمح الوردي المنتفخ قليلاً لأنفه المعقوق منحه مظهراً عبيضاً. لكنه كان هادئاً تماماً. كان أفراد وهيرمن قد اقتيدا إلى غرفة المكتبة، هيرمن كان يعرف أنه مهما كان، فلن يكون مجنوناً. نظرت عيناه الرماديتان برصانة نحو الرجلين، ثم نحو الخادم النازي الذي أحضرهما إلى المنزل.

"هainriech".

"نعم يا سيدي".

"لا تدع أحداً يزعجني، أو يقترب من باب هذه الغرفة، ولبيق في نهاية الممر على أقل تقدير. قف هناك بنفسك حتى أبعث إليك. هل فهمت؟ لا تسمح لأحد أن يزعجني تحت أي ظرف".

"حاضر سيدي" خبط الخادم عقبيه وحياه.

"انصرف".

خرج هاينريش. وكان هيرمن وألفرد لا يزالان في وضع الاستعداد.

"استريحا. لا، أعني اجلسا، كليكما".

لهث هيرمن. لم يحدث من قبل أن جلس في حضور هذا الفارس أو أي فارس آخر.

"اجلس يا هيرمن" قال الفارس بحنق. "افعل ما أقوله لك، ألا يمكنك ذلك؟". كان انفعاله المؤقت أول علامة على ما يعانيه من ضغط عصبي. جلس هيرمن بعجل على كرسي بجانب ألفرد. كان الفارس يواجههما، ويجلس وراء مكتب كبير، يضع مرفقيه عليه، يشبك يديه بجدية. كان هيرمن يشعر بحرج مؤلم من جلوسه أمام الفارس، فثبتت عينيه على الياقوته الكبيرة في خاتمه. بينما تمعن ألفرد في وجه الفارس بانتباه شديد.

"أنا لا أعرف من أين نبدأ" قال وهو يسعل سعلة خفيفة. "خصوصاً وأن أياً منكم لن يستطيع فهم كل ما أنا بصدده أن أخبركم به. قد يستطيع ألفرد فهم حوالي النصف، أما هيرمن فلن يفهم شيئاً تقريباً. ربما يكون من الأفضل البدء بشرح خاص. هيرمن، هل سمعت من قبل تعبيراً كهذا في هذه الأنحاء، "مجنون مثل فون هييس"؟".

"نعم، أيها النبيل، سمعت ذلك مرة أو مرتين".

"عائلتي غريبة الأطوار، وليس مجرد مجنونة. لم يسبق لأحد أن كان مجنوناً، رغم أنني لا أعرف لماذا حقاً لم يحصل ذلك، ولكنهم غريبو الأطوار، ولسبب وجيه. كان بعضهم"، أضاف "قد انتحر بسبب أكثر وجاهة. وأفضل بكثير من أسباب الانتحار الأخرى العديدة جداً بين الرجال الألمان".

"هل فعلوا ذلك -- " بدأ ألفرد بالقول، ثم توقف. "أنا آسف لذلك يا

سيدي".

"نعم، يا أَلْفِرِدُ. وَلَكِنِي سَأَتَيْ عَلَى ذَكْرِ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. مُنْتَهِرُونَ، نَعَمْ، أَكْثَرُ وَأَكْثَرُ كُلَّ عَامٍ. حَسَنًاً، وَالسَّبَبُ فِي غَرَابَةِ أَطْوَارِ عَائِلَةِ فُونْ هِيْسْ هُوَ لَعْنَةُ عَائِلَيَّةٍ مِنْ نُوْعٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، هِيَ لَعْنَةُ الْمَعْرِفَةِ. وَهِيَ السَّبَبُ وَرَاءَ حَالَاتِ الْانْتَهَارِ بَيْنَهُمْ. الرَّجُالُ الْمُضْعَفُ لَا يَحْتَمِلُونَ الْمَعْرِفَةَ". كَانَتْ عَيْنَاهُ قَدْ اسْتَقْرَرْتَا عَلَى هِيرْمَنْ، ثُمَّ عَلَى أَلْفِرِدِ قَائِلًاً "أَظُنُّ أَنِّي سَأَتَحْدِثُ بِالْإِنْجِليْزِيَّةِ". أَيْمَكْنُكَ الْمَتَابِعَةَ جَيْدًاً يَا هِيرْمَنْ؟".

"نعم يا سيدي".

"أَرِيدُ أَنْ أَتَأْكُدَ تَمَامًاً مِنْ أَنَّ أَلْفِرِدَ يَفْهُمُ كُلَّ مَا عَلَى قَوْلِهِ". أَنَا فَخُورٌ بِالْقَوْلِ إِنَّ مَعْظَمَ الرَّجُالِ مِنْ عَائِلَةِ فُونْ هِيْسِ كَانُوا أَقْوَيَاءَ. كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى الْعِيشِ مَعَ الْلَعْنَةِ وَنَقْلِهَا إِلَى أَبْنَائِهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. وَلَكِنْ رَغْمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا الْمَعْرِفَةَ تَقْتِلُهُمْ (بِاِسْتِثنَاءِ عَدْدٍ قَلِيلٍ مِنَ الْجَبَنِاءِ) فَلَمْ يَكُنْ أَيُّهُمْ قَدْ نَقْلَهَا إِلَى أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ مِنْ خَارِجِ الْعَائِلَةِ. أَنَا أَوْلَى مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ، لَأَنِّي آخِرُ سَلِيلِ لِفُونْ هِيْسِ. لَنْ أَكُونَ أَنَا مَنْ يَهْرُبُ مِنَ الْمَسْؤُلِيَّةِ، كَالآخَرِينَ. فَكَمَا يَعْرِفُ هِيرْمَنْ، قَتْلُ أَوْلَادِيَّ الْثَلَاثَةِ كُلُّهُمْ فِي حَادِثٍ تَحْطِمَ طَائِرَةً مِنْذُ سَنَوَاتٍ بَعِيدَةٍ، وَبِسَبِيلِ الْقَدْرِ النَّحْسِ لَمْ يَكُنْ لَأَحَدٍ مِنْهُمْ أَيُّ أَطْفَالٍ ذَكُورٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. أَنَا لَمْ أَعْدُ قَادِرًاً عَلَى إِنْجَابِ الْمُزِيدِ مِنَ الْأَبْنَاءِ - وَبِسَبِيلِ ذَلِكَ الْحَادِثِ وَصَلَتِ الْأَسْرَةِ إِلَى نَهَايَتِهَا. يَمْكُنْنِي تَبْنِي يَتِيمَ فَارِسَ، وَلَكِنِّي لَا أَرِيدُ. أَنَا لَا آخُذُ الْأَمْرَ عَلَى مَحْمَلِ الْجَدِّ. فَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَلْحُقَ الْلَعْنَةُ بِدَمِ أَنَاسٍ آخَرِينَ. وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ، فَإِنَّ لَعْنَةَ عَائِلَيَّةٍ مِنْ هَذَا النُّوْعِ، هِيَ حِيَازَةٌ مُنْحَتٌ - لِحَسْنِ الْحَظْ - أَوْ لِسُوءِهِ - فَرْسَانُ فُونْ هِيْسِ وَضِعَاءً مُخْتَلِفًاً عَنِ الْآخَرِينَ مِنْ رَتْبَتِهِمْ نَفْسَهُمْ، وَكَانُ بِغَيْضًاً عَنِّي أَنْ عَلَى نَجْلِ رَجُلٍ آخَرَ أَنْ يَتَقَاسِمَهَا مَعَنَا. الرَّجُالُ، لِحَسْنِ الْحَظْ، مِنَ الْغَبَاءِ بِحِيثُ يَمْكُنُهُمُ الْفَخْرُ

بلعنة طالما أنها لعنة عائلية، ولا أحد من عائلة فون هييس طوال هذه الأجيال والقرون، قد قضى على اللعنة، رغم أن العديد منهم كان قد أغراه فعل ذلك بالتأكيد".

"هل يمكن لعائلات الفرسان الحفاظ على أنفسهم حقاً من جيل إلى جيل خلال مئات ومئات السنين؟". سأله الفرد، فيما توقف الفارس.

"إنهم لا يستطيعون. يجري باستمرار شغل صفوف الفرسان بأطفال ذكور نازيين، والذين لا يدعى رجل معين أبوتهم. لكن فلتكتب فطنتك، يا الفرد. سأتي إلى أشياء من هذا القبيل في الوقت المناسب. عائلة فون هييس، بعض الحظ الاستثنائي، لم يفتقرها يوماً إلى الوراثة الذكور. لديهم إصبع ملتوية" رفع الفارس يده اليسرى "تظهر وتخفي".

هيرمن كان يفكر بخدر، "بأطفال نازيين؟ أطفال نازيين.. أطفال نازيين. تظهر وتخفي".

"يقال إن فون هييس الأول" قال الفارس "كان صديقاً مقرباً لهتلر. ولكنني لست على يقين من ذلك. كان هناك رجلان يحملان الاسم نفسه. الآخر هو رودولف فون هييس الذي سُجّل في قائمة الأبطال، ولكن فون هييس، المقصود، عاش بعد حوالي مائة وخمسين سنة من وفاة هتلر".

("مات؟" فكر هيرمن "مات؟ الرجال فقط يموتون. أوه، أيها الراعد المقدس، لو استطعت أن أفرّ من هنا!).

"وكان اسمه فريديريك، مثل اسمي. حسناً. ترك فون هييس ذاك شيئاً للأسرة. نال أحدهما، وصنع الآخر. حصل على صورة، وكتب كتاباً. أعتقد أن الأفضل لكما رؤية الصورة أولاً".

دس الفارس يده في درج المكتب وسحب ورقة سميكة لشيء ما ملفوف في ورقة رقيقة، ووضعه على الطاولة أمامهما، وهو يريح يديه بخفة عليه.

"هذه ليست، طبعاً، النسخة الأصلية. لقد تم استنساخها مرات عديدة، وقد تم تجديد اللوحة نفسها من وقت إلى آخر عن طريق تصوير طبعة جيدة وواضحة بشكل خاص. ولكنني أعطيكم كلامي يا رجال، أنه، على حد علمي، هذا هو التصوير الدقيق للممثل لربنا هتلر كما كان في حياته. لقد شاهدتما عدداً لا يحصى من التماثيل والصور. وتعرفون، كما تعرفون جيداً وجه أفضل صديق لديكم، ما هي صفاتة الجسدية، قامته الضخمة، شعره الطويل الكثيف الذهبي، لحيته العظيمة الذهبية الرجولية التي تنتشر على صدره، عيناه داكنتا الزرقة، وحاجباته النبيلان المقوسان وبقية المعالم. ولكنه كان في الواقع ما ترون هنا".

فك الفارس لفة الصورة وقدمها إلى أفراد.

"امسكتها من الحافة"، قال.

كان هيرمن متحمساً بشدة وبالكاد يمكنه النظر. تضبت عيناه وأخذ يفركهما بغضب مستعجلأً وأخذ مرة بعد أخرى يحدق ويحدق، ويلهث مثل رجل يركض. رأى مجموعة من أربعة أشخاص، اثنان إلى الخلف قليلاً، واثنان في الأمام. كان الشخص المحوري في الصورة ضئيلاً (الاثنان في الخلف كانوا أطول منه)، عابساً، عيناه بنيتان أو بلون كستنائي عميق، كان وجهه أمرأة باستثناء نمو أسود صغير على شفته العليا. حلق شعره قصيراً باستثناء جزء بسيط كان أكثر طولاً وينسدل على جبهته. كان يرتدي سروالاً ضيقاً غير لائق، مثل النساء، بدلاً من السراويل الرجالية الكاملة كما في جميع التماثيل والصور. كان شكله لا يوحى بالبطولة، وغير ذكوري تقريباً. أين

ذهب المنكبان العريضان والصدر البارز، المعدة الضامرة والخصر والورك النحيل؟ كان هذا الرجل مائلاً إلى السمنة. كان له، يا للهول! بروز لا يخطئه أحد تحت قوس أضلاعه. كانت له كرش. كما كان أيضاً يملك ابتسامة ساحرة. وينظر مباشرة تقريراً إلى شاب مراهق بجانبه، كان وجهه مشعاً، كانت ملامحه غير المثيرة لانتباه وغير الخشنة تُشعر بالسعادة. الصبي الذي نعم بضوء شمسِ فضل الرب، لم يكن ينظر إليه، ولكن مباشرة إلى الكاميرا. وكان الشاب، رغم عدم نضجه، يملك من اللياقة البدنية الألمانية المقدسة أكثر من الرب هتلر أو من الاثنين اللذين وراءه. كانت له ضفائر طويلة وعريضة من الشعر الخفيف الذي لا بد أنه كان أصفر اللون تنسلد إلى الأمام على كتفيه وفوق صدره، جبهته النبيلة عريضة، عيناه كبريتان زرقاوان أو بلون رمادي خفيف، فكه مربع والفم واسع ينفرج بنصف ابتسامة، تظهر بياض أسنانه الأمامية القوية الكبيرة. وكان يلبس مثل ابن فارس في مهمته العرقية الأولى في الرابعة عشرة، ولكن الرداء الشاحب لهذا الصبي الذي مات منذ قرون نزل إلى أسفل ركبتيه قليلاً. كان مستقيماً ورشيقاً من دون أن يكون متاهباً. وكان يبدو لعيوني هيرمن المحدقتين، أكثر نبلًا، وأكثر ألمانية، وأكثر رجولة، رغم حداثة سنّه، من الرب هتلر القصير العابس ناعم المظهر. استعاد الفرد - كما هو متوقع - توازنه أولاً.

"لا أرى" قال: "إنه من المهم للغاية حقاً ألا يبدو كما كان من المفترض له. الآلاف من الألمان قصار وسمر، وإذا توفر لهم الطعام فسيسمون. هذا لا يجعل منه رجلاً غير عظيم."

"لقد كان رجلاً عظيماً. ولكن هل كان رباً؟".

"أنا لم أظنه كذلك أبداً. ليس بعد أن تجاوزت السادسة عشرة".

"وهناك المزيد في الصورة أكثر من مجرد مظهره فقط".

قال الفارس. "من تظنه كان يحدثه ويبيتس له؟".

"صبي وسيم في حوالي الرابعة عشرة عاماً، ابن لفارس، ولكن كيف لي أن أعرف من هو؟ هل هو رودولف فون هييس؟".

"كلا" قال الفارس. وأضاف "إنها فتاة".

"فتاة!" صرخ ألفريد، مرتباً. هيرمن بالكاد لهث.

"فتاة في حوالي الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. امرأة شابة. انظرا إلى ثدييها".

ما لم يشاهدها من قبل، موقنين أن ذلك الجسم الذي يكاد يلمس الرب هتلر لا بد أن يكون ذكرأً، صار الآن واضحأً لهما. تحت طيات الرداء القصير الناعم كان صدر أنشى بنهددين مستديررين كاملي الاستدارة..

"فتاة!" شهق ألفريد بهدوء. فتاة جميلة مثل صبي، بالشعر والمظهر البارز لصبي، والنظرة المباشرة والجريئة لصبي. أخذ وهيرمن يحدقان ويحدقان، متجاهلين كليأً أي أشخاص آخرين في الصورة. صار ألفريد شاحباً وهيرمن محمراً جداً. راقب الفارس الرجلين الأصغر سنأً بالكثير من التعاطف. وكان عجوزاً جداً ليهتم الآن، ولكنه كان في كثير من الأوقات وعندما كان دمه أكثر حرارة قد أخرج الصورة السرية كي ينظر ويتمعن في وجه تلك الفتاة الألمانية الجميلة.

مرة أخرى استعاد ألفريد توازنه أولاً. وأبعد عينيه بصعوبة بعيدأً عن الصورة، وسأل بصوت متردد "هل هي فتاة معينة؟ امرأة أو ابنة فارس، أو شيء من هذا القبيل؟".

"إنها فتاة ألمانية عادية، ابنة نازي. وهي مميزة فقط ربما في أنها طويلة القامة. كما ترون، إنها تقريباً بطوله".

"وهل كل الفتيات، أي فتيات، كن مثل ذلك؟".

"نعم. يلبسن بهذه الطريقة، بشعر طويل، جميل، ولا يحضر عليهن بأي حال من الأحوال التواجد مع المقدس. وكل ما جاء بعد ذلك، لم يكن ذنبه".

"إذاً" تحدث هيرمن لأول مرة بألمانية جافة "من الكذب القول إنه لم يكن يخالط النساء. إنها كذبة، كذبة".

"بمعنى أنه تجنب وجودهن تماماً، نعم. بمعنى أنه لم يكن مولوداً من امرأة، نعم. بمعنى أنه يستبعدن من الجنس البشري وأقسامه، ولم يسمح لهن لا بالجنسية ولا بالانتساب إلى طبقة، نعم. ولكنك يجب أن تتذكر أنه عندما عاش فريدريك فون هييس كان هتلر قد صار أسطورة فعلاً. وسجلات حياته الشخصية، إذا كان هناك أي منها، فقدت أو دمرت. ومن المؤكد أنه لم يتزوج قط، ولكن ما إذا كان قد ضاجع النساء بالمعنى الجنسي أم لا، نحن لا نعرف".

"يتزوج؟" قال أفريد. "أنا آسف يا سيدى، أنا لا أعرف هذه الكلمة الألمانية".

"إنها كلمة مفقودة. إنها غير موجودة في أي مكان إلا في كتاب فون هييس. كونك متزوجاً يعني أن تعيش في منزل مع امرأة واحدة وأطفالك، وتواصل العيش بشكل مستمر معها حتى يموت أحدهما. يبدو ذلك رائعاً، أليس كذلك؟ عاش الرجال في وقت مضى مع النساء. هذا ما كان يحصل".

"كانت النسوة مختلفات" قال أفريد. "يمكنك أن ترى ذلك من هذه

الصورة".

"نعم يمكنك"، وافق الفارس. "في كثير من الأوقات قمت، وربما غيري من عائلة فون هييس، بالخروج بعد النظر في تلك الصورة ورؤيه كيف اختلفت النساء. الحمد للرب كنا جميعاً رجالاً عمليين جداً. كان لا بد من وجود أبناء. وكان هناك أبناء. أما عن الزواج، قد لا تعرف ذلك يا أفراد، ولكن المسيحيين في مجتمعاتهم لا يعيشون كما نفعل نحن، ويفصلون الرجال عن النساء. بل يعيشون في أسر، وهي أن يعيش الرجل، والمرأة، وأبناؤهم الذكور والإثاث، كلهم معاً. أنا لا أعرف كيف يفعلون ذلك، لأن نساءهم تبدو مثل نسائنا".

"أنا أعلم أنهم يفعلون ذلك" قال أفراداً "اطلعت على حياة المسيحيين منذ سنوات. إنه جزء من ديانتهم أن تعيش مع المرأة".

قال الفارس: "أعتقد أن الأفضل أن ترجع لي الصورة، أنت لست مصغياً".

"هل لنا أن نراها مرة أخرى قبل أن نذهب؟" طلب أفراد. ولم يقل هيرمن شيئاً. أطلق نفساً طويلاً وتبع الصورة بشوق بعينيه حتى لفها الفارس ووضعها بعيداً.

"نعم، يا أفراد. ولكن هذا ليس جيداً، كما تعلم. إنه يجعل المرأة حزيناً وحانقاً و مليئاً بالسخط فقط. ربما ربع عبء اللعنة التي وقعت على عائلتي، نجم عن معرفة ما كانت عليه النساء من هذه الصورة. ليس هناك شيء من هذا الآن، ليس في أي مكان في العالم، ولن يكون لمئات السنين، بغض النظر بما قد يحصل. يستغرق الأمر أجيالاً وأجيالاً لجعل النساء يبدين مثل تلك التي في الصورة".

"ولكن لماذا سمحن لأنفسهن أن ينحدرن هكذا؟" سأل أفراد.

"لقد رضخن للحط من شأنهن الذي كان أمراً متعيناً ومخططاً له بشكل مقصود من قبل الرجال الألمان، كي تكون المرأة دائماً ما يريده لها الرجال أن تكون عليه تماماً، بلا إرادة، ولا شخصية، ومن دون روح، وليس سوى انعكاس لصورة الرجل. لذا فإنه لا شيء هن عليه أو قد يصرن أبداً، يعود إلى خطاياهن أو فضائلهن. إذا أراد الرجل لهن أن يكن جميلات فسيكن جميلات. إذا أراد الرجل أن تظهر لديهن إرادة أو شخصية فسيعملن على إظهار ما يشبه الإرادة والشخصية، رغم أنها ليست في الواقع سوى خدعة. إذا أراد الرجل أن يكون لهن مظهر الحرية الكاملة، أو حتى مظهر السلطة الذكورية، فسيصنعن نسخاً زائفة من تلك الأشياء. ولكن ما لا يستطيع الرجال القيام به، ما لم يكونوا قادرين على فعله، هو كبح هذا الخضوع الأعمى وجعل النسوة تتجاهلنهم وتعصينهم. إنها مأساة الجنس البشري".

"لا أستطيع أن أرى ذلك، يا سيدي" قال أفراد "يجب أن يكون من الصائب أن تُسلم المرأة قيادها إلى الرجل. أي شيء آخر سيكون غير طبيعي".

"ذلك صائب تماماً" قال الفارس ببطء، "إن كان الرجال نزيهين: إذا كانوا يهيئون للمرأة وضعياً يناسب صحة وسعادة العرق. لكنهم ارتكبوا خطأ في قيادتهم. ليس خطأ محلياً بسيطًا، ولكنه خطأ يشمل كامل العالم - واليابانيين بتقليلهم السخيف نسخوه منا - وهو مأساة مروعة ومصيبة داهية. لقد قمنا نحن الألمان بجعل النسوة يصرن ما لا يمكن له أن يكون في صالحهن وسيظل كذلك. لعدة قرون قبل أن ينتهي - القاسم المشترك الأدنى، محض حيوانات والعرق يقترب من الانقراض. الرجال يقدمون على الانتحار، والنساء اللاتي كان إحباطهن لاوعياً تماماً، لم يعدن يلدن إناثاً".

هيمن كان يحدق وفمه مفتوح، ولكن أفراد جلس يفكرون جاداً جداً.  
"نعم"، قال. "هناك الكثير من الذكور. اعتقدت أنها كانت مسألة محلية.

"ولكننا لا نقتل أنفسنا كما تقول".

"لا يهم حقاً ما إذا كنتم تفعلون أم لا. حتى في ألمانيا ليست هناك، على المدى الطويل، امرأة لكل رجل، أما في إنكلترا فالتوازن أسوأ من ذلك، هذا كل شيء. سوف لن نحصل على أي عدد أكبر من الأطفال كما كنا نحب".

"لا أعتقد ذلك" قال ألفريد، بعد فترة توقف، "لماذا رغب الرجال يوماً أن تكون الفتيات مختلفات عن تلك الفتاة التي في الصورة، لا بد أنهم كانوا مجانيين، كلهم".

"كان لديهم سبب. الفتاة في تلك الصورة، بجمالها الذي يشبه جمال الولد، كانت أيضاً تملك القدرة على الاختيار والرفض. أنت الرجال تفكرون بنفوسكم عند رؤيتها وتودون امتلاكها. لكنها لا تحتاج إلى ذلك. أنا لا أعني أنها يمكن أن تقاوم كما يمكن للطفل، ولكن هذا القانون، الذي وضعه الرجال، يقوم بحمايتها. يمكنها رفض أي رجل حتى لو توسل إليها بالطريقة الأبعد عن الشعور بالكرامة والرجلة. يمكنها أن ترفض أي رجل طوال حياتها. لديها الحق في رفض حتى الفوهير، وإن كان من المحتمل أنها لن تفعل. ولكن لديها الحق في رفض أي أو كل إنسان، وإذا انتهك أي رجل ذلك فهو مجرم. كيف ترى ذلك يا ألفريد؟".

"إنها فكرة جديدة بالنسبة إلي"، اعترف ألفريد. "الآن يمكن أن يكن جميلات فقط من دون الحق في الرفض؟".

"لا أعتقد ذلك. يمكنك بالطبع أن تتيح للنساء إطالة شعورهن وارتداء الملابس التي تعرض أجسادهن غير المتناسقة فطرياً بكل ميزاتها. ولكن أعتقد أن الجمال الآسر لتلك الفتاة الألمانية يأتي جزئياً من علمها أن لديها القدرة على الاختيار والرفض، ويرجع ذلك جزئياً لمعرفتها أنها يمكن أن

تُحب. لا يستطيع الرجال أن يحبوا إناث الحيوانات، ولكنه كان في وسعهم أن يحبوا النساء اللاتي تأقلمن في نمط أكثر إنسانية وذكورة، مثلما قد نحب أصدقاءنا. الرجال في تلك الأيام أحبو نساءهم، ولا يمكنهم الشعور بالسام في وجودهن، حتى لو كن عجائز وتجاوزن سن الإنجاب. إنه شيء غير قابل للفهم، لكنها الحقيقة. والآن وسوف أكشف كذبة أخرى، وبعدها نعود إلى فون هييس. أنتما، يا هيرمن وألفرد، على حد سواء، تعرفان أن المسيحيين هم جنس غير آدمي من الناس، يحتلون مرتبة أقل حتى من النساء بشكل عام".

"أنا لم أصدق ذلك منذ عصور" قال ألفرد وأكمل "إنهم غريبون، ولكنهم لا يختلفون عنا".

"حسناً، إنهم ليسوا عرقاً على الإطلاق. إنهم بقایا دین متحضر كان موجوداً قبل هتلر. كان ذات مرة دین كل أوروبا، ومعظم روسيا، والأمريكيتين، وجزءاً من أفريقيا. هتلر في شبابه كان نفسه مسيحياً. هم ربما لا يعرفون إلا القليل جداً عن أنفسهم الآن. أتوقع أنني أعلم قدرًا كبيراً أكثر مما هم عليه".

"هتلر كان مسيحياً!" تمم هيرمن، مراراً وتكراراً. "هتلر مسيحي!".

"يقولون..." قال ألفرد، "إنهم شعب يكفر عن جريمة كبرى. وإنهم عزلوا عنصرياً ومُقتوا لأنهم مَقتوا ذات مرة سلالة يسوع المسيح ربهم، واضطهدوها، وأنه عندما تحين قيامتهم سيظهر يسوع مرة أخرى ويغفر لكل واحد منهم، ويعليهم فوق الألمان".

"وهل لا يزالون يعرفون لماذا اضطهد المسيحيون اليهود، وهم سلالة يسوع؟ تمنيت لو حصلت على بعض مزاياك، يا ألفرد. لم أكن أبداً قادرًا على التحدث إلى مسيحي".

"بل ذلك صعب حتى بالنسبة إلي. يقولون إن اليهود قتلوا المسيح، ولكنه، ذلك التابع الاستثنائي، قال إنهم يغفرون لليهود ذلك لأنهم لم يكونوا يدركون ماذا كانوا يفعلون في ذلك الوقت. ولكنهم عصوا يسوع، رغم أنه كان ابن الرب، فغضب على اليهود لألف عام. وجعلتهم يمُقْتَنَّ لأنفَعِهِمْ لأنفَعِهِمْ، وبعدها سيظهر يسوع مرة أخرى".

"لقد أخطأوا لوقت طويلاً. لقد اضطهدوا وأذلوا اليهود لما يقرب من ألفي سنة، ثم واصل الألمان الاضطهاد وجعلوه عرقياً، وبعد وقت قتلوا جميع اليهود. وكان ذلك في حرب العشرين عاماً. الناس الذين لم يعبدوا هتلر عندما أصبح إلهًا كانوا، على ما أظن، يقتلون، كلهم إلا القليل، وهولاء كانوا يعزلون".

"ولكن لماذا لم يقتلوا؟".

"أظن أنه من الأفضل أن يكون هناك شيء للأعراق الخاضعة والنازيين في ألمانيا كي ينظروا إليه بدونية. لقد كانت فكرة معقوله".  
وهل أبيد المسيحيون أيضاً؟".

"كلا، إنهم بالكاد يحافظون على أعدادهم، رغم أن إلههم، يسوع المسيح، ولد من امرأة ولم ينبع، مثل هتلر، كان على نسائهم أن يتقاسمن ذلك الانتهاص، ولكنهن يتميزن عن نسائنا".

"ليس للنساء أرواح" قال أفراد "إنهن يعيشن مع الرجال، ولكن فقط كما قد يعيش كلب مع صاحبه. لن يدخلن جنة يسوع، ولا يشاركن في الاحتفالات الدينية. ولكنهن يختلفن عن غيرهن من النساء. إنهن أكثر حيوية".

"هذا لأنهن على اتصال دائم بالرجال. وليس عليهن التخلّي عن أبنائهن وقد منحهن الرجال والأبناء بعضًا من قوتهم وحيويتهم. ماذا يعتقدون بالضبط أنه سيحدث عندما يأتي المسيح مرة أخرى؟".

"سيغفر الخطايا، وستختفي النساء، والمسيحيون الذين هم على قيد الحياة سوف يعيشون إلى الأبد بعد ذلك. الموتى سوف يخرجون من قبورهم كاملين أصحاء، أما الألمان واليابانيون وجميع الكفار الآخرين فستتم محاكمتهم ثم يقذف بهم في بحيرة من النار، وسيحييا المسيحيون البرة إلى الأبد في سعادة تامة ومطلقة مع يسوع. لن يكون هناك ذكر ولا أنثى، ولا أي ذنب بعدها من أي نوع. هذا ما قالوه لي. ولكن قد تكون لديهم الكثير من الأسرار التي لن يبوحوا بها لرجل إنجليزي!".

"صار الدين مغشوشاً للغاية وملوثاً، ولكن ذلك لا مفر منه. كانت للنساء مكانة رفيعة جداً في اللاهوت المسيحي القديم. ومن الناحية النظرية، كانت قيمة أرواحهن مساوية للرجل. أما عملياً، بالطبع، فلم يكن الحال كذلك. لم يكن يسمح لهن أن يكن قسيسات. وكان يقال لهن من قبل الرجال إن لهن أرواحاً يحبها يسوع، ولذلك صنعن نسخة زائفه من روح وضمير صوريين. وعندما بدأ الحط من شأن النساء رضخ الرجال المسيحيين له، ربما لأنه كانت دائمًا في صلب الدين كراهية لجمال المرأة ورعب من القوة الجنسية للمرأة الجميلة ومن الحق في اختيار ورفض الرجال. وعندما انخفضت النساء إلى حالة الحيوانات الناطقة، ربما وجدن أنه من المستحيل عليهن المضي في الاعتقاد أن لهن أرواحاً".

"لنفترض أنهن لم يذعنن" قال ألفريد "ربما كانت النسوة المسيحيات لا يزن جميلات مثل ابنة ذلك النازي. ولكن ذلك مناسب تماماً".

ضحك الفارس بإحباط.

"حينها قد يكن قتلن كلهم، مهما كان الأمر مزعجاً. لا يمكنك أن تخيل أن هذا لن يسمح به أبداً".

وضع الفارس يده مرة أخرى تحت المكتب وأخرج هذه المرة كتاباً ضخماً باللون الأصفر الغامق. وهو يفتحه أصدرت أوراقه صوت تقصف، بدل صوت التصفح المعروف.

"اقرب هنا لدقيقة، يا أفرد. يمكنك النظر من وراء كتفي. يا هيرمن، تعال أيضاً إذا كنت ترغب، ولكنك لن تستطيع تقدير هذا الجمال". "هل ترى؟" قال لأفرد "هذا مكتوب كله باليد بأصغر حروف ألمانية ممكنة، ولكنه لا يزال مقروءاً مثل الطباعة، كل حرف تم تشكيله جيداً ووضع على بعد مناسب تماماً. إنه مكتوب على رقّ رقيق أعدّ خصيصاً لذلك. يقول فون هييس في مقدمته إن الأمر استغرق منه أكثر من عامين لإعداد الكراس نفسه. وعندما بدأ كتابته، كان عليه أن يفعل كل شيء من الذاكرة. من دون كتاب واحد كمراجع يستعين به".

"لكن لماذا؟".

"لأنها كانت جميعاً قد أحرقت ودمرت".

"ها!" قال أفرد، وهو يضرب كفافاً بكف. "إذاً، كان هناك تاريخ ما؟ ولم يكن كله ظلاماً وهمجية؟ كنت أعرف ذلك! عرفت أن هناك شيئاً أكثر من هتلر والسيحيين والأساطير". عاد أفرد إلى كرسيه بخفة، مثل رجل منتصر. بينما تعثر هيرمن في العودة إلى كرسيه مثل رجل ثمل.

"كان هناك تاريخ" قال الفارس. "استمع إلى ما يقوله:

"أنا، فريدرريك فون هييس، فارس جرماني من الإمبراطورية الألمانية المقدسة، ومن العشرة المقربين، أهدي هذا الكتاب إلى ابني الأكبر، أرنولد فون هييس، إليه وإلى أحفاده إلى الأبد. احفظه بعيداً عن السوء، وصنه كما تصور شرفك، لأن ما دونته هنا ما هو إلا جزء صغير من حقائق التاريخ، وأقسم أنه بحدود معرفتي البسيطة فهو صحيح ومن دون أي تزوير".

"كان يظن، كما ترون" قال الفارس، وأغلق الكتاب، "أنه قد يجيء الوقت الذي يبحث فيه الرجال مرة أخرى وبحماس عن الحقيقة، وأن هذا، القليل المجتزأ من التاريخ والمكتوب بخط اليد، قد يكون بضالة وتفاهة ضوئيراعاة في الظلام، مجرد دودة مضيئة كما يقول في أحد المواقع. وكان دائماً في حالة من الإحباط، "هنا تخونني ذاكرتي" أو "هنا ليس لدى للأسف مزيد من المعلومات". وكان صبوراً، ولذلك فهو عامل ألماني مجد، لكنه لم يكن باحثاً. كان ببساطة رجلاً قرأ عدداً كبيراً من الكتب ليسلي نفسه. ولكنه، عندما انضم إلى معركة الحقيقة النهاية، فرّ جميع الباحثين من بين الفرسان بعيداً، وتُرك هو الذي كان من دون أي مقدرة معينة لوحده وسط الأشرار. ورغم كل ذلك ها هو كتابه، كتاب حقيقي، وهو الوحيد في العالم".

"كلا، كلا"، قال أفراد بحماس. "قد تكون هناك كتب أخرى. المسألة هي العثور على الأشخاص الذين يحتفظون بها. وقد يكون بعضها باللغة الإنجليزية".

"لا يمكن أن يكون ذلك، يا أفراد. الرجال الوحيدون البعيدين عن خطر التفتیش الفوري هم الفرسان. تمكّن فون هييس من الكتابة سراً، لأنه، رغم خجله، كان فارساً من العشرة المقربين. لقد نجحنا في الحفاظ على سريتها لأننا فرسان. قد يكون في بعض أسر الفرسان الأخرى كتاب كهذا، ولكنني لا أعتقد ذلك. وفي الحال سأخبركم لماذا. ولكنك فهمت الآن، يا أفراد، لماذا

أريتك هذا الكتاب، وتلك الصورة. لأنه عندما أموت، ولأني من دون ورثة، فإن كل ممتلكاتي ستؤول إلى الدولة، أعني، للفرسان. سوف يتم العثور على الكتاب وإحراقه. لقد صمد ضد الزمن، ضده لفترة طويلة، لكنه من دون أي شك، لن يصمد أمام النار".

"لا يجب أبداً أن يحرق" قال ألفريد. وسرت قشعريرة في جسده. "أبداً."  
"حسناً" قال الفارس "أعتقد أني سأقوم بإعطائه لك. هل ستقوم بحمايته  
قدر ما تستطيع؟".

"حتى لو مت عشر مرات" أقسم ألفريد.  
"ميتات مؤلمة كلها".

## الفصل الخامس

"لا يجب أن تعتقد" واصل الفارس حديثه "أن جدي فون هيس، كان ألمانيا سيئاً، أو أحد الذين يختلفون مع فكرة قدر ألمانيا في حكم العالم كله. قدرها في تولي سلطة أكبر بكثير مما كان عليه صدق روائع البطل روزنبرغ الذائعة وكذلك إرادة الرب كأمر واقع. أثبت الألمان ملاءمتهم للانتصارات بفتح أوروبا وروسيا حتى جبال الأورال وأفريقيا والجزيرة العربية، وببلاد فارس، ومن خلال دمج فتوحاتهم بالسيطرة بشدة مبررة ومعقولة، حتى صار الأمل بنجاح التمرد كنجاح قتال بين طفل عمره ثلات سنوات ورجل مسلح".

"هذا عن التمرد المسلح فقط.." صحق ألفريد.

"أوه، أنا أعرف أن هناك تمرداً للروح. وهذا ما فعله فون هيس، وألمان آخرون في ذلك الوقت. فون هيس آمن أيضاً أن هذه الإمبراطورية الألمانية شديدة القوة، والتي في مركز العالم، ستكون قادرة، في الوقت المناسب، على مهاجمة وسحق الإمبراطورية اليابانية، التي كانت في ذلك الوقت لا تزال فتية. وبعدها سيتحقق قدر ألمانيا. لكن ذلك لم يحدث. وحكم اليابانيون أنحاء آسيا وأستراليا والأمريكيتين، لكنهم لم يستطيعوا سحقنا، ولم نتمكن من سحقهم. السلام بين اليابان وألمانيا سلام دائم. عرف الفرسان ذلك، أما النازيون فلا".

تأوه هيرمن وأخفى وجهه بيديه في حزن، ثم نظر بتосع إلى الفارس.  
"الم يتبع حتى ذلك، يا سيد؟ الفرصة للموت من أجل ألمانيا؟".

"هناك فرصة للموت من أجل ألمانيا، ربما. أما من أجل الإمبراطورية الألمانية فلا، لا يمكن أن يكون هناك مزيد من الحروب".

"ولكن لماذا؟" سأله الفرد. وقال "لقد تساءلت دائمًا لماذا لم تستمروا فيها".

"لا اليابانيون ولا نحن يمكننا أن نتحمل خسارة رجل واحد آخر في سباق الحكم. لهذا السبب بدأ عدد سكانهم في الانخفاض، مثلكنا. ولا يمكننا أن نرسل الأعراق الخاضعة إلى المعركة والبقاء بعيداً عنها. هذا يتعارض مع شرفنا، ضد ديننا، وإلى جانب ذلك كانت السياسة الراسخة في كلتا الإمبراطوريتين عدم السماح أبداً للأعراق الخاضعة بالحصول على مهارات استخدام أسلحة الحرب الخطيرة حقاً. يتم تعليمك كي تكون جندياً، مسلحاً ببنادق، من أجل الانضباط، ولكن لا يسمح لك بالتعامل مع المدفعية أو الدبابات أو الطائرات. كل الألمان وكل اليابانيين مطلوبون في جيوش الاحتلال والحياة العادلة لأرض الأجداد، وهكذا لا يمكن أن تكون هناك حرب بيننا".

"حسناً، هذا واضح. وما الذي ستفعله حيال ذلك يا سيد؟".

"أنا لا أعرف، ولا أحد يعرف. والأمل في الحرب يتضاءل بسرعة. فالشعب الذي تمت تهيئته للحرب منذ الطفولة، والذي أخلاقه الحرب ودينه الحرب، يمكنه أن يعيش، من دون أن يكون سعيداً جداً، على أمل الحرب؛ ولكن عندما يتحطم ذلك، عليه أن يغير من حالته، أو يموت، مثل الحيوانات التي لا تستطيع أن تكيف نفسها مع بيئتها. لا نحن ولا اليابانيون يمكننا التغيير

أو التكيف من دون التخلّي عن الدين والأخلاق. وإن قمع بلدان الأعراق الخاضعة للعزلاء، بالأساطيل الجوية الكبيرة ليس كافياً. لا يفكر أحد أننا نقترب كثيراً من الحرب. لقد جعلنا أنفسنا أقوىاء جداً، شديدي القوة، ونحن نحضر، كلا الإمبراطوريتين الضخمتين على حد سواء، بسبب قوتنا الخاصة هذه؟".

"كيف سيكون الحال" اقترح الفرد، "لو علمتمونا جميعاً استخدام المدفعية والدبابات والطائرات والسفن والغواصات، وقدمتم لنا ملابس الأطنان من مواد الحرب ثم قمنا بتمرد شامل؟".

"لن يحصل ذلك. قد تفوزون. وحتى لو هزمتم، قد يغتنم اليابانيون هذه الفرصة لمهاجمتنا".

"يمكنهم فعل الشيء نفسه مع أعراقهم الخاضعة".

" علينا ألا نثق أبداً في وفائهم بعهودهم. فهم لا يثقون بنا. ولكننا الآن ابتعدنا كثيراً عن فون هيس. لم تكن تؤرقه هذه الاعتبارات. كان الشعب الألماني ينمو بسرعة من دون خوف على مصيره. وكانت قوة ألمانيا لا تتزعزع من الخارج، والنظام الاجتماعي الداخلي كان مستقرًا في جميع الأوقات في ثلاثة درجات: در فوهير، والفرسان، والنازيين. ولكن في خضم كل هذه القوة والمجد والفخر، كان هناك، كما يقول فون هيس، قلق روحي. ولم يكن الألمان سعداء جداً. كانت الأفكار القديمة والأفكار قبل الهتلرية، لا تزال موجودة في العالم، رغم أنها لا يمكن أن تصل إلى أحد على المستوى الفردي. وكانت الأعراق الخاضعة بائسته وتعانى الإزدراء سراً، لا تزال تحلم دائمًا ومن دون طائل، بالحرية وظلال إمبراطورياتها القديمة—".

"ها!" صاح الفرد بصوت عالٍ، وقال: "كانت هناك إمبراطوريات قديمة،

إذاً؟ ولم تكن إمبراطوريتكم والإمبراطورية اليابانية وحدهما؟ الأمر كله أكاذيب وأكاذيب!".

"كانت هناك الإمبراطوريات الآشورية والبابلية والفارسية والمصرية، واليونانية، والرومانية، والإسبانية والبريطانية. في ممالك استعمارية...".

قاطعه أفراد صائحاً: "البريطانية! وتقول لنا إن كل تلك الأعراق الناطقة باللغة الإنجليزية مجرد قبائل همجية متصرمة! لا أحد إلا الأغبياء كان يصدقكم طوال الوقت. أيها الكاذبون! أيها الحمقى!".

نهض الفارس على قدميه أيضاً، ونظر إلى أفراد باستنكار متعاطف لكنه مسيطر عليه. "أنت فخور بأنه كانت لك إمبراطورية، ألسن كذلك؟ وأنت فخور بكونك إنجليزياً لهذا السبب؟ انظر إلى هذا البسيط المسكين هيرمن هناك، إنه لا يجرؤ على مواجهة أي شيء، ويصدق أي شيء، وبالكاد يجرؤ على سماع أي شيء، إنه جبان منكمش، مرتعش، وهو ليس كذلك لأنه يؤمن بهتلر، أو لأنه ألماني، بل وينتمي إلى إمبراطورية! يفترض أن تخجل من عرقك، يا أفراد، فرغم اختفاء إمبراطوريتك منذ سبعين سنة، لا يبدو أنها فترة طويلة بما يكفيك لتخليص من هذا العيب".

"إنه أنت الذي علمتنا أن نفخر بالإمبراطورية!" اندفع أفراد قائلاً في وجهه "المقدسة! والألمان!".

جلس الفارس مرة أخرى. "كلا"، قال بهدوء، "إنه أنت الذي علمنا ذلك. الغيرة من الإمبراطورية البريطانية كانت واحدة من القوى المحركة للإمبراطورية الألمانية، واحدة من القوى التي جعلت ألمانيا تنمو من مجموعة من الممالك الصغيرة لتصبح حاكمة لثلث سكان العالم. غيرة سوداء هائلة ومريرة، كما يقول فون هييس، رغم أنه عندما كان حياً كان قد مضى وقت

طويل على الانتصار. نيل إمبراطورية منيعة لا تتزعزع أركانها، كان دائمًا حلم الأمم المتعافية، وهي تحول الآن إلى واقع كابوسي. وصارت وحشًا يقتلنا.

"أنا لا أريد عودة إمبراطوريتنا" قال الفرد بصوت أكثر هدوء. "اعتقدت دائمًا أنها كانت كذلك، ووددت أن أعرف الحقيقة."

"هذا مثير للإعجاب تماماً" قال الفارس. "تمنيت لو أحب هيرمن سماعها أيضًا."

تمتم هيرمن بشيء غير مسموع، ولكن الفارس لم يلحظه. "كما كنت أقول، ظلال هذه الأفكار القديمة وهذه الإمبراطوريات القديمة الشاسعة لا تزال تخيم على ألمانيا، مذكرة الألمان أن تلك الإمبراطوريات سادت ثم بادت، وتذكرهم أيضًا ب بداياتهم البسيطة. لم تكن تكفيهم معرفة أنهم الآن يحكمون ثلث سكان العالم، وأن فيهم تستقر الحضارة الوحيدة الحقيقية والمقدسة؛ وقد أرادوا نسيان أنه كانت هناك فيما مضى، في أوروبا، أية حضارة أخرى على الإطلاق. كان هناك الكثير من الجمال الذي لم يصنعوه، والكثير من الكتب التي لم يكتبوها، والكثير من سجلات الحروب التي لم يخوضوها، والعديد من الأفكار عن السلوك الإنساني التي كانت بغية لهم. الاشتراكية، على سبيل المثال، تم تحطيمها تماماً من الناحية العملية، ولكن الفكرة بقيت موجودة، في عقول الرجال. لا، يا الفرد، أنا لن أتوقف لأخبرك ما هي الاشتراكية. يمكنك أن تقرأ عنها في الكتب. ولو كنت اشتراكياً لاعتقدت أنه ليس من حق الفرسان امتلاك كل الأراضي والمصانع والسفن والمنازل في الإمبراطورية، ولاعتقدت أيضاً أن الناس الذين يؤدون العمل على الأرض أو في المصانع هم من يجب أن يمتلكها".

"أنا اشتراكي إذاً. أين كان الكثير منهم؟".

"كانت في الواقع، ما يرقى إلى مستوى الدين في روسيا، من الحدود البولندية حتى فلاديفوستوك، وهناك الكثير منهم في عدة بلدان أخرى. لكن روسيا، بعد الكفاح الأكثر جبروتاً في التاريخ (كما يقول فون هيس)، مُنيت بالهزيمة في نهاية المطاف، بسبب الهجمات المتلاحقة من قبل ألمانيا واليابان. تحطم مهد الاشتراكية. ولكن اسمح لي أن أصل إلى النقاط المهمة. أفقد الألمان صوابهم في ذلك الوقت وهو بربري أعمى، وغرور مجنون، والذي يعود له بالطبع قدر كبير من العذر. لكنهم كانوا لا يزالون خائفين. ففي قلب الزهو ترصد़هم الخوف، ليس لسبب مادي، وإنما بسبب الذكرى ذاتها. وازداد هذا الخوف تدريجياً حتى تحول إلى نوع من الهستيريا (يقول فون هيس يميل الألمان دائمًا إلى الهستيريا)، والذي وصل إلى نهاية مطافه بالتعبير عنه في كتاب كتبه أحد الأشخاص. وكان هذا الشخص عالماً-فارساً نموذجياً يدعى فون فيد، شخص عاشق للكتب، كما يقول فون هيس، شديد العصبية وهستيري، والذي، لتعطشه للدماء، وبسبب إعاقته الجسدية واسن نفسه بفيضانات من الحبر. يقول فون هيس إنه لو علم ما كان يقوم به فون فيد لقتله من دون أدنى ذرة من تأنيب الضمير. أثبتت كتاب فون فيد ذلك أن هتلر كان الرب، لم يولد لكنه انبثق، وأن النساء لم يكن جزءاً من الجنس البشري على الإطلاق، بل نوعاً من القردة، وأن كل ما قيل وتم فعله أو تم التفكير فيه، قبل أن ينبثق هتلر، كان الجرم الأشد فحشاً والناجم عن وحشية غير إنسانية ويجب أن يتم محوه. بلغ الخوف من الذاكرة ذروته معه، وقد قدم لنا العلاج المنطقي والجرماني: الدمار. يجب تدمير كل التاريخ، كل علم النفس، كل الفلسفة، كل فن إلا الموسيقى، كل المعرفة الطبية باستثناء التشريحية والبدنية البحتة، كل كتاب أو صورة أو تمثال يمكن أن

يذكر الألمان بالزمن القديم يجب أن يدمر. كان بصدق عمل هوة شاسعة لا يمكن لأحد أن يعبرها مرة أخرى. المسيحية يجب أن ترحل، كل الإرث الضخم للاهوت المسيحي يجب أن يدمر في جميع أنحاء الإمبراطورية، كل الأنجليل المسيحية يجب أن يعثر عليها وتحرق، حتى في كتاب هتلر نفسه، المقدس في جميع أنحاء ألمانيا، والوحيد الذي يمكنه أن يستمر في الوجود. كانت هناك ذكرى، كما ترى. ذكرى ما نسميه الهجوم الأولى".

"والذي خاضه هتلر في سن الرابعة عشرة، الولد المجيد"، قال ألفريد.

"نعم فعلاً. لكنه كان أكبر من ذلك بكثير. وألمانيا تعرضت للقصف وهزمت تماماً. فون هييس لا يمانع في الاعتراف بذلك، ولكنه عند فون فيد كان جزءاً من ذكرى كان خائفاً منها. لقد تعلمنا أن هتلر خاض تلك الحرب في الرابعة عشرة، وأنه أخضع الإمبراطورية بأكملها في الثلاثين، وبعد ذلك توحد. ولكن الأمر استغرقه وقتاً أطول من ذلك. وكان هتلر قد مات منذ ما يقرب من مائة سنة عندما وصلت الإمبراطورية إلى حجمها الحالي".

"أكاذيب، أكاذيب"، تتمم ألفريد. "أكاذيب، أكاذيب، أكاذيب!".

"يمكن أن يسمى هذا الرجل فون فيد أبو الأكاذيب. أس-الكافيين، كما لم يحصل كذب من قبل. فون هييس يعترف بأنه تم العبث بالحقائق التاريخية حتى في حياة هتلر. ويقول بوضوح Tam، أعتقد أنه لم يتم في عرض الإمبراطورية الكامل تزوير التاريخ وتدميره. كان فون هييس مع قول الحقيقة الكاملة عن تاريخ ألمانيا وتاريخ بقية العالم. لأنه، كما يقول، بالتأكيد، وبصرف النظر عن أي سؤال عن الحق والباطل، أليست الحقيقة لوحدها مجيدة بما يكفي؟ ولكن فون فيد لم ير ذلك، وكان على استعداد أن يرى عمله العظيم الخاص يدمر طالما رافقه إلى المحرقة غيره من

سجلات البشرية".

"ألم يحتفظوا حتى به؟" سأل الفرد في بعض الدهشة.

"كلا. ولكنني أعتقد أن بعض ما كتبه دُمج في الكتاب المقدس لهتلر. لماذا؟ الإجابة هي كيف يمكنك الحفاظ على كتاب يثبت أن إنساناً هو رب، أو كتاباً يدعو إلى تدمير سجلات الحضارات الأخرى؟ إنه ببساطة يثبت وجود تلك الأشياء، وأن هتلر لم يكن إلهاً دوماً. كانت هناك الكثير من الذكريات في كتاب فون فييد. التي صرخ وكشر عن أننيابه وأزبد حولها، كما يقول فون هيس، ولكنها بقيت هناك. لم تتم بعد. حسناً، هذا الكتاب استطاع أن يسجل بالضبط شعور الأمة في ذلك الوقت".

"حتى رغم وجود الجزء الخاص بالنساء؟".

"بسبب الجزء الذي حول النساء. أنا لا أقصد بسببه فقط، تمنت نظريات فون فييد حول النساء بشعبية عند قسم كبير من الرجال. كما ترون، ترکز زهو الألمان الطائش في الذكور منهم. فالنساء لم يهزمن العالم أو يصنعن الإمبراطورية. وكن ينجبن الأطفال فقط، والذي كان في استطاعة أي امرأة إنجليزية أو روسية أن تفعله. وهؤلاء الجنود الفخورين، أحفاد الرجال الذين صنعوا الإمبراطورية، بدأوا يشعرون بقوة أنه كان يحطّ من كرامة الرجل الألماني أن يتعرض لخطر الرفض من قبل مجرد امرأة، والسامح للنساء بجرح الجزء الأكثر حساسية فيه، اعتزازه بنفسه، من دون فرصة لإزالة ذلك بمبارة. أرادوا أن تكون جميع النساء طوع إرادتهم مثل نساء الأمم التي غزوتها. لذا، وفي واقع الأمر، لم يبدأ الحط من شأن النساء بما كتبه فون فييد، بل كان حاصلاً بالفعل. وكانت عمليات الاغتصاب شائعة للغاية مقارنة مع ما كانت عليه قبل خمسين عاماً، وصارت الأحكام بتهمة الاغتصاب أخف

وأخف. كانت نظرية فون فيد تقول بأن حق المرأة في الرفض هو إهانة للرجولة، وأن الحياة الأسرية كانت إهانة للرجولة، وأن الحماقة الأكثر شرًّا هي أن تسمح لحيوان (فالنساء لم يكن أكثر من ذلك) بأن يتحكم تماماً في البشر في أشد فترات ضعفهم وتأثرهم، وهم في المهد. وقال إن الأولاد يجب أن يؤخذوا بعيداً عن أمهاتهم في أوائل بزوغ الوعي وقبل أن تقوى ذاكرتهم، وفي السنة الأولى من العمر، كما قال. ونحن الآن نمنح النساء مدة ستة أشهر أطول من ذلك. كما أنه أسس النظرية القائلة إن جمال المرأة هو إهانة للرجولة، لأن ذلك الجمال يمنح (بعضهن) قوة جنسية هائلة ومقرفة تفوق الرجال. وقد قال: على الرغم من أن هذا الجمال لم يكن حقيقياً (لأنه لا يعطي المرأة صفات محررة أياً كانت) وليس سوى الخداع التي يؤديها الشعر الطويل وشكل اللباس الساحر الذي يكشف ويستر في ذات الوقت. فدعا لحلق رؤوس النساء واعتماد نوع من اللباس لا يتحمل أن يخفي شيئاً، وليس فيه أي شيء فاتن أو جذاب. وعليهن ارتداوه بلون واحد، البني الحائل (كما يفعلون الآن)، كما يجب عليهن أيضاً، وبعد السادسة عشرة، أن ينقدن تماماً، ليس فقط إلى آباء أبنائهن، وإنما إلى أي رجل وكل رجل، لأن تلك هي مشيئة الرب هتلر كما وردت على لسان حاله المتواضع روبريخت فون فيد. وقال أيضاً إنه ليس هناك حب، بل إنها الشهوة فقط أو الرغبة في إنجاب الأبناء، وأن الميل الجنسي لامرأة دون غيرها، كونها أقوى وأكثر صحة، هو ضعف وعمل غير رجولي تماماً. كان نمط حياة المرأة بالكامل في طريقه إلى التغيير، لجعله يتلاءم مع الرجولة الألمانية الجديدة، أول رجولة متحضرة في العالم".

"وماذا فعلت النساء؟" سأل أفريد.

"ما يفعلنه دائماً. حالما اقتنعن بأن الرجل يريد لهن حقاً أن يكن

كالحيوانات وأن يصرن قبيحات ومنقادات له تماماً وأن يتخلين عن الأبناء الذكور إلى الأبد، بعمر السنة الأولى، ألقين بأنفسهم في النمط الجديد بحماس واع لا يعرف حدوداً. قمن بحلق رؤوسهن حتى نزفت، وابتھجن في زيهن البشع كما يبتھج الفارس الشاب برداءه الاحتفالي، بل ونزعن أسنانهن الأمامية حتى مُنعن من ذلك لاحقاً لأسباب صحية، وتخلين عن أبنائهن الذكور بنفس البطولة التي كن عليها وهن يرسلن اليافعين منهم إلى الحرب".

"إنهن لا يفعلن ذلك الآن"، قال أفراد مقطباً.

"لم يعدن يتحمسن لأي شيء، الآن" قال الفارس. "إنها ليست طريقة جديدة ليرضين الرجال، بل هي مجرد جزء من حياتهن. كن يعتقدن، أولئك الإناث البلياوات المسكينات، أنهن إن فعلن كل ما يطلبه الرجال منهن بمرح وطيب خاطر، فإن الرجال بطريقه أو بأخرى، وضد كل منطق، سيحبونهن أكثر. ولم يستطعن رؤية أنهن كن يساعدن على قتل الحب. أية امرأة تحلم الآن بأن يحبها الرجل كما قد يحب أصدقاء؟ ولكن تلك النسوة، كن واعيات بالقلق المتزايد فيهن بين الرجال، أملن بحماس على تهدئتهم وإرضائهم بالتضحيه بالجمال وحقهن في الاختيار والرفض، وقبولهن بوضع الحيوان. النساء لسن شيئاً، باستثناء رغبة متجسدة لإرضاء الرجال. لماذا يخالفن طبيعتهن في ذلك الوقت أكثر من أي شيء آخر؟".

هز أفراد رأسه.

"هناك خطأ ما في مكان ما" قال ببطء. "أنا لا أعرف ما هو حتى الآن. ويجب أن أفكر فيه. واصل حديثك، يا سيدتي. أرى أن علي التفكير في النساء بشكل جاد. لم أكن أعرف أنهن مهمات من قبل".

"بقدر أننا لا يمكن أن ننفي، هن كذلك بالتأكيد. وهن لسن مهمات في حد ذاتهن، بطبيعة الحال. ولكن علي أن أعود قليلاً إلى الوراء. عندما قرأ فون هيس هذا الخليط المرعب من الهراء والكذب الكارثي، وأدرك أثره الهائل الذي نجم على الفور تقريباً على الألمان العاديين، انتابه القلق. وعندما بدأت المناقشات الجادة حول الكتاب بين الفرسان، كان مرتعباً. عندما طرح هذا الموضوع للنقاش في مجلس العشرة المقربين، أصابه الهلع. لأنه أدرك أن ألمانيا يمكن أن تفعل ذلك. يمكنها أن تدمر جميع سجلات الحقيقة. بالصبر والدقة الألمانية، متى اقتنعوا بفعل بذلك، اجتثات وحرق كل كتاب في الإمبراطورية، حتى لو استغرقهم الأمر مائة سنة. حسناً، لقد كان يعارض دائماً هذه الفكرة، في كل مناقشة يجريها الفرسان، ولبعض الوقت كان بعض العشرة المقربين يقفون معه، والفوهرر كذلك. لكن في الوقت نفسه كان الحماس لفون فيد في البلاد كلها يكاد يصبح هستيرياً تماماً. المزيد والمزيد من الناس يصيرون ويصرخون كل يوم بتدمير الذاكرة وداخلهم المظلم كان يطلب مذعوراً تهدئته. حتى أنه كان هناك همس بأن فون فيد يجب أن يكون الفوهرر، لأنهم يرون أنه كان الرجل الأول الذي اعترف علينا بما يعرفه الجميع داخل أنفسهم، أن هتلر كان إلهًا، وأن العالم، عالم البشر الحقيقي، ولد في ابنته. انضم الفرسان المقربين واحداً بعد آخر إلى جهة فون فيد، وفي آخر الأمر انضم الفوهرر أيضاً. وكان فون هيس يائساً. في مثل هذه المسألة الخطيرة يجب أن يكون هناك إجماع بين الفرسان المقربين، ولكنه كان يعلم أنه إذا واصل المعارضة لوقت طويل فسيتم قتله. فقام بمحاولةأخيرة لإنقاذ الحقيقة. كان قد تجاوز نفسه، كما يقول. جادل واحتدم حتى بكى. وواصل الحديث ليلة كاملة تقريباً. لكنه لم يترك أي انطباع. وكان ثقل ألمانيا كلها ضده. دخل قاعة المجلس

كان هناك تسعة فرسان والفوهرر، بتشكيله من الوجوه القاتمة، استمعت له بأدب، من دون أن تتأثر تماماً. في الخارج كانت هناك بقية ألمانيا، الفرسان، النازيون، والنساء، وقد غرقوا جميعاً في هستيريا الغضب والخوف والرغبة في التدمير بنفس القوة كما لو أن عدواً حقيقياً ما قد غزا تراب ألمانيا المقدسة. وفوق هذه العاصفة، راكباً عليها كما يمتنى الرب زوبعة، كان فون فيد بقامته الضئيلة الدينية، المشوه الأسود الصغير (كما يقول فون هيسب) دون رجولة أو ثبات، ولا حتى شجاعة بدنية. كان فون فيد في الخارج، وهم يحيونه كنبي، مرسل، مخلص، كصوت هتلر، أو صوت الرب. هُزم فون هيسب من الداخل. نهض الفرسان أخيراً وصاحوا فيه ليخرج، وأغلق الفوهرر المجلس، رافعاً الجلسة إلى مساء اليوم التالي. حياد فون هيسب وخرج. استقل سيارته وقادها إلى بيته هنا، ليس في الواقع هذا البيت، كان قصره على التلة هناك، إلى الجنوب من أرض المهبط. كان الفصل صيفاً، وبدأت الشمس تشرق. وفي طريقه رأى ما اعتقد أنه جثة هامدة ملقاة على جانب الطريق. فأوقف سائقه وخرج لتحرى الأمر. كان جسداً عارياً لامرأة، شابة كما يعتقد، ولكن وجهها كان مشوهاً تماماً حتى لم يستطع التعرف عليها. تمزقت عيناهَا وفتحة أنفها. ونتف كل شعرها، ولم يترك سوى ججمحة حمراء مخيفة يغطيها الدم. وقد اكتسى جسدها بطعنات وجروح لا تحصى بدت كما لو أنها نتجت عن مدية. قطعت حلمتها. ولم يكن فون هيسب أكثر حساسية مما يفترض بالألمانيجيد أن يكون، لكنه قال إنه شعر قليلاً بالغثيان. ثم عزا ذلك إلى التعب من الجهد الذي بذله طوال الليل. تمنى لو كانت هذه الجثة الممزقة نتيجة لعمل فردي قام به مهووس بالجنس، ولكن أمله تلاشى، في اليوم التالي علم أنها كانت جثة الفتاة التي قد ضحكت على مجموعة من "نساء فون فيد الجديدات"، كانت فتاة شابة

جميلة لم تمانع في كون هتلر رباً إلا أنها لم تفهم لماذا ينبغي للمرأة أن تكون قبيحة. كان ذلك مزاج ألمانيا في الهرستيريا. إذا كانت النساء مثل ذلك، كيف للرجال تحمل المعارضة وهم في قمة فخرهم بالانتصار؟ ولكن فون هييس كان بالكاد واعياً للخطر الجسدي. وكان يائساً جداً. وهو يقول: "لا أستطيع أن أضيع هذه الصحائف الثمينة في وصف أحاسيسني. كنت في قمة اليأس المعروفة للإنسان، لأنني لم أعرف ماذا عليّ أن أفعل؟" عندما تقدم الصباح جلب فارس رسالة له من الفوهرر في ميونيخ، تحمل تحذيراً دون أي تهديدات، وأن عليه أن يوقف حالاً معارضته لخطة فون فيد. لكنه ظل غير عارف بما يجب القيام به، سوى موافقة المعارضة كي يُقتل بهدوء. ما إن كاد يصل إلى قاعة المجلس فعلاً ذلك المساء حتى خطرت عليه فكرة. كما يقول: "أنا لم أكن أية شيء أبداً سوى رجل غبي ما. دماغي بطيء، وقد انتخبني الفرسان لأكون من العشرة المقربين، كما أعتقد، لأسباب شخصية". وحالما راودته الفكرة لم يعد متربداً. وقدم اعترافاً متواضعاً وفورياً أمام الفرسان والفوهرر. قال إنه كان مجنوناً سابقاً لأنه لم يستطع رؤية الجمال والقداسة والبساطة الألمانية حقاً والقوة في خطة فون فيد. واعترف بـ هتلر رباً. بل توسل أن تناول مجموعته الخاصة من الكتب (مكتبة جيدة، كما قال) شرف الحرق حالاً لأجل هتلر. لم يصدق أحد من الفرسان هذا التحول المفاجئ. وظنوا أنه كان يريد إنقاذ حياته. اعتبرتهم الدهشة والاشمئزاز رغم شعورهم بالارتياح من انهيار المعارضة. وهنا أعتقد أننا قد نعترف بوجود رجال شرفاء في ألمانيا، يا أفراد، لأن هذا الفارس، جدي، تحمل هذا الاتهام بالجبن كل ما تبقى من حياته في سبيل الحقيقة. حتى أنه رفض أن يتحدى فارساً، كان صديقاً شخصياً لفون فيد، والذي اتهمه في وقت لاحق عليناً تقريراً بأنه وجد طريقة ما لإنقاذ نفسه. لقد أراد منهم أن يظنوه

جياناً. كما أنه في هذا المجلس توسل إلى الفوهرر بأدب وطلب إعفاءه من الحضور مجدداً إلى المجلس بسبب تقدمه في السن واعتلال صحته. لا يمكن للفارس أن يستقيل من دائرة العشرة المقربين، لكن قد يستطيع ذلك، إذا سمح الفوهرر له، بإعفاء دائم من الحضور. يقول فون هييس، "لم أكن صغيراً، كنت أقترب من الستين، ولكنني بصحة جيدة مثل شاب. ومع ذلك، أبلغت الفوهرر مناشدتي. كما أنهم قبلوا على الفور اقتراحي بخصوص الكتب، ولم ينجح تماماً في إبعادهم عن الشك، لأنهم لم يكونوا يظنونني جياناً حقاً، أرسلت مجموعة صغيرة من الفرسان العاديين مباشرة إليه في قصره لرؤيه الكتب التي وضع كلها في غرفة واحدة، وأوصدت عليها الأبواب والنوافذ. ولكن قبل خروجه من قاعة المجلس للمرة الأخيرة، وافق على اعتماد خطة فون فيد، وصدرت الخطة بالإجماع. وكان عليه أن يبقى لمناقشة السبل والوسائل التي تلت ذلك، لكنه جلس كرجل خجول، مطأطئ الرأس، لا يشارك إلا إذا اضطر للتصويت. أخيراً صار في إمكانه الذهاب إلى المنزل مع مرافقيه الفرسان. وفي ذلك الوقت قام واحد منهم، وهو صديق فون فيد بإهانته. لكن فون هييس ابتلعها مثل صبي صغير أفرط في التبجح دون أن يكون صادقاً. كان يعرف من نظرة الازدراء في أعين الرجال الآخرين أن عاره كان كاملاً. لن تتم إذاعة ذلك بين الفرسان، بسبب الظروف الخاصة، ولكنه سينتشر. وسيُعرف باسم "فون هييس الجبان". وسيتجنبونه ويتركوه وحيداً. قرر مغادرة منزله وذهب إلى إنجلترا، حيث اشتري مزرعة كبيرة لتربية الأغنام في مقاطعة رومني مارش في كينت. هل تعرفها، يا أفراد؟".

"كلا يا سيدي. لماذا جاء إلى إنجلترا؟".

"إنه مكان جيد للأغنام، وقد أراد أن يكون خارج ألمانيا. أراد أن يُعرف عنه إجراء تجارب في أنسال الأغنام. وكان ذلك طبيعياً بما فيه الكفاية، كان

دائماً يملك القليل من الخبرة الزراعية. ما كان يريد القيام به في الواقع، هو تعلم صنع صحائف الجلد البيضاء. ولم يكن يجرؤ على شرائها، رغم أنها كانت تستخدم لأشياء معينة، في لجان الفرسان، وhelm جرا. قبل مغادرته ألمانيا جمع أبناءه، أرنولد، وكاسبار وفريديريش، وفالديمار، وأخبرهم أنه في وضع خاص غير مشرف مع الفوهير، لكنه لم يفعل شيئاً يعيشه شخصياً. ولم يخبرهم بما حدث، واشترط عليهم بصرامة ألا يتورط أي منهم في أي مبارزات نيابة عنه، مهما سمعوا عنه. وأقسم جميعهم على طاعته. فلو قتل جميع أبنائه، كما ترى، لن يكون هناك من يستأمنه على كتابه. كما أصدر تعليماته لأرنولد (وهو فتى طيب، كما يقول عنه، لكنه ليس ذكياً جداً) بأن يشتري له سراً كتاباً عن تقنية صنع الورق من جلد الغنم، وأن يزوده بنوع خاص من الحبر. كان يظن أن أرنولد ذكي بما يكفي لقيامه بذلك من دون خطأ. وأن يجلب ذلك إلى والده في إنجلترا. عندما حصل فون هيس على كتاب صنع الرقاق، استقر لتربية الأغنام وذبح البعض منها لصنع أوراق كتابه من جلودها، في رومني مارش. وهو سهل أخضر خلاب، يا ألفرد، تحت مستوى سطح البحر، ضبابي ورطب، لكنه ذو جمال أخاذ. أهدر فون هيس سطرين كاملين في الكتابة على ورقه الثمين قائلاً إنه كان مكاناً جميلاً وأن جماله منحه السعادة أحياناً. وأنا أعلم أنه كذلك. ذهبت إلى هناك لزيارته، مكان يتباين تبايناً كبيراً مع هذا الجزء من ألمانيا. عاش هناك لمدة عامين يصنع الصحائف، بالكثير من العمل الشاق وإخفاقات عديدة يرثى لها. وكان كل العمال والموظفين تقريباً من الإنجليز، عدا فتى نازي واحد، وهو أخرق شديد الإخلاص، اصطحبه معه من ألمانيا. ساعده ذلك الشاب في صنع الصحائف البيضاء. ولم يكن يعرف بماذا ستستخدم، ولكن الفارس طلب منه أن يمسك لسانه، ولا يثرث عن الأمر. فكان، كما يقول فون هيس،

يفعل شيئاً. كان يقول إنه يظن أن يوهان ليذر يعرف. وفي الحقيقة لا بد أن الفتى كان كذلك، إلا إذا كان نصف معتوه، لكنه لم يقل شيئاً لأحد. لذا، وبنظارته التي حصل عليها، واصل فون هيس عمله مرة أخرى بشكل جيد إلى حد كبير، لكنه صار يفقد بصره تدريجياً، بحيث صار ينتج أقل وأقل كل يوم. ولكن كتاباته لم تقل جمالاً ووضحاً بقوة الإرادة، على ما يبدو، حرص على إيقائها صغيرة ومنظمة. وخلال خمس سنوات دون كل محتويات ذاكرته، وانتهى من كتابه. بقيت بعض أوراق في نهاية المطاف، ولكنه يقول إن عما لم يكن هو ما منعه من ملئها، بل لم يبق عنده ما هو متأكد منه تماماً وتتجدر كتابته. ثم بعث لأندولد وأخبره عن الكتاب أنا كثيراً ما تخيلته هكذا، ذات مساء صيفي جميل - لأن التاريخ في نهاية هذا الكتاب هو 6 يونيو (و الشهر الذي نسميه الآن هيملر) - جالساً عند الباب ربما في منزله الصغير، يضع نظارتيه على أنفه وعينيه تحدقان، بالكاد يمكنه رؤية التعبير في عيني أرنولد، وغير قادر كلياً على رؤية جمال السماء عند غروب الشمس. لقد كنت هناك؛ وتخيلت له بيته صغيراً على الجانب الغربي من الجزيرة. ربما يكون لا يزال مرتدياً بزة الفارس، رئة جداً وحائلة، والصلب المعقوف الذهبي على ياقتها البيضاء الذي يشير إلى أنه كان من الدائرة المقربة. أو ربما كان داخل المنزل بجوار المدفأة في واحدة من تلك الغشاوات الضبابية الغامرة المتواصلة التي يكون عليها الطقس مدة تسعة أشهر في السنة. حسناً، أكان مبللاً أم لا، في الخارج أو في الداخل، فقد تمكّن من جعل أرنولد يفهمه. تعال إلى هنا يا أفراد".

اقترب أفراد من المكتب ونظر من فوق كتفي الفارس. فتح الرجل العجوز الكتاب على أوراق قليلة في نهايته. رأى أفراد بضعة أسطر بخط فون هيس الحرفي الماهر، ثم فراغاً، ثم مزيداً من بعض الكلمات الألمانية

بخط بدا بالمقارنة ردئاً للغاية واهياً وغير مرتب.

"والدي، فريدريك فون هييس، الفارس الجermanي من دائرة العشرة المقربين، منحني هذا الكتاب في 19 يونيو، 2130. كان وقتها في السبعين من عمره، كفيقاً تقريباً، وليس من شيء آخر يعيش لأجله، لكنه، كما قال، كان يملؤه إيمان كامل بخير وعالمية الرب، أقدم على الانتحار في اليوم التالي، 20 يونيو، 2130. طلب مني أن أقوده إلى مكان معين في بعض التلال الوعرة ليس بعيد، يدعى سكارتس أوف ذكولينز ، وهناك طلب أن أتركه لثلاث ساعات. عندما عدت مرة أخرى كان والدي قد مات، بعد أن ابتلع بعض السم الذي لا بد أنه كان معه منذ أن غادر ألمانيا قبل عشر سنوات. كانت هناك قصاصة صغيرة من الورق بجانبه بعث فيها بتحياته ومحبته لكاسبار وفريدريش، وفالديمار، ولـي، أرنولد، كما كتب، كن وفيأً واحرس الكتاب. لذلك أنا هنا أوثق اليمين.

"أقسم أن أكون مخلصاً وأن أحرس هذا الكتاب.

"أرنولد فون هييس، الفارس."

تحت ذلك كانت هناك قائمة من الأسماء بخط يدوي مختلف، تسبقها عبارة und ich . قلب الفارس الصفحة وتواصلت الأسماء. وتم ذكر كل رجال عائلة فون هييس تقريباً بعد واحد من الأبناء الأربعة للكاتب العجوز. حدق الفرد أسفل القائمة حتى وصل إلى آخر اسم، وقد كتب بالخط اليدوي الجميل للكتاب نفسه.

. Und Ich ,Friedrich von Hess,Knecht

"هل تقسم أن تكون مخلصاً، يا الفرد؟"

"نعم".

"إذاً، خذ هذا القلم، واغمسه في هذا الحبر الخاص في هذه الزجاجة هنا، واكتب اسمك تحت الأسماء".

"أنا لست جيداً كثيراً في الكتابة يا سيدي" قال أفراد بأسى. "سوف أطبع الصفحة".

"لكن يمكنك الكتابة؟".

"أوه، نعم أستطيع".

"يمكنك نسخ Ich UND

Und Ich bin nicht Ich" كتب بخط متباعد وسيء "وكذلك أنا" باللغة الإنجليزية. تحت أسماء عائلة فون هيس كتب "أفراد"، وتحت KNECHT بصعوبة ومشقة نقش كلمة "Englishmun".

"يا لك من رجل إنجليزي" قال الفارس. "اعطني القلم". وبشكل حاذق صحق إملاء أفراد الخطأ. "أعتقد أنه لم تتح لك أية مناسبة للكتابة؟" سأله.

"ليس غالباً. لا يوجد شيء للكتابة عنه. كل ما كنت أكتب في ما مضى هو "ناجح" على استماراة المحرك".

"ألم يكن عليك ملء طلبيات المحلات لشراء الأدوات وما إلى ذلك؟".

"رئيس العمال النازي على الأرض يفعل ذلك. أنا الرجل الأول في تلك القائمة من دون لقب. يبدو غريباً، أليس كذلك؟" أفراد "فقط".

"كان بإمكانك أن تكتب أفراد أفرادسون".

"هذا لا يهم. هذا ليس لقباً مثل فون هييس. أنت فريدرريك كاسبارسون فون هييس".

كان الخبر قد جف، فأغلق الفارس الكتاب. وأضاف "ذلك النازي، يوهان ليدر، كان له لقب. كيف حصل عليه؟ ليس لهيرمن أي لقب أكثر مني".

"سأقول لكم في الغد" قال الفارس وبدا متعباً. "كيف فقدتم ألقابكم، وأي شيء أعرفه بنفسي. أنا أعرف أنك مذخر بالأسئلة. ولكن الآن يجب أن تذهب، ورغم أن الكتاب قد صار لك، يا أفراد، لا يمكنكم الحصول عليه حتى الآن. يجب أن نفكر في طرق ووسائل ذلك".

"سيدي، كيف أمكن أن تخاطر بنفسك في طائرة، رغم علمك أنك لو قلت فإن الكتاب سيضيع؟".

"ما زلت ألمانيا، وفارساً. إنه ليس من السهل دائماً أن نرى أين يكمن واجبنا الحقيقي. لكنني أتعترف أنه كان ضعفاً خرافياً، الذهاب معك. يا هيرمن...!".

قفز هيرمن كأنه أوقف فجأة من نوم عميق. وثبت في وضع الانتباه.

"عليك الذهاب إلى نهاية الممر، وفتح الباب والانتظار في الخارج مع هاينريش حتى يأتي أفراد. أنت لن تتحدث إلى هاينريش. تحية. إلى الخارج. سر".

سار هيرمن بتصنع خارجاً وأغلق الباب.

"اسمع يا أفراد، بلغه عنـي أنه يمكنـه العمل في المزرـعة أو لا، كما يحبـ. ابـقـ معـهـ. واعـتنـ بـهـ. فربـما يـحاوـلـ أنـ يـقـتـلـ نـفـسـهـ، أوـ يـحاوـلـ قـتـلـكـ. كـنـ حـذـراـ وـخـذـ هـذـاـ".

هذا كان مسدساً صغيراً سحبه الفارس من مكتبه.  
 "أفضل ألا أفعل يا سيدي" قال أفراد. وأضاف "إذا وجدوه معي، أو إذا اضطررت لاستخدامه، سيكون هناك جحيم من الضجة. في معركة عادية أنا لا أحتج له".

"ولكن لديه سكيناً، وليس لديك شيء. هل فهمت، يا أفراد، أنت ببساطة يجب ألا تُقتل. هيرمن لا يمكن السيطرة عليه إلا بالانضباط. لماذا، لأن عشرة من أمثال هيرمن، مائة منهم، لن يساووك".

"ولكنه لن يقتلني" قال أفراد. "ولن يقتل نفسه. سوف أعتني به. بينما أنا هنا"، وأضاف، بصعوبة "باقي عندي أسبوعين آخرين".

"كما تعلم، ما كان يجب أن يعرف".

"كلا، ما كان يجب ذلك. أنا آسف يا سيدي. ولكن ربما أستطيع إخراجه من ذهوله".

"هناك الكثير مما يجب التفكير فيه" قال الفارس "لذا يحيا هتلر، يا أفراد. يمكنك أن تأتي كما تحب، لنقل في السادسة من مساء الغد".

"سيدي...." قال أفراد متربداً.

"ماذا؟".

"هل من اللائق لإنجليزي وعامل مزرعة مواصلة المجيء لرؤيتك؟ ربما المرة الواحدة تُفسر بالتعرض لتوبيخ من الفارس".

"ذلك صحيح تماماً" قال فون هييس، بابتسامة متعبة. "سمعة عائلتي لحسن الحظ غريبة لدرجة أنه يمكنني فعل أي شيء تقريباً Auf wiedersehen".

أدى أَلْفِرِد التحية وذهب.

خارج باب الممر وجد هيرمن وهainerish واقفين مثل صنمين خشبيين، واحد على كل جانب، يحدقان في الفضاء، دون أن ينتبهما لبعضهما. نظر أَلْفِرِد إليهما الواحد تلو الآخر، ورغم أن كليهما لا ينفعان كنمودجين لهتلر الأسطوري، فقد كان كل منهما شاباً ضخماً وأشقر. تسأله عما إذا أخفت سحنة هainerish الرجالية أي ضعف، أو رغبة قوية في الاعتماد على النفس، كما فعل هيرمن. لا يمكنك معرفة ذلك من النظر إلى هيرمن. لو كانت ذقنه ناعمة، فإن لحيته الذهبية قد أخفتها. "أُجرؤ على القول إنه شيء جيد،" فكر أَلْفِرِد. "لو استطعت جعله يفكر فيّ الآن، ربما سيكون على ما يرام. يا للفتي المسكين! كنت مخطئاً في السماح له أن يعرف. إنه ليس حتى ربع رجل".

لم تأخذ هذه الأفكار وقتاً أطول من تردد طفيف، عندما أغلق الباب.

"هيا، هيرمن" قال موعزاً بذراعه. "يرغب النبيل منا أن نغادر. هيا سر".

سار هيرمن، برعشة عصبية. كان يسير مع أَلْفِرِد في صمت حتى ابتعدا عن حراس الفارس في الطريق التي تؤدي إلى المزرعة.

"إلى أين أنت ذاهب؟" سأله بصوت خامل.

"حسناً، إلى أي مكان تريد. يقول الفارس يمكنك العمل أو لا، كما تريده. ماذا تريد أن تفعل؟".

"العزق".

"إذًا، إذا كنت ترغب في العمل، أعطني معمولاً، قل لي أي نهاية أستخدم، وسأكون معك".

"هل قال ليس علي أن أعمل؟".

"نعم قال ذلك".

"وقال إني كنت جباناً".

"أوه، لم يكن يعني ذلك. وكان ينافضني فقط لكوني سعدت بأن كانت لنا إمبراطورية يوماً ما".

"هل ذلك كله صحيح؟".

"ماذا؟".

"كل ما قاله؟".

"لا أحد يستطيع أن يعرف أبداً. لكن من الطريقة التي وردت بها حكايته، يمكن أن أقول، نعم. إذا كان على ألماني قول الحقيقة، لا يسعني التفكير في شيء سوى أنه بقدر علمه، سيقولها، ولا شيء غير ذلك".

توقف هيرمن عن السير في طريق المزرعة واستدار لمواجهة ألفريد. لم يلح أحد في الأفق.

"كان يظنني جباناً" قال هيرمن. "وكذلك أنت. أنت تظن أنني لا أتحمل أي شيء. وكذلك هو. ولكن لم يدرك أيٌ منكم أن الأمر أسوأ بالنسبة إلى مما هو لكم. لقد تعود عليه. وأنت سعيد، لأنك إنجليزي. أنا لا شيء، سوى نازي عادي". ارتجف صوت هيرمن فسعل ليسترد نفسه. "ولكن كليكم مخطئ".

"كنت مخطئاً لعيناً" قال ألفريد. "أنا آسف، يا هيرمن. ظننت حقاً أنك لا تحتمل ذلك. أن يؤخذ منكم رب وإيمانكم بعصمة ألمانيا دفعه واحدة. لماذا، بالطبع، ما كنت لأحتمل ذلك، لو كنت مؤمناً بعصمة الإنجليز، وإذا كان لي إله إنجليزي. لقد أخطأتك في حركك. ولم أكن أدرك ما سيكون عليه

الأمر".

"هل أدرك الفارس ذلك؟".

"لم يكن يريد لك أن تعرف. ولكن لا، هو لم يدرك ذلك، يا هيرمن. أكبر تأثير في حياته كان العجوز فون هييس. ألم يكن ألمانيا؟ نعم، كان من ذلك النوع الأكثر ألمانيا في الألمان. أيمكنك تخيل نوع آخر من الرجال أحادي التفكير تماماً، مكرساً جداً شديد الإهمال لنفسه، شديد الصبر، قوياً جداً؟ ومع ذلك لا تبدو كل تلك التفاهات عن العرق تعني الكثير عنده. "خير وعالية الرب، هذا ما آمن به في نهاية المطاف. لقد أعرب عن اعتقاده بأن ألمانيا يجب أن تحكم العالم، وأن الحقيقة يجب أن تسود. كان رجلاً عظيماً. بحق الرب، يا هيرمن، لقد آمن بألمانيا أكثر مما تؤمن بها أنت".

"أنت تتحدث كثيراً" قال هيرمن "أنت تعكر صفوبي. ما أريد أن أقوله لك هو أنني أستطيع أن أتحمل هذا، وأنني لست جباناً حقاً، مهما كان ما تظناته أنت والفارس. ولكنك، يا أفراد، لا يمكنك تركي هنا".

"أين؟".

"في ألمانيا. كنت تقول - إنه يقول إن ألمانيا على خطأ، وكل ذلك الكلام. حسناً إذا، إذا بقيت هنا فسوف أقتل نفسي. ماذا يمكن أن أفعل غير ذلك؟".

"يمكنك موافقة العزق".

نبت صرخة من القلب، عالية تخلو من الزهو، خرجت من شفتي هيرمن الملتحيتين. "أفرد، إذا أخبرني الرجل الذي أثق به ماذا علي أن أفعل، فسأفعل. أنت أو الفارس. لا يهمني من كان منكما".

أمسك أفرد بذراعه قائلاً "هيرمن، يا صديقي الشاب، لقد أخذ منك

التفكير وقتاً طويلاً. دعنا نجد بعض المعاول".

لكنه ظل يفكر "أينبغي لأي رجل أن يكون مثل هيرمن؟ أيمكن أن يكون هناك رجال مثل هيرمن، عندما كانت تلك الفتاة التي في الصورة على قيد الحياة؟ هل هو ربما ليس بصبياني كثيراً بل مثل المرأة، عندما كانت النساء مختلفات؟ لكنه لن يقتل أحداً، وهذا شيء جيد، على أي حال. كيف يمكن أن يستعمل المرء المعاول؟".

ذهب هيرمن إلى حجرة الأدوات في المزرعة للحصول على اثنين من المعاول، ثم إلى المطبخ لتلقي وجبة في الكوخ. قدم الطاهي جزءاً لألفرد، عندما اقترح هيرمن ذلك، من دون تردد. فالجلسة الطويلة مع الفارس رفعت من شأنهما في المزرعة، واعتبرا رجلين مميزين. فإذا ما كان متساء جداً منهما، وفي هذه الحالة كان بعض التعاطف مناسباً، حتى مع الإنجليزي، أو أنه شغلهما بنوع خاص من المصلحة. أظهر الطاهي الاهتمام والفضول عبر تلميحاته، ولكن هيرمن لم يقدم أي رد، وكان على الرجل أن يعود إلى مטבחه غير راض. "الأمر يتعلق بصبي الكورال ذاك، على ما أعتقد". كان يفكر. "ربما سمع الفارس بأنه قد مات".

في الحقل وجدوا الرجال الآخرين يعملون، ويكدحون في صفوف طويلة بين الجذور.

"استعمل المعاول هكذا، يا ألفرد. تعال إلى الصف الذي بعدي ولا تحاول أن تكون سريعاً إنه عمل شاق".

"هذه درنات بنجر" قال ألفرد، مقطعاً أوراق أحدها بهدوء بمعوله. "ولكنها صغيرة وفاسدة".

"حسناً، لا تقطع كل أوراقها لتحسينها. إنها لن تنمو جيداً في هذا الجزء

من ألمانيا. إنهم لا يحصلون على ما يكفي من الرطوبة. هذه واحدة من تجارب الفارس التي لا تنتهي مع سmad خاص. وهو يظن أن الكثير من العزق يغوص عن غياب المطر في الوقت المناسب".

"إنه خبير بالزراعة أيضاً، مثل ذلك العجوز؟".

"إنه سيء للغاية" قال هيرمن، وهو يبتسم تقريباً. وأضاف "ويقوم بالأشياء الأكثر غرابة. لا تحفر هكذا. اسحب المعول على سطح التربة".

"تمتم أَلْفِرِدُ فِي الْحَالِ، فِي إِشَارَةٍ إِلَى لِيلَةِ الْاخْتِفَاءِ Heilige Nacht" النهائي لهتلر في الغابة المقدسة.

"أي عمل خنازير هو هذا!" أوجعته ركبته، والعرق يقطر منه وظهره يؤلمه بشدة. أما هيرمن، ومن دون أي مظهر لبذل جهد على الإطلاق، كان يعزق إلى الأمام متقدماً عليه. شعر أَلْفِرِدُ بالحرج في الاستسلام. فأخذ يعزق بأسرع ما يستطيع، في محاولة للحاق بهيرمن. وصار أبعد وأبعد وراءه، لأن هيرمن عندما انهمك في عمله تسارع بشكل تدريجي. "صديقي مجرد آلة عزق بمحرك توربيني" فكر أَلْفِرِدُ، وتوقف للحظة كي يمسح العرق عن عينيه. "أمل أن يكون هناك شيء للشرب في الكوخ".

ولحسن حظه كان قد اقترب وقت الغذاء عندما وصلوا إلى الحقل. قبل أن ينضج تماماً سمع صيحة ترحيب تدعوهم إلى الكوخ. رفع أَلْفِرِد ظهره، الذي يبدو أنه قصر نفسه بشكل دائم في حدبة، والتقط معطفه، وترنح ماشياً نحو مجموعة من العازقين. وكانت في استقباله عبارات ساخرة ودودة.

"كل شيء على ما يرام" قال وانهار في الظل. "أنا لست معتاداً عليه. إذا حاولتم يا رجال إصلاح محرك فستبدون تماماً كالمحفلين".

"ذلك عمل يتطلب مهارة" قال أحدهم. "لكن أي شخص، حتى لو كان إنجليزياً، يفترض أن يكون قادراً على جر المعول على الأرض".

"الترفة المقدسة في ألمانيا صلبة جداً بالنسبة إي، أخشى ذلك. سجق! أنتم النازيون تعيشون حياة مرفهة. هل كل عمال المزارع يحصلون على طعام جيد مثلكم؟ أهناك بعض الماء؟".

"هناك بعض الجعة. ناول قليلاً منها، لهيرمن. رفيقي المسكين يكاد يغشى عليه". شرب الفرد بامتنان. وكانت الجعة خفيفة، وكان هناك الكثير منها، ولم تكن حامضة. "طعامنا يعتمد على الفارس الذي نعمل عنده"، أوضح أحد العمال. وأضاف "بالطبع هناك الكثير من الأشياء التي لا نراها إلا في أيام الأعياد. أشياء كالزبدة أو من هذا القبيل. ولكن فارسنا جيد جداً. عائلة فون هييس مجانيين، ولكنهم ليسوا لئيمين أبداً. من المؤسف أن الرجل العجوز ليس له ابنًا".

جلس هيرمن بجانب الفرد في الكوخ، يمضغ طعامه ببطء. ولم يتحدث أو يستمع لما كان يقوله الرجال الآخرين. ثم التفت ناظراً إلى الفرد، نظرة غريبة جوفاء، غامضة يائسة، مثل امرأة توشك على تسليم ابنها الرضيع.

"ذلك صحيح" غمم الفرد بالإنجليزية. "الفارس سيرعنانا. سيقول لنا ما يجب القيام به. واصل العزق ولا تحاول التفكير".

أوما هيرمن.

"لو واصلت العزق لعام أو نحو ذلك"، سأله الفرد، "هل أكون قادراً على الوصول إلى سرعة هيرمن؟".

"ليس من المرجح ذلك. كما ترى أنه أقوى رجل في المزرعة".

"إذًا، لن أكلف نفسي عناء التعلم. سأقوم بالمزيد قليلاً حتى حوالي الخامسة، حينها يصير الجو أكثر برودة".

"إلى أين أنت ذاهب؟" سأل هيرمن بسرعة.

"إلى النوم. وبعد ذلك إلى المتجر لشراء بعض السجائر فقط. كما ترى، يا مصيفي وكل الشباب الطيبين، إذا واصلتم تزويدي بالسجق والجعة والحساء يمكنني شراء السجائر لكم. أعطتني حكومتكم الأبوية الكريمة اثنين من الماركات في اليوم لتغطية مصروفاتي، إلى جانب بطاقة السكك الحديدية. ما الذي يمكن أن أحصل عليه؟".

"السجائر الصغيرة ذات قيمة أكبر من السجائر. اطلب علبة الختم الأحمر. هل تحصل على كل مال نفقاتك دفعة واحدة، في إنجلترا؟".

"يمكنني السحب من المساعد عند أي فارس في حدود مبلغ معين. وسيدون ذلك على ورقة ويعطيني كل ما أريد".

"إذاً - يمكنك سحب كل شيء مرة واحدة ونقيم وليمة ضخمة في هامبورغ أو في أي مكان تختاره؟".

"يمكنني ذلك. ولكنني سأجر حينها من أذني إلى خارج ألمانيا وتسوء سمعة نزاهتي. وسيكون علي العودة إلى العمل. لكنني أفضل البقاء هنا لشهر كامل ورؤيه كل الأماكن المقدسة".

"من منها الذي أحببته أكثر حتى الآن؟".

"الغابة. والراين".

"الراين ليس مقدساً بشكل خاص. إلا في الجزء الذي سبع فيه".

"إنه جميل" غمغم أفرد ناعساً. "والآن لا تقرعوا معاولكم أيها الرجال،

عندما تعودون إلى العمل".

"انه يستحق الركل، يا هيرمن. لماذا لا تفعل ذلك؟".

"لماذا لا تفعل ذلك أنت؟". قال هيرمن "ولكن ليس من الجيد ركله. فلن يكون مختلفاً بعدها. وربما لن يجلب لكم السجائر".

"لماذا لا تقوم بقتله وأخذ الماركين أو كل ما لديه، ونشتري السجائر بأنفسنا؟".

"لأن من الأفضل أن نعذبه، ونجعله يسحب كل ما تبقى له من مال عند مساعد الفارس، ثم نقتله بعد ذلك. لن يقلقاً كثيراً إذا لم يعد إنجليزي غريب مرة أخرى. هيا يا شباب، الآن".

جلس هيرمن معتدلاً وأخذ معطفه ودسه تحت رأس الفرد كوسادة. قائلاً:

"الغريب الإنجليزي على حق".

بدأ الفرد نائماً وقتها، يفتح فمه ويصدر شخيراً.

"هل كل الإنجليز كسالى مثله؟" سأله أحدهم هيرمن، وهم يعودون إلى عملهم.

"إنهم لا يندفعون في البحث عن عمل، لا أحد منهم يفعل ذلك. وألفرد في عمله سريع وذكي. في المطار حيث يعمل يقدرونـه كثيراً. وكان سيصبح رئيس العمال الأرضيين قبل خمس سنوات لو كان نازياً".

عاد هيرمن إلى صفه وحيداً. العمل الشاق المتواتر يهدئه. استطاع تحجيم نفسه، بالكاد، إلى مجموعة تلقائية من العضلات التي تعمل بخبرة. حل السلام بعقله، السلام الناجم عن الفراغ. ولكنه رغم استغرقه المادي

كان واعياً عندما، بعد ساعتين، استيقظ الفرد وجال في أنحاء الحقل. لوح لهيرمن، الذي رد بإيماءة بمعوله. وهو يأمل أن يأتي الفرد للتحدث معه، لكنه لم يفعل. بل ذهب إلى الباب واختفى. كان الفرد يشعر بأنه قوي قوة عشرة رجال. طوال حياته كان ينتعش دائماً بعد النوم، وليس جسدياً فقط، أكثر من انتعاشة بتناول الطعام أو الشراب أو الحب أو الشهوة أو نجاحات مهاراته. ولم يفهم ذلك أبداً، ومهما كان يائساً وحائراً من نضاله الأبدى وإيمانه بوجود ضوء في العتمة التي أحدها الإنسان، فإنه حالما يستيقظ من النوم كان دائماً يحس أنه متجدد وجاهز للقتال وقد فارقته التعاسة والاكتئاب والخوف من الجنون. وكان شيئاً في داخله، وليس في دماغه، واصل التفكير، أفضل بكثير مما في وسعه. ورغم أنه لم يخبره بأى شيء واضح، إلا أنه كان دائماً يشعر بأنه متقدم قليلاً مما كان عليه عندما اضطجع للنوم. كان يذهب إلى النوم في بعض الأحيان مفكراً في الانتحار والراحة الأبدية من هذا الصراع المرير، والأسوأ أنه كان وكأنه في معركة مع الرياح والضباب. لكنه كان يستيقظ بعدها عازماً على العيش حتى آخر لحظة ممكنة من عمره المحدد. "لأني"، كما كان يعتقد، في تلك المشاعر الغامرة، "إذا وصلت التفكير طويلاً وبشدة بما يكفي، فسأتتمكن من الفهم". بعد غفوته الطيبة في الكوخ، الأفضل والأطيب لليلته الأرقة ولمجهوده العنيف غير الماهر بالمعoul، كان يعرف أن العالم كان فردوساً حقاً. ولا يمكن لرواق الإله أودين أو لجنة الأبطال أو لبركات النعيم الأبدى الخارق من أي نوع، أن حازها أن تغير هذا المشهد الألماني وهو يسير فيه. كان سعيداً عندما اضطجع، بسبب الضوء الذي بزغ من حكاية الفارس. وعندما استيقظ الآن كان يشعر أن عقله السري، ذاك الذي لا يمكن أن يقدم له أية رسالة مباشرة، ولكنه كان دائماً قوياً ومفعماً بالأمل، قد قام بخطوته المعتادة إلى الإمام.

"رأفهُم كل شيء الآن"، أخذ يفكر "عندما أحصل على كتاب فون هيس وأقرأه سيكون كل شيء واضحاً. الجزء الصعب، هو التفكير لوحدي، لقد تم كل شيء. وكنت على حق. ليس هناك عرق أو دم. والرجال هم الرجال. بعضهم أقوى من غيرهم، وذلك كل شيء. والأمر المتعلق بالنساء. على أن أفكر في النساء. كيف يمكن للمرء أن يفعل ذلك؟ وهل يفكرون في شأنهن؟". أخذ يبذل جهداً جاداً للتفكير بشكل لا جنسي وبموضوعية في شأن النساء، وكان، على الأقل، ناجحاً في التركيز. وعندما انتبه تاليًا لمحيطه المادي، سار عبر القرية وهو يعرج على طول الطريق المؤدية إلى الغابة حيث كان وهيرمن قد اغتسل في اليوم السابق. "يبدو أن ستة أسابيع قد انقضت" فكر الفرد متلفتاً حوله "اللعنة على ساقى". لقد سرت عليها أكثر مما يجب". لكنه سرعان ما نسي الانزعاج مرة أخرى في خضم أفكاره. ثم توقف فجأة. كان يحدق في أسفل عصاه. "رباها!" قال بصوت عال، مخاطباً عصاه على ما يبدو. "يا لها من فكرة غريبة! أيوجد بها منفذ، في مكان ما؟". لكن فكرته لم يكن فيها منافذ، منطقياً، كانت وبوضوح رائعة جداً ومستحيلة. بدأ السير نحو القرية الثانية. "ومن المرجح جداً أنها صحيحة"، كان يفكر "لأنني عندما بدأت التفكير للمرة الأولى كنت متفوقاً على جميع الألمان تقريباً الذين التقى بهم. أعتقد أن ذلك كان رائعاً ومستحيلاً أيضاً. كل شيء رائع لو كان خارج الحدود التي تربيت عليها. في البداية على التجربة على الفارس. الآن يجب ألا أعبر القرية مرة أخرى دون شراء السيجار. الختم الأحمر. ويجب أن أعود إلى هيرمن. في الساعة السادسة غداً! ستة أسابيع أخرى. إن حياتي تستطيل بسرعة".

بدأ الفرد يغني لحنًا سمعه من رجل اسكتلندي، كئيباً ومؤرقاً على عكس الموسيقى الألمانية. لحن خرج من ظلمة قبائل الزمن القديم. "جذف

القارب الجميل، مثل طير يفرد جناحيه، فوق البحر نحو سكاي ". وكان لحنًا من قسمين ولا يبدو أن هناك أي سبب يجبر المرء أن يتوقف عن غنائه، إلا عندما تصل الكلمات إلى نهايتها. اختلط جزء من جو اللحن بالأخر وعاد إلى البداية. اعتاد الرجل الاسكتلندي أن يستخدم صافرة خشبية في عزفه، مراراً وتكراراً، حتى يغرق نفسه في الكآبة السلبية المظلمة التي دائمًا ما تتركه أكثر تفاؤلاً في اليوم التالي. كان لديه صافرة جيدة جداً، ورغم أنه لم يعترف بذلك، كان أفراد متاكداً تقريراً من أنها كانت صافرة من صنع مسيحيين. كان وقعاً منغماً جداً. وربما كان فون هييس قد سمع هذه النغمة عندما كان في سكاي كل تلك السنوات. كيف فات أولئك الفقراء الشجعان المدافعين عن الحقيقة سماع الموسيقى الألمانية! على بعد أميال من بث الراديو العام وغير قادر أن يكون نفسه، إلا إذا جلب أرنولد له واحداً وأبقاءه مزوداً بالصمامات وتلك الأشياء. لم تكن هناك كهرباء على أية حال. ولكنه كان غنياً جداً، وكان يستطيع أن يطلب واحداً جديداً من إنجلترا كلما أراد ذلك. لا يوجد ما يريب في طلب فارس موصوم وجود راديو. ولكنه ربما كان لا يهتم لسماع شيء عن العالم الخارجي، ولا حتى الموسيقى. لم يكن أفراد موسيقي. ولم يكن يستطيع الغناء بشكل جيد، أو العزف بصافرة خشبية، ولا حتى المسيحية منها، كالتى بين يدي الاسكتلندي، وبدت تقريراً وكأنها تعزف لوحدها. لكنه كان مولعاً جداً بالموسيقى، مرت أوقات أثرت تأثيراً شديداً عليه. كان من الصعب عليه، في بعض الأحيان، إخفاء شعور حقيقي بالنقض، عندما يسمع ترنيمة أو أنشودة لباخ تعزفها بكمال الجوقة النازية في كنيسة الشكبة الكبيرة في سالزبورى. لدى الألمان مثل تلك القدرة الموسيقية المذهلة. لماذا، يمكن لأي أربعة متخلفين منهم أن يغنوا لك بسعادة أو يأس، وفقاً لمزاجك الخفي، أغنية بسيطة قصيرة. والملحنون

جزء في غروب الشمس". عبادة الهوى ذلك الشيء الضئيل البدين العابس اللين المبتسم، في حين أنهم قد يعبدون باخ أو فون هييس. ولكنهم بطبيعة الحال لا يعلمون بفون هييس. ولا يعرفون أن هتلر كان شيئاً ضئيلاً بديناً غامضاً ليناً مبتسمـاً، لا بد أنه كان رجلاً عظيماً، على أي حال. ربما يكون معقولـاً مثل عبادة أي رجل آخر. أما الآن، فالسيجار، السيجار، والتفكير في السيجار، أو سيحرم هؤلاء التعبـاء الملـاعين الألـمان المـبارـكـين من التـدخـين هذه اللـيلة".

## الفصل السادس

في تمام السادسة من مساء اليوم التالي مَثُلَ الْفَرِيدُ وَهِيرْمَنْ أَمَامَ الْفَارِسِ. أَصْدَرَ فُونْ هِيسْ نَفْسَ الْأَوَامِرِ التِي صَدِرَتْ مِنْ قَبْلِ لَهَاينْرِيشِ. وَبَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَ خَادِمِهِ، دَعَا الْفَرِيدَ وَهِيرْمَنَ إِلَى الْجُلُوسِ. وَلَكِنْ لَمْ يُسْتَطِعْ أَيُّ مِنْهُمَا فَعْلُ ذَلِكَ. بَدَا هِيرْمَنْ بِالْكَلَامِ، مُتَرَدِّدًا، وَتَوقَّفَ. سَاعَدَهُ الْفَرِيدُ. قَائِلًا:

"إِنْ لَدِيهِ شَيْئاً يُرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ لَكَ يَا سَيِّدِيْ".

"حَسَنًا، قُلْ لِي مَا هُوَ، يَا هِيرْمَنْ".

"يَا سَيِّدِيْ" قَالَ هِيرْمَنْ، مِنْ دُونِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْفَارِسِ، بَلْ أَمَامَهُ مُبَاشِرَةً، "لَوْ تَفْضِلُتُمْ وَسَمِحْتُمْ لِي فَإِنِّي أَرْغُبُ فِي أَنْ أَمَارِسَ عَمَلِي فِي الْمَزَرِعَةِ، وَلَا أَرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ الْمُزِيدَ عَنِ الْكِتَابِ مِنْ سَلْفِكُمُ الْثَالِثِ النَّبِيلِ. وَأَنَا لَسْتُ جَبَانًا لَوْ سَمِحْتُمْ لِي، لَكِنِّي لَا أَفْهَمُ الْكَثِيرَ عِنْدَمَا تَتَحَدَّثُونَ أَنْتُمْ وَالْفَرِيدُ. وَأَوْدُ بَدْلَ ذَلِكَ، أَنْ أَسْمَعَ عَنْ تَلْكَ الأَشْيَاءِ مِنْ الْفَرِيدِ. لَذَلِكَ أَتُوَسِّلُ، يَا رَفِيعَ النَّسْبِ، أَنْ تَعْذِرْنِي".

"بِالْطَّبِيعِ يُمْكِنُكَ" قَالَ الْفَارِسُ، شَاعِرًا سِرًا بِالرَّاحَةِ، وَلَكِنَّهُ كَتَمَ ذَلِكَ بِأَدْبٍ. "أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الْأَمْرَ صَعْبٌ لِلْغَايَةِ، وَإِذَا كُنْتَ لَا تَرِيدُ أَنْ تَسْمَعَ الْمُزِيدَ، فَلِمَاذَا أَصْرَّ عَلَى إِخْبَارِكَ؟".

"أنا لست خائفاً من سمع الأشياء، يا سيدي. أنا لا أفهمها تماماً فقط، وأفضل القيام بعملي المناسب".

"إذاً انصرف. أوه، يا هيرمن، كيف هو ذلك البنجر؟".

"سيئ يا سيدي. تقريراً بنصف حجم الذي من ويلتشير في نفس المرحلة من النمو".

"سيكون أفضل بعد العرق" قال الفارس آملاً. "انصرف" حياد هيرمن، والتفت بتأنب وخرج. جلس الفرد رداً على دعوة الفارس.

"كيف هو هيرمن يا الفرد؟".

"نهار".

"يبدو أنه محق في ذلك".

"أوه، أنا لا أقصد جسدياً. فهو يعمل وكأنه دينامو. لكنه لم يتصرف أبداً كما كنا نظن. كان شديد العنف عندما كان لا يزال مؤمناً بهتلر خلافاً لي، ولكنك الآن حطمت كل دعائمه. لقد انهار تماماً نحو اعتماد شخصي على وعليك. إنه كلبنا المخلص الآن، وليس كلب ألمانيا. لهيرمن روح ضعيفة جداً، روح طفل. وقد طلب مني أن أقول لك إنه، ورغم أنه يعتبرك كأب، والرب ومصدر السلطة كل ذلك معاً، أو نحو هذا من الكلام، فإنه لا يستطيع أن يبقى في ألمانيا عندما أذهب. ويقول إن عليه قتل نفسه بعدها. ولا يمكنه الاستمرار".

"حتى لو طلبت منه ألا يقتل نفسه؟".

"ما زلت أعتقد أنه قد يفعل. إنه مصدر قلق كبير. إذا تجاوزت إجازة الحج فإنهم سيجرونني عائداً بالأصفاد، وسأصير رجلاً عليه ملاحظات. ما

لم تتقى من أجلي كي أكون الميكانيكي الأرضي الخاص بك، أو شيئاً من هذا القبيل".

"لا أريد أن أفعل ذلك. أنت ميكانيكي في الجيش وجيد في ذلك. وستُطرح علي كل أنواع الأسئلة. إلى جانب ذلك، أريد لهذا الكتاب أن يبعد عن ألمانيا قبل أن أموت. أنا لا أعرف متى سيحدث ذلك. أنا عجوز، وأصاب بالتهاب الشعب الهوائية في فصل الشتاء. كلا، يجب أن تعود في الوقت المناسب، يا ألفريد. أعتقد أن ما يعنيه هيرمن حقاً هو أنه لا يستطيع العيش الآن بدونك".

"حسناً، إنه لا يستطيع التحدث إليكم، يا سيدي. أنت أعلى شأنًا بكثير فوقه. لقد كان وحيداً حقاً".

"لقد كان غير سعيد دائمًا، منذ أن ذهب إلى إنجلترا. حتى عندما كان لا يزال مستنداً إلى دعائمه. أنا لم أر أبداً عاملاً كهيرمن. كانت المزرعة رابطه الوحيد بالحياة خلال السنوات الخمس الماضية. حسناً، سأفكر في شيء قبل أن تذهب. في طريقة ما تأخذه إلى إنجلترا. العودة إلى الجيش، ربما. لا، هذا لن أفعله. سيثير ذلك وابلًا من الأسئلة. وهذه الإمبراطورية اللعينة تدار إدارة جيدة ولا أحد يستطيع أن يفعل أي شيء بهدوء".

"لقد قال،" اقترح ألفريد متردداً "رغم أن معرفة ما إذا كان يعني ذلك حقاً أمر يعود إليك فقط، إنه على الأرجح، سيسلم نفسه إلى المنفى الدائم بدلاً من البقاء في ألمانيا من دوني". "أوه"، قال الفارس. "هو قال ذلك، هل قال ذلك؟ همم". المنفى الدائم عقاب رهيب يعتبر الإعدام مقارنة به مهما كان، الأفضل من الناحية النظرية. لو كانت هناك فرصة للاختيار، لكان قليل من النازيين يفتقدون الكرامة بحيث يختارون المنفى. وهي عقوبة لا توقع

عادة إلا لأخطر الجرائم كالتحريض ضد الفوهرر، أو الدين، أو ألمانيا. لا يمكن لفارس وحده إصدار الحكم، بل يجب أن يصدر من محكمة الفرسان ويعني هذا أن الجندي يفقد وضعه الألماني تماماً وإلى الأبد، وقد ثبت أن نسبة ملوث ووضيع، وسيتم طرده نهائياً من الأراضي المقدسة، وبعدها يعامل كما لو كان ينتمي إلى عرق أدنى أو خاضع. ولم يسبق لألفرد أن رأى أي من هؤلاء المنبوذين المساكين، وكان أمراً لا يتطرق له أي ألماني، أو يتحدث فيه إلى إنجليزي.

"عليه أن يتلف قطعة من الطائرة المباركة، أو أن يفعل شيئاً مروعاً مماثلاً، أليس كذلك؟" سأله ألفريد.

"في واقع الأمر، إنهم يقتلون أي شخص يفعل ذلك، في حال كان متهوراً جداً وفي حالة من اليأس يجعله يثير حول هذا الموضوع. وهي عادة ما تعد خيانة من نوع ما. هناك جريمة واحدة فقط تمكنه أن يعاقب بالمنفى الدائم".

"ما هي؟ قتل فارس؟".

"كلا، بل توجيه تهمة باطلة خبيثة ضد ألماني والادعاء أنه ضاجع امرأة مسيحية. هذا يعد أسوأ شيء يمكن للألماني القيام به ضد آخر، أسوأ بكثير من ضربه أو قتله. والاتهام الباطل الخاطئ يعاقب بشدة، لأن على المدعى التأكد التام قبل توجيهه التهمة، إنها جريمة خطيرة جداً. إذا أصر هيرمن حقاً على مواصلة إدعائه...." وتوقف الفارس مقطعاً وجهه، "أنا لا أظن أنه قد يتحمل الأمر".

"لكنه على أي حال، سيتهم صبياً؟".

"ستعتبر محكمة الفرسان الأمر أسوأ باتهام صبي. مخلوق بريء شاب

في أول بزوج لرجولته الألمانية. في محاولة لتشويهه مدى الحياة بقداره كاذبة".

"ولكن ماذا عن الصبي؟ أنا واثق تماماً أن التهمة ليست باطلة خبيثة، حتى لو كان هيرمن مخطئاً. وأنا لا أعتقد أنه كان كذلك".

"لقد مات الصبي. توفي أمس جراء نزيف داخلي".

"يا للصغير الساذج المسكين" قال أفراد آسفاء. "ما كان علينا جعله يمشي. كان يبدو أنه سيصبح على ما يرام".

"هذا زمان من الصعب فيه أن تكون لطيفاً أو إنسانياً" قال الفارس ملاحظاً. الناس في ميونيخ منزعجون جداً من موت الصبي، لحقيقة كونه قد غنى لمدة ستة أشهر أو لفترة أطول. ولكن رغم أن الصبي، مهما كانت شخصيته، يستطيع بصعوبة أن يعرض هيرمن إلى المنفي الدائم إذا استطاعت شهادته أن تنقذه، علينا نحن ألا نقلق من تلك الشهادة لأنه لا يمكنه أن يقدمها. وعلى هيرمن الإدلاء بشهادة أخرى تفيد أنه يغالب الندم على وفاة الصبي، وأنه لا توجد فتاة على الإطلاق (لأنه لو كانت هناك فتاة، فهناك احتمال قوي جداً أن تكون مسيحية) وأن اتهامه صدر في حالة من الغضب لأنه ينجذب إلى الفتى، الذي رفض محاولات هيرمن واحتقره. أجرؤ على القول إن هناك بعضاً من الشعور الشخصي في الموضوع. هيرمن لم يضرب الفتى ضرباً عادياً".

"بل" وافق أفراد. "كان مفعماً بالعنف والوحشية والفضيلة الباسلة. كان سيركل الصبي حتى الموت في الغابة لو لم أمنعه".

"لا يهم" قال الفارس بقسوة. "فيما يخص حياة الصبي فهي لن تكون خيراً له. إذا تمسك هيرمن بقوة مثل الشمع بأنها كانت مسيحية، كان من

المؤكد أن الصبي سيعرف. ومن ثم سيكون الأمر منتهياً بشكل رسمي".

"ماذا، هل سينفى؟".

"كلا. باعتباره في الرابعة عشرة فقط و تعرض لضرب مبرح. وستؤجل العقوبة حتى يمكنه احتمالها. ولكنه سيوصم مدى الحياة. أما عن هيرمن، فإن شهادتيه سوف ترفعان إلى محكمة الفرسان. وسوف أذهب لأنثبت أنني أخذتهما منه. وسيعترف هيرمن مرة أخرى شفويًا أمام المحكمة، وسيعاقب دون شك بالمنفي الدائم. وهذا كل شيء، إذا كانت لديه الجرأة ليتابع الأمر، وإذا كان يريد حقاً أن يفعل ذلك. تبدو طريقة ملتوية بشكل غريب وقدرة لإخراج رجل بريء من البلاد، ولكن، كما قلت من قبل، هذه الإمبراطورية تدار بشكل جيد جداً. السلطة تعرف أين يوجد كل شخص، ولا يمكن سوى للفرسان واليسوعيين أن يتحركوا كما يحلو لهم".

"أو الحجاج، لبعض الوقت. يا سيدى، لقد فكرت في شيء عن النساء. لقد قلت إنهن محبطات لهذا فهن لا يلدن إناثاً".

"لا أستطيع أن أقول إن هذه حقيقة واقعة. قد يكون هناك سبب مادي غامض وراء عدم ولادة الفتيات بالعدد المناسب. وكما يقول فون هيسب، لم يتم تشجيع البحوث في مجال علم جنس الأحياء حتى في وقته".

"أوه، لماذا؟".

" كانوا خائفين أن يثبت علماء الأحياء على وجه اليقين أن الذكر هو الذي يحدد جنس الطفل، ومن ثم لا يمكن للمرء بعدها أبداً إلقاء اللوم على المرأة في عدم إنجابها الذكور. من شأن ذلك أن يكون غير مريح للغاية. كما أنهم كانوا يخشون أنه قد يثبت أيضاً أن الأنثى، لكونها الآلة البدنية الأكثر تعقيداً وتطوراً، تملك حيوية أكثر في الإخصاب والحمل. وأن الأنثى

"لبعضة أيام فقط. ثم تنساه. وهل نساوكم المسنات، سعيدات جداً؟ ولا يبكين؟".

"إنهن دائمات البكاء، ما عدا عجوز بالية تماماً وقدرة تدعى مارتا".

"لماذا تبكي العجائز منهن لو أنهن مجرد حيوانات؟ أو لماذا تبكي الفتيات الصغيرات؟".

"ما الذي تعنيه، يا أفراد؟ أنا نفسي أظن أن لدى المرأة بعض الإحباط العميق الفادح. وأنا لا أنكر ذلك".

"لكنك لا ترى أن هذا يثبت أنهن يجب أن يكن شيئاً آخر إلى جانب الحيوانات والرغبة الفطرية لإرضاء الرجال، مثل العاهرة الماهرة مع سيدها. إنهن حيوانات وهن يرضين الرجال، أو قد يتغير النمط. هكذا هن، وفقاً لك، يصبحن أنفسهن للمرة الأولى في التاريخ، ربما. ولكنهن في الواقع محبيات، لماذا؟".

"أنا لا أعرف" قال الفارس "كلنا يريد أن يعرف".

"الأمر واضح كصليب معقوف، وهو أن النسوة شيء أكثر من مجرد حيوانات أو كونهن انعكاساً لرغبات الرجال".

"لكن، يا أفراد، فكر فيهن. فكر حتى في تلك الفتاة الألمانية من ذلك الوقت. كانت جميلة، بالتأكيد، ولكنها مثلهن متكيفة ومطواعة. النساء دائماً يتبعن النمط المحدد، فكيف يستطيعن في أي وقت أن يكن أي شيء في حد ذاتهن؟".

"عندما كنت صبياً صغيراً ترعرعت على الاعتقاد بأنني كنت أختلف عميقاً وبطريقة ما غير قابلة للتغيير عن جميع الألمان، ولأنني كنت مختلفاً

كنت أقل شأناً. عندما كبرت أدركت أن هذا لم يكن صحيحاً، وعندما فهمت أن كل مسألة الدم والعرق كانت هراء دينياً، وأن جميع الرجال متساوون بصورة ما، رغم أن البعض، من الأفراد والأجناس، لديهم قدراتهن الخاصة. الألمان لديهم القدرة الموسيقية، على سبيل المثال. والقدرة العسكرية. ولم أناقش بطبيعة الحال هذا الأمر مع أي شخص، واستمر الألمان في إخباري أنني أقل شأناً. وفجأة وفي يوم من الأيام عندما كنت أعمل في المحل مع نازي محترم جداً ولكنه واع بمسألة الدم إلى حد مخيف، أدركت أنه لو كان محقاً في هذا الفرق الكبير، فإني إذاً لست مساوياً له فقط، بل متفوق عليه بطبيعة الحال".

"ولكن لماذا، أفرد؟ ليس لدى شك في أنك كذلك، ولكن لماذا بطبيعة الحال، إذاً كان محقاً في مسألة الدم؟".

"لأنه إذاً كان هناك أي فرق حقيقي، فأفضل شيء هو أن تكون نفسك. لا يريد أي رجل أن يكون فيلاً أو أرنبًا. والفيل إذاً أمكنه أن يفكر لن يريد أن يكون أرنبًا أو رجلاً. ولأراد أن يكون نفسه، لأن نفسه هي أفضل شيء موجود في العالم. وبطريقة ما، هي العالم، وهي كل الحياة. الحياة التي هي نفسك هي كل الحياة. إذاً نظرت بعين الحسد أو التوّق أو الشعور بالدونية إلى أي نوع آخر من الحياة، فستفقد حياتك، وت فقد نفسك. لذلك إن كان الألماني نوعاً مختلفاً من الحياة، ونوعاً مختلفاً حقاً، فسيشعر بالتفوق، وأنا كذلك أيضاً. القبول من جانبي بالنقص الجوهرى هو خطئه ليس ضد رجولتي فقط وإنما ضد الحياة نفسها. هل تعرف ذلك الرجل الإنجليزي من النوع من الذي يحاول دائماً أن يتظاهر بأنه ألماني ويصعب عليه التحدث بلغته؟".

"نعم".

"وأنت تحقره كثيراً، أكثر من أي تابع عادي لا يتظاهر ويَدْعُى مثله."

"نعم، أفعل بالتأكيد".

"وهكذا هم معظم الألمان، حتى من دون علمك بهم. يريد الألمان في الظاهر أن تتقبل دونيتنا، ويحقرننا في الباطن لفعلنا ذلك. لأنهم في عقلهم الباطن على اتصال مع الحياة ويعلمون أنها جريمة ضد الحياة. حسناً، السبب في أن النسوة لم يكن أبداً قادرات على تطوير كل ما هن يكتنفنه، إلى جانب جسدهن الحيواني، هو لأنهن ارتكبن جريمة ضد الحياة. كن يرين شكلآ آخر من أشكال الحياة، هو بلا شك مختلف عما لديهن، ليس شيئاً نصف مبهم جداً كالدم، بل مختلفاً في الجنس، وقلن "إن ذلك الشكل هو أفضل من الشكل الذي عندنا". ولهذا السبب كان الرجال دائماً يحقرنها في اللاوعي، بينما يحثونهن بوعي على قبول دونيتهان. تماماً مثل أولئك الإنجليز الخائبين ليسوا من الإنجليز ولا من الألمان، بل جبناء وأغبياء فقط ونصف ناضجين، ولذلك نجد النساء لسن رجالاً ولا هن نساء، بل نوعاً من الفوضى".

"لكن، يا أفراد، أفرد أنت لا تعني أن على النساء اعتبار أنفسهن متفوقات علينا؟ إنها فكرة مجنونة".

"إنها فكرة منطقية" قال أفراد. "يجب ألا تفكرون في النساء كما هن الآن، فمن التخبط جداً فعل ذلك. يجب أن تفكرون في الحجة. كل شيء يجب أن يرغب في أن يكون نفسه قبل أي شكل آخر من أشكال الحياة. النساء، يعتبرن شيئاً - إناثاً، وعليهن أن يرددن أن يكن كذلك، يجب أن يعتقدن أن ذلك الأكثر تفوقاً، وأنه أعلى شكل ممكن من أشكال الحياة البشرية. ولكن بالطبع يجب علينا نحن ألا نعتقد ذلك أيضاً. وإلا فإن الجريمة ستتكر مرة

أخرى، ونحن من سيكون في حالة من الفوضى. على المرأة الفخر بإنجاب البنات، كما يجب أن نكون فخورين بوجود الأبناء. أيمكن لأية امرأة، في أي وقت مضى في العالم، أن تفخر باعتبارها أنجبت عشر بنات دون ابن واحد، كما يفخر الرجل بأن له عشرة أولاد دون بنت واحدة؟".

"كلا!" لهث الفارس مجيئاً "بالطبع لا، بقدر ما أعرف".

"إذاً، كانت الجريمة قد ارتكبت في الظلمة الخالصة للقبائل قبل بدء التاريخ، وأنتم هناك"، قال ألفريد، وهو راض.

"نحن هناك؟" رد الفارس مستنكراً.

"هناك، يوجد تفسير لماذا على النساء أن يعشن دائماً وفقاً للنمط المفروض، لأنهن لسن نساء مطلقاً، ولم يكن كذلك أبداً. إنهن لسن أنفسهن. لا يمكن لشيء أن يكون كذلك، إلا إذا كان يعرف أنه متوفوق على كل شيء آخر. لا يصدق الرجل أن الرب كان امرأة. ولن تصدق امرأة أن الرب كان رجلاً. فذلك يجعل من الرب قليل القيمة ودونياً".

"لكن بعيداً عن الرب، كيف يمكن للنساء أبداً أن يعتقدن أنفسهن متوفقات، مهما كان ما تحولن إليه، عندما لا يمكن لهن أن يكن جنديات؟ بالكاف يمكنهن ذلك، وقد كن كذلك، كما قد تقرأ في كتاب فون هيس، ولكنه عدد قليل منهن فقط اللواتي حظين بهبات خاصة من الطبيعة. يجب أن تكون هناك دائماً قوة من نوع ما، لدعم أي قانون. ولا يمكن للنسوة فرض القوة؟".

"القيم الإنسانية في هذا العالم ذكرورية. ولا توجد أي قيم مؤنثة لأنه لا توجد نساء. لا أحد يجب أن يعلمنا ما ينبغي لنا أن نحب أو ما ينبغي لنا أن نفعل، وكيف ينبغي لنا أن نتصرف إن كانت هناك نساء بدلاً من أنصاف

النساء. وهي حالة لا يمكن تصوّرها".

"حجتك رائعة كلها".

"والحجّة سليمة وراسخة ككتلة جديدة من الأسطوانات. والأفكار التي تشيرها تبدو رائعة. ولا يمكنك إيجاد ثغرة فيها. والآن أنا أفكّر كيف من الممكن تطبيقها بشكل صحيح، وإيقاف الجريمة. هناك شيئاً لم تملّكهما النساء قط وهما لدى الرجال، لهما أثر محفز ومشجع. أحدهما هو المناعة الجنسية والآخر هو الفخر بالجنس، والذي هو الحق المكتسب الأبسط للولد. وبعد، حتى يتمكّن من استعادة هذين الأمرين، اللذين فقدنهن عند ارتكابهن لجريمة قبولهن بفكرة رجالهن عن دونيتهن، فإنّهن لن يتمكّن أبداً من أن ينمّين تلك الشّارة القليلة المتبقية لهنّ من الذّات والحياة. نحن نعلم أنها لا تزال هناك، وإنّما كنّ غير سعيدات الآن".

"بالطبع لا يمكنهن الحصول أبداً على حصانة جنسية كاملة وأكيدة" قال الفارس. "مهما كانت القوانين التي تستند إليها. فالقوانين تحرق دوماً".

"أنا لم أعني القوانين. بل عنيت المناعة الذاتية. الحيوانات البرية والحيوانات الإناث، تملك ذلك. لديها موسم للتزاوج، وفي باقي الأوقات تبقى الذكور بعيداً. لا يريدونهم حينها وليس عليهم مقاومة العناء من جرائمهم. لكنني لا أعني أن المرأة يمكن أن تعود كذلك. بل أعني قوة الذات التي من شأنها أن تأتي من كونهن أنفسهن، من كونهن نساء. ولن يرغب الرجال أبداً في إجبارهن. قد يكون هذا من غير المتّصور أو من المستحيل".

"ليس من شيء كان أو سيكون ولا يمكن تصوّره أو هو مستحيل عند الرجال. فون هييس يقول ذلك".

"لا شيء بعيد عن تصوّر الرجال الذين يولدون من الفوضى. الكثيرون من

الأشياء الشريرة قد لا ترد في تصور أبناء الرجال والنساء".

"وما هو علاجك لذلك، يا عزيزي أَلْفِرِد؟"، سأَلَ الفارس ساخراً.

"العلاج، من الناحية النظرية، هو بسيط كالحجارة. يجب أن يُفرض على النساء أعلى نمط ذكوري ممكِن للعيش، وعندما يتمكَّنْ مرة أخرى من قليل من الفهم، تُفسِّر لهن الجريمة التي ارتكبُنها ذات مرة. وأن الرجال لا يحبونهن حقاً كذلك، وأنهم يكرهونهن داخل أنفسهم لذلك، وأنهن يمكن، بل يجب، أن ينظرن الآن إلى أنفسهن كمتفوقات ويربين بناتهن على ذلك. يمكن للنساء تعلم القراءة، قبل أن يصرن أنفسهن، أعني؟ ليس هناك حد يمكن تصوُّره لما قد يكُنْه أو يفعُّلهُ بعد ذلك".

ضحك الفارس بشكل هستيري قليلاً. "يا أَلْفِرِد، أنت حقاً مفكِّر أكثر من رائع. أنت قد لا تعرف أن المرأة تستطيع القراءة- القراءة والكتابة، وتأليف الكتب والموسيقى والصور وبناء المنازل (كل ذلك مُحِيطاً للرجال، بطبيعة الحال)، وأن يكُنْ محاميات وطبيبات وحاكمات وجنديات، وأن يطُرُن بالطائرات".

"أهْنَ كذلك، بحقِّ الرب!" كان أَلْفِرِد مندهشاً وغيوراً على الفور. "ولم تسمح لنا بأن نعرف! حسناً!".

"كل ما ذكرت، وأنت تقول العلاج الوحيد لجميع الخطايا (بقدر ما استطعت أن أستنتاج) هو أن تُعدَّ المرأة نفسها متفوقة علينا".

"وعلى جميع أشكال الحياة الأخرى أيضاً" قال أَلْفِرِد بصوت هادئ.

"أَكِيدُ أنك وصلت لهذا الاستنتاج عن طريق المنطق. لماذا لم تُعدَّ النساء اللواتي يمكنهن فعل كل هذه الأشياء أنفسهن متفوقات أبداً؟. وكن

يستهدفن المساواة فقط، أشياء بسيطة متواضعة". تنهد أفراد.

"أنت تفكـر بالنساء وليس بالحجـة. بالطبع لم يعتقدـن أنفسهن متفـوقـات في ذلك الوقت. ولم يكنـن أنفسهنـ. كـنـ يعشـن النـمـط الـذـكـوري المـفـروـض تماماً كما تـفـعل نـسـاؤـنا الآـنـ. ولم يكنـن نـسـاء أـكـثـر من نـسـائـناـ، كـنـ فـقـط في وـضـع أـفـضل ليـصـرنـ كـذـلـكـ، لو حـازـ أيـ رـجـلـ الحـسـ السـلـيمـ لـمـعـرـفـةـ ماـ كانـتـ عـلـيـهـ المشـكـلةـ الحـقـيقـيـةـ، وأـخـبـرـهـمـ عـنـهـاـ".

"لم يكونـوا يـعـرـفـونـ أـنـ هـنـاكـ أـيـةـ مشـكـلةـ".

"حسـنـاًـ، أـنـتـ فـعـلتـ ذـلـكـ. قـلـتـ لـيـ إـنـ مـطـوـاعـيـةـ الـمـرـأـةـ هيـ مـأـسـاةـ الـجـنـسـ الـبـشـريـ، وـعـنـدـمـاـ أـقـولـ لـكـ مـاـ السـبـبـ وـرـاءـ ذـلـكـ، لاـ يـمـكـنـكـ أـنـ تـرـاهـ أوـ أـنـ تـقـبـلـ الـحـجـةـ عـلـىـ الإـطـلـاقـ. لـنـ تـنـظـرـ فـيـ الـأـمـرـ بـمـوـضـعـيـةـ، وـتـلـكـ رـبـماـ كـانـتـ دـائـمـاًـ مشـكـلةـ الـأـلـمـانـ. وـلـكـ دـعـنـاـ نـتـرـكـ الـنـسـاءـ الآـنـ. لـاـ يـمـكـنـنـاـ فـعـلـ أـيـ شـيـءـ حـيـالـهـنـ. هـلـ تـعـتـقـدـ أـنـ هـنـاكـ أـيـ كـتـبـ فـيـ الـإـمـبـراـطـورـيـةـ الـيـابـانـيـةـ؟ـ".

"كـلاـ"، قـالـ الـفـارـسـ "لـنـ أـتـرـكـ الـمـوـضـوعـ لـدـقـيقـةـ وـاحـدـةـ. لـنـفـرـضـ أـنـ النـسـاءـ مجـردـ نـوـعـ أـقـلـ شـائـنـاـ مـنـ الرـجـلـ، وـأـنـهـ كـنـ أـنـفـسـهـنـ عـنـدـمـاـ تـقـولـنـ فـيـ النـمـطـ الـأـكـثـرـ ذـكـورـةـ وـأـنـهـ أـمـكـنـهـنـ تـقـلـيدـ الرـجـالـ بـشـكـلـ جـيـدـ إـلـىـ حدـ ماـ، كـمـاـ فـعـلـنـ فـيـ روـسـيـاـ الـاشـتـراكـيـةـ، مـاـ الـذـيـ نـسـتـفـيـدـهـ مـنـ حـجـتكـ بـعـدـ ذـلـكـ؟ـ لـمـ تـكـنـ النـسـاءـ الـرـوـسـيـاتـ بـالـتـأـكـيدـ غـيـرـ مـنـتجـاتـ لـلـفـتـيـاتـ".

"عـنـدـمـاـ تـصـبـحـ النـسـاءـ مـاـ هـنـ عـلـيـهـ حـقاـ، فـإـنـ النـمـطـ لـنـ يـتـغـيـرـ أـبـداـ. إـنـهـ لـنـ يـسـمـحـ لـلـرـجـالـ بـتـغـيـرـ النـمـطـ. وـهـاـ أـنـتـ تـقـولـ بـنـفـسـكـ إـنـ النـسـاءـ لـاـ يـمـانـعـ تـغـيـرـ النـمـطـ، مـهـمـاـ كـانـ ذـلـكـ ضـدـ صـالـحـهـنـ. هـلـ حـدـثـ وـكـانـتـ النـسـاءـ طـبـيـاتـ وـمـحـامـيـاتـ وـكـاتـبـاتـ وـذـوـاتـ شـائـنـاـ فـيـ أـلـمـانـيـاـ؟ـ".

"نعمـ".

"وماذا حدث؟".

"لم يشجعهن هتلر. ولكن، انتبه، لم يكن يريد لهن أن يصرن أميات كلياً وقيحات وكالحيوانات، وأن يفقدن جنسيتهن أو طبقتهن أو حقوقهن في الرفض".

"كلا، لكنه أراد تغيير النمط قليلاً. وماذا قالت النساء عن ذلك؟".

"كن متحمسات بجنون له وكل شيء يفعله".

"ثم هناك إجابتك. لماذا يجب أن تكون المرأة متحمسة بجنون لرجل أبداً؟ إنها جريمة غير طبيعية وهو السماح لشيء مختلف عنك تماماً أن يفرض عليك نمط عيشك. قد يدهشك ذلك الآن، ولكن النازي العادي لا يكرهني على الإطلاق. لدى الكثير من الأصدقاء والزملاء الذين أحبتهم والذين يحبونني، من بين النازيين في إنجلترا. وذلك لأنه، رغم أنني يجب أن أقبل النمط الألماني للعيش والمعتقد ظاهرياً، لأنني أنتمي لأمة أخضعت، فإني داخلياً ألقي بكل ذلك. إنهم يدركون، في داخلهم، أنني حقاً نفسي، مختلف إذا كان هناك أي فرق حقيقي بين الإنجليز والألمان)، وبالتالي لدى شعور بالتفوق. وهم يحبون ذلك. إنهم يحتقرن الإنجليز الألمان ظاهراً، وباطناً. وهم يحتقروني ظاهرياً فقط، وفي أغلب الوقت ينسون كل شيء عن ذلك".

"لن تعجبهم كثيراً إذا أخذت تتوجول قائلاً إنك متفوق".

"كلا. لأن الدين والتقاليد وجميع أنواع الأشياء الظاهرة ستقف في الطريق. وإلى جانب ذلك، يتطلب الأمر أخذ مسار طويل جداً من التفكير المجرد والموضوعي، قبل أن يتمكن أي ألماني من أن يدرك أنه يستطيع أن يشعر بالتفوق من دون جعل أي شخص آخر في العالم يشعر بالنقص. هل

"فهمت ما أعنيه؟".

"أستطيع فهم حجتك عندما تطبقها على نفسك وعلينا. ولكن، في نهاية الأمر، نحن كلنا رجال".

"وبالتالي لا نختلف كثيراً. ربما دون أي حق في الشعور بالتفوق الجوهرى فيما بيننا".

"لكن عندما تعود إلى النساء، لا أتمكن من متابعتك. عمق دونيتهن يكمن في حقيقة أنهن مختلفات جداً".

"لماذا هن كذلك؟".

"لأن تركيتيهن البدنية والعقلية تمنعهن عند فعل أي شيء يستحق الذكر، أن يفعلنه بشكل جيد، وهذا كل شيء، باستثناء دورهن الحيواني في حمل الأطفال".

"وما الجنس الذي وضع معايير ما يستحق الذكر؟".

"حسناً، جنس الذكور" اعترف الفارس. "وكيف يمكنك أن تعرف ما الذي ستفعله النساء عندما يتوقفن عن الخضوع واحتقار أنفسهن والتسبب في مأساة للجنس البشري؟".

هز الفارس رأسه.

"نحن الآن نعود إلى نفس النقطة مرة أخرى. سوف أفكر فيما تقوله، وأحاول فهمه. ولكنني واحد من الرجال، ولا أتوقع أن أكون محايضاً".

"حسناً، بالطبع تم تكييف تفكيرك بتأثير فون هييس. الأمل الوحيد ربما للتفكير المجرد هو قيامك بالتفكير بنفسك. فأي نوع من التقليل يفسدك".

"ولماذا لم تفكّر بالنساء من قبل؟ لقد كن دائمًا أمامك. ولم أصنعهن أنا، أو فون هييس".

"لم أكن أعرف أنهن مهمات. إذا جعلتني أعتقد أن البراغيث هامة فسأود أن أفكّر فيها بجدية وموضوعية وبعيداً قدر الإمكان عن الحكم المسبق على البراغيث. لا ينبغي لي أن أقول، على الفور، حسناً، إنه مجرد برغوث سافل، وضيع، برغوث لا أكثر".

"لكن ماذا لو جعلك شخص ما تأخذ على محمل الجد، أن البرغوث يظن نفسه متفوقاً على كل شيء، وعلى باقي الأحياء...".

"إنه كذلك!" صرخ ألفريد. "والرب يحب له أن يظن نفسه كذلك! نعم، أيًّا كان الرب، لا بد أنه يريد من النساء أن يشعرن بتفوقهن، والبراغيث، والقمل، والرجال. إنه مجرد شرط لحياة صحية. والآن، هل تعتقد أن هناك أي كتب في الإمبراطورية اليابانية؟ الكتب القديمة، أعني. أوه، أيها النبي، دعنا نترك النساء. هناك الكثير مما أريد معرفته". أبعد الفارس ذهنه بجهد واضح تقربياً بعيداً عن قضية المرأة، والتي كانت كما تعامل ألفريد معها بغيضة ولامعقوله ومع ذلك حازت بطريقة أو بأخرى جاذبية شيطانية بالنسبة إليه، وحول تفكيه إلى الإمبراطورية اليابانية، والتي فجأة، مهما بدت ضخمة ومهمماً كان احتمال خطورتها، كانت ودودة بالمقارنة.

"أنا لا أعتقد أن هناك أي سجلات لما قبل الإمبراطورية هناك أيضاً" قال. "نحن لا نعرف، بالطبع، إن آسيا وأمريكا أماكن واسعة جداً، واليابانيون، مهما كانوا مقلدين خانعين، ربما لم يتمكنوا أبداً من أن يكونوا بنفس الشمولية ونفس الدأب في التدمير كما كان شعبنا. لقد ذكر فون هييس جملة تخمينية حول هذه النقطة؛ إذ يقول: إما أننا سنقوم ذات يوم بغزو

اليابانيين وبالتالي يكون العالم كله وسجلاته تحت سيطرتنا، أو أن اليابانيين، الذين ميزتهم العقلية الوحيدة كامة هي القدرة على التقليد الذي يشبه القردة، سيقلدونا ويدمرون السجلات بأنفسهم في كل بلد يفتحونها". كل ما أعرفه هو أن اليابانيين من طبقة الساموري يعتقدون أنهم أصل الحضارة في آسيا وأمريكا وأستراليا، وهذا مدهش إلى حد ما، بالنظر إلى أن ثقافتهم قبل الغرب، ما يمكن أن نسميه الثقافة المحلية الخاصة بهم، قد استعيرت من الصينيين. اليابانيون عاجزون تماماً عن أن يكونوا أصلاً لأي شيء على الإطلاق، أو خلق أي شيء باستثناء الأطفال صفر الوجوه. لحسن الحظ هم الآن فاشلون حتى في ذلك النوع المتدني من الإبداع".

"أنت متحامل عليهم قليلاً، ربما"، لمح أفراد. "هل قابلت العديد من اليابانيين؟".

"كنت في مهمة لخمس سنوات على الحدود الشرقية لبلاد فارس، وبعد أن صارت الهدنة من جميع النوايا والمقاصد سلاماً دائماً مطلقاً (حتى يحدث شيء مخالف في واحدة أو أكثر من الإمبراطوريات) كان هناك اتصال مهذب إن لم يكن ودياً خالصاً بيننا وبين الساموري. تقدمت بطلب القيام بالمهمة عمداً كي أكون على اتصال باليابانيين، ووجدت أنه أمر ممل أكثر من أي شيء ترغب في أن تتصوره. إنهم شعب مضجر كلياً. لا يفكرون في شيء، لا شيء، باستثناء آلات الحرب وشرفهم والإمبراطور".

"وكيف يختلفون هكذا عن معظم الفرسان الألمان؟ أليس ذلك أنك عندما ترى الناس وتنتقد الذين لهم نفس فكرتك عن الحياة، ربما لا ترى مدى سوء الفكرة بل كم هي مضجرة؟".

"لقد عرفت دائماً أنها فكرة سيئة، ولقد كنت دائماً قادراً على انتقاد

الفرسان الآخرين. وأنا أؤكد لك أن اليابانيين على قدر كبير من البلاد وأكثر غباء مما نحن عليه. لدينا بقايا من ثقافة عظيمة تخصنا. موسيقانا، على سبيل المثال، هي لنا، وهي تعبر عن شيء فقدناه بالتأكيد، ولكنها كان ألمانيا عندما كان على قيد الحياة. وليس للبابانيين سوى عدد قليل من الخرق القدرة قطعت كلها من ثياب أمم أخرى. إذا غزا اليابانيون العالم، فإن الثقة لا يمكن أن تبدأ مرة أخرى، وستعد خسارة، وخسارة دائمة، للحرك الإنساني".

"وهل النساء اليابانيات كنسائنا؟".

"لم أر أبداً أيّاً منهم. إلا أن اليابانيين يفكرون بالنساء بالطريقة نفسها كما نفعل، وبطبيعة الحال، ككائنات بدون جنسية. لقد نسخوا فكرة فون فيد والنساء في آسيا وأمريكا - النساء في جميع أنحاء الإمبراطورية - لسن سوى ذلك - قبيحات وتعسات وكالحيوانات. ولو أن أمّة أخرى قد احتلت الشرق - الصينيين، أو الروس السiberians، أو الأمريكيين الشماليين - ل كانت الأمور مختلفة تماماً".

"ولو أن أمّة أخرى غير ألمانيا قد غزت أوروبا، وكانت الأشياء اختفت. أليس كذلك؟ أم أن الغزو نفسه ربما، هو الخطأ؟ من الصعب معرفة من يأتي أولاً. هل الأمم البليدة، الغبية، والتي بلا روح، تصنع أفضل الفاتحين، أو ما إذا كان الغزو يجعل الأمم بليدة غبية عديمة الحس. كيف كان البريطانيون عندما كانت لهم إمبراطورية؟ هل يقول فون هييس أي شيء عن ذلك؟".

"لم تكن إمبراطورية غزو حقاً. بل نشأت من عدم الاستقرار. فقد طاف الإنجليز والアイلنديين والويلزيين البحر، وأخذوا مواقعهم قبل وصول الأوروبيين الآخرين إليها، أو الأمكنة التي لم يرغبها الآخرون، وقاموا السكان

الأصليين العزل عملياً وبقوا هناك. كانت إمبراطورية حكمت بالطريقة الأكثر ليونة التي يمكنك تخيلها. تصرف الجميع تماماً كما يحلو لهم من دون أي رجوع إلى الحكومة البريطانية، الأعراق السوداء فقط منحت قدرًا محدوداً من السلطة. لم تكن إمبراطورية قوية من الناحية العسكرية، وعندما لم يعد بالإمكان الدفاع عنها بواسطة البحرية الكبيرة والفعالة (فون هييس يعترف لكم بموهبة خاصة في القتال البحري) تحطم على الفور إلى أجزاء. حصل اليابانيون على أغلبها، وحصلنا نحن على البقية، الأجزاء الأفريقية."

"وماذا قال عن طبيعة الشعب؟ أكانوا بليدين، أغبياء وعديمي الحس؟ أم كانت الإمبراطورية اللينة أفضل من تلك العسكرية؟".

"لم يقل شيئاً. كما ترى، لقد عرف أن الألمان كانوا في جنونهم يرتكبون جريمة كبرى ضد الإنسانية بتدمير السجلات، لكنه لم ينسب الجنون إلى النزعة العسكرية والغزو، معتبراً تلك الأشياء سيئة في حد ذاتها. بل ألقى باللوم على عيب في الشخصية الألمانية. وهو الميل إلى الجبن الأخلاقي والذعر الروحي المجنون، كما أسماه في أحد المواقف. ملاحظاته القليلة على الشخصية الإنجليزية فيها إشارة إلى هذا الضعف في الألمان، لأنه وجد، فيمن كان يسميه السكان الشماليين للجزر، أي من بين الإنجليز والاسكتلنديين في الأراضي المنخفضة، ميلاً مضاداً. وكان يعتقد أن القليل من أسلافكم كانوا جنوداً أو إداريين، ويقول: لم تكن ثقافتكم العامة شيئاً مقارنة مع الفرنسيين، وأن الموسيقى كانت شبه معدومة عندكم، وبأن ما تدعونه من الأدب العظيم يعود إلى اثنين من الشعراء، وكلاهما متدينٌ كما يعتقد (يقول 'أنا أعتقد') مقارنة بالألمان العظام، والترجمة المذهلة للكتاب المقدس المسيحي. لكنه يقول إنه يحق للإنجليز ادعاء عظمة حقيقة، توجد في صلابتهم الأخلاقية، التشبث الراسخ بما يعتقدون، غالباً في مواجهة

أفليبة كبرى، أنه الصواب، إن فون هيس يجد ذلك مثيراً للإعجاب. ويقول: "إنهم مهرطقين أقوىاء. أفضلهم عصي على الذعر الروحي، وحتى الناس العاديين من بينهم من الصعب دفعهم لمسارات أخلاقية مشكوك فيها بالضغط الروحي عليهم. إذا وصلوا إلى فكرة أن شيئاً ما هو الصحيح، فإنهم سيتمسكون به بأقصى قدر من العناد. هناك طائفة مسيحية تدعى جمعية الأصدقاء حازت نفوذاً يتجاوز كثيراً النسبة إلى عدد أعضائها الصغير من خلال إخلاصهم العنيد لمبادئهم، والتي تضمنت رفض حمل السلاح لأي غرض كان. وعندما كانت إنجلترا في خطر داهم سواء في حرب 1914 وال الحرب الأوروبية الأخيرة، فإن نسبة كبيرة من هؤلاء الرجال ظلوا على موقفهم في رفضهم للقتال، بغض النظر عن الضغط المعنوي أو المادي والذي مورس عليهم، والأكثر إثارة للاعتبار من ذلك هو أنه في حرب 1914 كان في البلاد كل قدر كبير من التعاطف، ليس مع سلميتهم، بل مع موقفهم الأخلاقي الثابت. وكان للصديق الحقيقي (وليس الجبان الذي يختبئ تحت غطاء الطائفة) الحق في عدم القتال لأنه يعتقد أن القتال عمل خاطئ. ويجب أن يفعل الإنسان ما يراه صحيحاً (ويميل الإنجليز لإضافة) أنا الوحيد الذي يقرر ما هو. يواصل فون هيس "لا يمكنك تخيل قوة مماثلة من الشعور الأخلاقي بين أعداد كبيرة من الألمان، أو أن يتمكن أي منهم من احترام المبادئ السلمية في زمن الحرب". ولكن هذا التسامح الرحب مع الصدق في الأفكار التي يجده المرء كريهاً يظهر مخزوناً من الطاقة الروحية لا يسعني إلا الغيرة منها على شعبنا. في هؤلاء المهرطقين الإنجليز والاسكتلنديين من جميع الأعمار وفي الرجال العاديين الذين لا يمكن أن تمنع عن التعاطف معهم، تكمن عظمة إنجلترا الحقيقية. إذا أمكنهم أن يقاوموا، ليس التدمير المادي لسجلاتهم، فذلك مستحيل، بل (جرمنة) شخصيتهم، وبطريقة أو بأخرى،

الصمود في وجه كل الخداع الذي سوف يعانونه، وظلوا كما هم، فستكون هناك قوة روحية في أوروبا بعد انتصار هذا الزمان الشرير المظلم". وهكذا، يا أفالد. هل ورثت صفات هؤلاء الزنادقة؟ هل قاومت جرمنة شخصيتك؟ أعتقد أن الكثير من الإنجليز، فعلوا بأكبر قدر من النجاح. هذا أحد الأسباب التي تجعل الفرسان يحاولون دائمًا أن يُرسلوا إلى هناك".

"أنا لا أعتقد أني فعلت" قال أفالد متردداً "لا يجب أن يكون صعباً جداً إلا تقاتل عندما يقاتل الإنجليز الآخرون. أنا لا أؤمن حقاً في القتال أبداً، ولكن على المضي معهم. إنها فكرة جديدة بالنسبة إلي أن يمتنع الرجل عن القتال مع أفراد شعبه".

"يجب أن تتذكر أنه كان مبدأ دينياً عندهم. ليس موجوداً عندك. كانت ديانة طفولتك هي ديانتنا، والآن بالطبع لم يبق شيء منها".

"حسناً، إنه أمر مهم. أنا ضد إراقة الدماء والعنف والقسوة لأنها ديانتكم، ولكنني لا أعرف إن كنت أستطيع أن أدع أي رجل ينتهز الفرصة لينعتني بالجبان. لقد كان فون هيس إنجليزياً أفضل مني".

"لقد أدرك أنه يجب أن ينعت بالجبان في سبيل الحقيقة". "حسناً، يمكنني، فعل ذلك، بالطبع" قال أفالد بعد وقفه. "نعم، إذا كانت المسألة حماية الكتاب، كنت سأسمح لأعز أصدقائي أن يظنني جباناً. لماذا لم يحتفظ بوحد آخر أو اثنين من الكتب، الكتاب المقدس المسيحي، على سبيل المثال، ويتركهم مع أرنولد بالطريقة نفسها؟".

"لم يقل لماذا. ولكن أظن أنه كان خطيراً جداً قيام أي شخص في ألمانيا، في الحالة التي كانت عليها، بشراء أي شيء ما عدا الكتب التقنية. أتوقع أنه لم يجرؤ على المخاطرة، لا بواسطة أرنولد، أو وكيل أو أي شخص آخر.

ومكتبه أغلقت بالفعل. بالإضافة إلى أن ذلك النوع من الكتب، الذي يكتب على ورق رخيص، ما كان لي-dom طويلاً. هو يقول إنه صنع كتابه ليتحمل آلاف السنين. وقبل أن تذهب سأريك كيفية لمس الأحرف بفرشاة الطلاء إذا ظهرت عليها أدنى علامة على التلاشي".

"كان بإمكانه إرسال يوهان ليدر لشراء الكتاب المقدس من مكان هادئ بسيط في إنجلترا، ومن ثم أكون قادراً على قراءة ادعائنا بالعظمة الأدبية".

"أعرف أنه كان سيحصل على كتب أخرى لو كان ذلك ممكناً. ولكنهم لو كشفوا أمره، لما كنا حصلنا حتى على هذا الكتاب".

"وكيف كانت كل الأشياء التي دُمرت؟ أكان هناك عدد كبير من الكتب؟".

"الملايين منها. والسجلات المدونة على الحجر والمكتوبة بالطلاء أو بالفنون المعمارية".

"وكيف تم فعل ذلك؟ لا بد أنه استغرقهم عشرين عاماً".

"على الأرجح خمسين أو مائة عام، ولا بد أنه بتكلفة حرب صغيرة. أنا لا أعرف كيف تم القيام بذلك".

"الم يقل كيف؟".

"لم ينجز الأمر حينها. قارب فقط على الانتهاء. وهو لم يُضع أي ورق في الحديث عن ذلك".

"لكن لا بد أن شخصاً ما يعرف. لا بد أن هناك سجلات مع الفوهرر، أو الدائرة المقربة".

"الفرد، أنت تصبح غبياً. إذا قتلت فارساً فلن تدفنه في الحقل المبارك وتوضع على قبره شاهدة تشرح كيف قتلته. عليك أن تُخفي الجثة وتأمل أن

الناس سيعتقدون أنه ضاع أو سقط في صدع أو أغرق نفسه. هؤلاء الألمان أرادوا للأجيال القادمة، للفرسان، للفوهرر ولكل أحد، أن يكون جاهلاً، جاهلاً تماماً بوجود حضارات أخرى".

"أدرك ذلك. ولكن لا بد من وجود أساطير. لدينا خرافات حول كل شيء".

"لا توجد أساطير حول هذا الموضوع في ألمانيا. لا شيء سمعت به فيما مضى، لقد كنت أجمع الأساطير منذ قرأت الكتاب في الواحدة والعشرين. كان الألمان خجلين من الأمر حقاً. وقد نسوه عمداً بأسرع ما يمكن".

"أعتقد أنها في إنجلترا اختلطت بفقداننا للحرية" قال ألفريد. "أنا لا أعرف أي شيء تحديداً عن الكتب التي أحرقت، بالتأكيد. نحن الويلشيريون (حاصلو القمر) نقول إنه كان هناك ذات مرة مبنى كبير في سالزبوري له برج مدبب حيث تقف كنيسة ثكنات الصليب المعموق المقدسة. لكن الألمان يخبروننا أننا لم نعرف كيف نبني بالملاط قبل أن يعلمنا، وأننا قد أنشأنا فقط المعالم البدائية مثل ستونهنج".

"ذلك الشيء وبرجه ربما كان كنيسة مسيحية كبيرة. كان هناك الآلاف منها، بعضها جميل جداً، كما يقول فون هييس".

"لماذا لم يحتفظوا بها ككنائس لهتلر، إذا؟".

"لأنها بنيت على شكل الصليب، وكانت معبداً بسجلات حجرية للحضارة السابقة. لكن ستونهنج أقدم بكثير من كنيسة سالزبوري خاستك".

"هل ذكر فون هييس ستونهنج؟" سأل ألفريد مثاراً ومتفاجئاً.

"لقد فعل، لأنه كان مشهوراً في أوروبا. لا شيء يشبهه في ألمانيا".

"كم يبلغ عمره؟".

"هو يقول إنه غير متأكد تماماً، ولكنه كان قبل المسيحية، قبل الرومان. وربما كان يعود للعراقيين السلتين القدماء.".

"ولماذا لم يفجره الألمان؟".

"لأنه لا يوجد شيء متحضر فيه، وهو ينفع لتذكيرك بظلمة زمن قبائك".

"حسناً، إنه مكان غريب"، اعترف ألفريد. "كثيراً ما كنت أذهب إلى هناك للتفكير في الأشياء. كل تلك الحجارة العظيمة الموضوعة هناك، والاثنان اللذان لا يزالان في وضع مستقيم مع الذي فوقهما. أنا سعيد أنهم تركوا ستونهنج؟".

"إنه ليس لكم"، قال الفارس. "كان أسلافكم يجوبون جوتلاند أو مكاناً مشابهاً آخر عندما كان الرجال يتبعدون في ستونهنج".

"إنه لنا الآن. لقد جعلتموه لنا. لقد كرر شعبك بإلحاح دائم لي أن هذا هو نصبنا البدائي المتوحش، وأنت لا تستطيع أخذه بعيداً عنِي الآن. أنا سعيد بأنه لا يوجد شيء مماثل في ألمانيا. كيف حصل فون هيس على صورة تلك الفتاة؟".

ابتسم الفارس وقال:

"إنه رد فعل فضولي أن يرى أي أحد الصورة وينظر أكثر في الفتاة (حالما يعرف أنها فتاة) من نظره إلى هتلر، رغم أنه عندما ينظر إليها كان يفترض أن هتلر هو الرب".

"أنا لم أفترض أنه كذلك. وبالتأكيد أنت أيضاً".

"بالطبع فعلت، في الواحدة والعشرين. لا يمكنك تعلم الأطفال هرطقات سرية خطيرة، لأنه لا يمكن الوثوق بعدم تحدثهم عنها. تمت تربية

أولاد فون هيس مثل أبناء كل الفرسان الآخرين، وفي الواحدة والعشرين، أو عندما يعتقد الأب أن الشاب قد اكتسب بعض الاستقرار في شخصيته، يتلقى مثل هذه الصدمة الشديدة".

"بالطبع كان الأب كافراً دائماً؟".

"نعم فعلاً. وجود فجوة بين الأب وابنه يمثل صعوبة، ولكن الابن يفهم في نهاية المطاف، وبعدها يصبحان صديقين. هناك أوقات سعيدة أقل في حياتي من تلك السنوات التي قضيتها في تكوين صداقات مع والدي لأول مرة، ولاحقاً مع أبنائي".

"من فضلك" قال أفراد غير مرتاح قليلاً والفارس لا يواصل حديثه "كيف حصل على الصورة يا سيدي؟".

"أوه، كانت معه دائماً. وكانت من أغلى ممتلكات أسرته، واحدة من عدد قليل من الصور غير الرسمية لهتلر التي بقيت. أحاطت بعنابة كبيرة، وعندما غادر فون هيس ألمانيا أخذها معه. كان يعلم أن كل الصور وصور هتلر سوف تُجمع وجميع تماثيله ستدمّر، إذا كان سيصير الرب. وحتى وهو مثالي إلى حد كبير، كما كان في التماثيل، كان لا يزال غير مثير للإعجاب بما فيه الكفاية وليس ألمانياً كفاية ليكون الرب. إن الراعد قد قذفه أكبر حجماً وأكثر شقرة، وبنوع أبل من اللياقة البدنية. عندما يكتب فون هيس عن تمثال هتلر فهو لا يشك على الإطلاق في أنها صورة حقيقة له، ويصفه بالضبط، بحيث لا يكون هناك شك في أنه يعني تلك الصورة. موضع الشخصيات، ملابسهم، الوضع الغريب بعض الشيء ليدи هتلر، ووصف مفصل لجميع الوجوه. ويقول إن الفتاة كانت عضوة في Hitler Mädchen، وربما كانت زعيمة فيما بينهن، وأن الرجلين اللذين في الخلف

هما اثنان من الحراس الشخصيين لهتلر. وبطبيعة الحال وصلت لأنولد عندما حصل على الكتاب، وبقيا معاً منذ ذلك الحين. والآن هو لك".

"آه" قال ألمير "هذا شيء عظيم".

"هل أتمنى لو أنك رجل أكبر سنًا؟، كلا، أنا لا أتمنى ذلك. وتلك الفتاة ليست مهمة إلا لتبيّنكم هو هش أساس ديننا. كم هناك من الأكاذيب التي يمكن أن تكشفها صورة واحدة فقط".

"كما تظهر كيف غير فون فيد نمط النساء. لم يظن فون هييس ذلك مهمًا؟".

"نعم، لقد فعل. وجد أفكار فون فيد مقرفة جداً وغير رجولية، حتى إنه كتب نصاً طويلاً (اعتذر لطوله) عن تاريخ النساء. أوه، وأفترض أنها ذات شأن. ولكنك ستحزن نفسك بالنظر في وجهها".

"أنا أفضل أن أكون غير سعيد. هل كل الملحنين الذين تقول إنهم ألمان هم ألمان حقاً؟".

"بيتهوفن، باخ، برامز، موزارت، فاغنر، شومان، مايربير، غلوك، مندلسون، شوبرت، هاندل، هайдن، بروكнер، شتراوس-أوه، العشرات؟ أنا لا يمكن أن أعطيك مرتجلاً اللائحة بأكملها التي أعطاها فون هييس. جميعهم ألمان أو نمساويون. عندما كتب النمساويين موسيقاً لهم لم يسموا أنفسهم ألماناً، ولكنهم بالطبع كانوا كذلك دائماً. وهناك بعض الأشياء الكبيرة التي نعزفها ولا أستطيع أن أصدق أنها ألمانية، وأعتقد أنها من الموسيقى الروسية. فون هييس يذكر ملحنًا روسيًا عظيماً يدعى تشاييكوف斯基، والعديد من الأقل مستوى منه. ثم بلا شك هناك قدر كبير من الموسيقى الفرنسية والإيطالية والإسبانية نسبت إلى الملحنين الألمان الأصغر. كثيراً ما تسمع أشياء لا

تماشى على الإطلاق مع أعمال أخرى لرجل معين من المفترض أن تكون قيد دراسته".

"ولا موسيقى إنجليزية؟".

"قد تكون هناك" قال الفارس بنوع من الشك. "لكنني أشك في أن الكثير منها كان جيداً بما فيه الكفاية لي-dom. هناك شيء أكثر إثارة للاهتمام في الموسيقى، يا أليكس،" قال وعيناه تشرقان بالحماس للموضوع: "تلك الأعمال الهائلة التي نعزفها لفاغنر ليس من المفترض أن تُعزف فقط؛ إنها أوبرا. من المفترض أن تمثل وتُغنّى بالإضافة إلى العزف".

"هل تعني مثل معجزة هتلر مع الأبطال؟".

"نعم".

"إذًا، لماذا لم يفعلوا ذلك؟".

"لأن الأوبرا تزخر بنساء جميلات وبطوليات وجذابات جنسياً. يقول فون هييس إنه يعرف أن الأوبرا ستختفي مثلنا نحن".

"أعتقد أن هذا سخيف نوعاً ما. كان بإمكانهم وضع أولاد بطوليين جميلين في مكان النساء وترك الرجال يحبون الأولاد. الرجال يحبون الأولاد، كل الرجال تقريباً، بين وقت وآخر، وبطريقة أو بأخرى".

"الشيء المؤسف الوحيد هو أن الأولاد لا يمكنهم غناء الموسيقى".

"آه، هذه صفة بالأحرى. هل أمكن للمرأة أن تغني حقاً في تلك الأيام؟".

"إذا حكمنا من خلال موسيقى فاغنر، التي يمكنك فيها تتبع كل الأغاني حالما تلقط الفكرة، كان لأصوات النساء مدى وقوه هائلين. أنا لا أستطيع أن أتخيل ما كانت عليه، مهما بذلت من جهد. لا يوجد صبي قد يغني أكثر

من أجزاء صغيرة من الأغاني، حتى في الأجزاء السوبرانو. أنا لا أهتم تحديداً بموسيقى فاغنر، ولكنني كثيراً ما تمنيت أن أعود بالزمن وأسمع واحدة من تلك الأوبراات وهم يؤدونها. لا بد أنها رائعة".

"لماذا لا يقوم شخص ما بكتابة أوبرا للرجال والأولاد، بدون أغاني السوبرانو الصعبة؟" تنهد الفارس، وأظلمت عيناه.

"لا يمكن لأحد كتابة أي شيء الآن، ولا حتى مارشاً جديداً. لم يكتب أحد أي شيء لمئات السنين، سوى محاولات عابثة فاضحة وانتحالات. لا يمكنك قطع كل جذور الثقافة من أسفل، وتتوقعها أن تزهر في الأعلى. الكثير منا، ومعظمنا، يحب الموسيقى. الكثير منا عازفون ممتازون وعدد لا يأس به منا يستطيع الغناء في تناغم وبكل إحساس. ولكن لا يمكننا عمل الموسيقى. ليس لدينا شيء نصنعها منه. لا أحد يعرف أو عرف فيما مضى، كما يقول فون هييس، تماماً ما سوف يؤدي إلى ثقافة قوية، أو كيف تعمل الروح الخلاقة لدى الرجال. لكنه يقول إن كل ثقافة تنبثق من أخرى على ما يبدو، واحدة تتحلل، وأخرى تبزغ على قبرها، مع شيء من القديمة فيها، مثل السماد كما ترى، نباتات البنجر البائسة تلك التي لا تريد أن تنمو، كانت ستنتهي أقل من ذلك لو لم يوضع لها شيء في الأرض أولاً. ليس لدينا شيء الآن في الأرض. نحن لم نسمح للحضارات القديمة أن تموت، بل قتلناها. الآن ليس لدينا شيء، باستثناء الذكريات عن موسيقانا، التي لنا. ولكننا قتلنا حتى الجزء الذي يخصنا، أدبنا - كل شيء ذهب. ليس لدينا شيء ما عدا كتاب هتلر المقدس والأساطير، وما ندعوه تاريخ ألمانيا. نحن في حالة ركود. نحن لسنا برابرة بالضبط، فلدينا المهارة التقنية والمعرفة، ولسنا خائفين من الطبيعة، ونحن لا نتضرر جوعاً. ولكن في الحياة العقلية والعاطفية الغنية التي يعيشها الرجال عندما يمضون إلى مكان ما، هادفين

إلى شيء أبعد منهم، مهما كان غبياً، نحن لا نشارك أبداً. لا يمكننا إبداع أي شيء، أن نخترع أي شيء، ليس لدينا أي توظيف للإبداع، ونحن لسنا بحاجة للاختراع. نحن ألمان. نحن مباركون. نحن كاملون، ونحن أموات".

"من غير الطبيعي أن تتوقف الحياة نهائياً، هكذا" قال الفرد.

"ليس أكثر غرابة من أن ينجز أنفي عندما أضربه بشدة بقضيب حديدي. شيء يتبع آخر. إنه الشيء نفسه مع جميع الفنون الأخرى. هناك رجال يمكنهم الرسم، ورجال يمكنهم التلوين، ورجال يمكنهم نحت الخشب والجسر. وكل ما يمكنهم القيام به هو النسخ. لديهم تقنية، وهم يعرفون المنظور وهكذا دواليك، ولكن لا يمكنهم إبداع شيء. فتماثيل وصور هتلر والأبطال، كلها متشابهة تماماً، كلها ضعيفة ومملة. لو رسموا صورة قطة، فحسناً تلك قطة. ولو كان الرسام ذكيًّا فستكون مثل صورة قطة، أما إذا لم يكن، فالأمر سيشبه صورة سيئة لقطة. لا شيء من ذلك هو الفن، لا شيء من ذلك يستحق القيام به. أنا لا أعرف ما تكون عليه الصورة الحقيقية، لكنني أعرف أنها يجب أن تكون مختلفة جدًا. لا، ليس هناك ثقافة متحضرة في العالم الآن، سوى بقايا من تلك القديمة. موسiquana، الألحان التقليدية للأعراق الخاضعة، وجميع الأساطير. أساطير حقيقة، وليس تلك التي عن هتلر".

"ألحان مثل هذا" أخذ الفرد يصقر لحن هايلاند ولحن سكاي.

"هذا لحن مرثاة سلتبية"، قال الفارس "فيها الحزن السلتي الصادق. الألحان الاسكندنافية متشابهة إلى حد ما. وأعتقد أنها أتت من الشتاءات المظلمة الطويلة، وانعدام أشعة الشمس. من الأفضل لو كان الصفير في تناغم، وفي النغمة الصحيحة. إنه لحن جميل".

"قد أصفر خارج اللحن، ولكن هذه هي النغمة. لماذا، لأنني أسمع أنغوس معها الآن".

"إنها النغمة غير الصحيحة"،

قال الفارس وذهب إلى زاوية الغرفة وأخرج كماناً من حقيقته. ثم ضبطه وعزف سحبات وأصواتاً تتابعية على الأوتار بقوة وجمال، جعلت ألفرِيد يجلس مشدوهاً من الإعجاب. ثم عزف لحن سكاي كما صقره ألفرِيد.

"هل سمعت؟".

"نعم، هذا صحيح. ويبدأ من تلك النوطة".

"إذًا، استمع إلى هذه".

وعزف الفارس بنغمة مختلفة، منحنياً على الكمان.

"هذه هي النغمة. هل أنت أصم تماماً، أيها الكلب الإنجليزي غير العارف بالموسيقى، بحيث لا تسمع الفرق؟ وهل تفتقر إلى البداهة بحيث تظن أن أي موسيقى من أبسطها إلى أعظمها من أي وقت لا يمكن أن تعزف إلا بنغمتها الخاصة، النغمة التي تناسب شكل وفكرة المقطوعة؟ هل تُبدل سمfonيات بيتهوفن، ثم تعتقد أنها ستكون نفس الشيء؟ نعم، ربما أنت كذلك".

"كانت النغمة الأولى هي التي دائماً ما يعزفها أنغوس" قال ألفرِيد بعناد.  
"وبماذا كان يعزفها؟".

"بالصافرة".

"طبعاً. ونغمة الصافرة هي ربي خافقة . يمكنك عمل تصادفات بتلك

الصافرات الخشبية بدائية الصنع من خلال عدم سد الثقوب كلياً، ولكن نظراً لمداها القصير لا يمكن أن تعزف براحة أي شيء ما عدا نغمة الصافرة نفسها. ولو كان أنغوس قد غناها أو كان قادراً على عزفها على الكمان لوضعها بطبيعة الحال في النغمة الصحيحة. خذ الآن لحناً سلتيأً آخر، هو إما أيرلندي أو اسكتلندي في الأصل. سمعته لأول مرة من أحد اليابانيين".

وعزف الفارس لحناً بسيطاً، عذباً وحزيناً جداً على آلة الكمان. عزفه أولاً بنوتات مفردة ثم عزفاً بالوترون عميقاً وغنياً. صار ألفريد منتشياً.

"ياه، لقد أعجبك اللحن، أليس كذلك؟" سأله الفارس ساخراً. "ياه، يا لك من إنجليزي، يا ألفريد! لا يجب لأحد أن يعزف بالوترون الألحان السلتية. فهي لا يناسبها ذلك، وهي عذبة جداً لوحدها. التناغم يثقلها، و يجعلها فجة. إنها بالضبط ما قد تحبه. هل أعزف مرة أخرى؟".

"نعم، من فضلك"، قال ألفريد بلا حرج. "إنه جميل".

عزف الفارس مرة أخرى بإحساس غامر، وثوبه يهتز برشاقة إلى الخلف من كتف ذراعه المقوسة، أنفه الضخم ينحني على الكمان، وعيناه تجولان في جمهوره الممتدح. بعدها عزف لحناً مطولاً لباخ ، وهي قطعة رقيقة جداً من الموسيقى.

"فقط لأخرج الطعم من أذني"، أوضح الفارس، عندما انتهى من العزف.  
"إن عزفك جميل، يا سيدي" قال ألفريد. "يمكن حتى لكلب إنجليزي أن يسمع ذلك".

"اعتدت على العزف قليلاً"، قال الفارس متنهداً، ووضع الكمان مرة أخرى في حقيبته. "ليس جيداً، تماماً. أصابعي تصبح قاسية. إذا أردت حقاً أن

أعزف شيئاً فعلي التمرن ثلاثة ساعات يومياً لمدة ثلاثة أشهر، وفي نهاية ذلك الوقت قد تكون مرنة بما فيه الكفاية".

"هل قلت إنك سمعت تلك النغمة الجميلة من أحد اليابانيين؟".

"نعم. ولكنه لم ينجح فيها. ليس في اليابانيين موسيقى حقيقة أكثر مما في قط عازب، والغناء عندهم يشبه إلى حد كبير مواء القطة. إنه لحن شعبي أمريكي، وهو لحن قديم. أعرف اسمه، ولكن لا أعرف الكلمات. إنه يدعى "شيناندواه"، وشيناندواه هو نهر في أمريكا الشمالية. كان ذلك الساموراي واحداً من عدد قليل جداً ممن كانت فيهم شرارة صغيرة من الذكاء والذوق".

"لكن إذا كان لحناً أميركياً لماذا ينبغي أن يكون لحناً سلتي؟".

"لأنه كان هناك تأثير سلتي قوي في أمريكا. لا يهمني ما تقوله، يا ألفريد، إن لم يكن ذلك الرجل الذي صنع هذا اللحن اسكتلندياً أو إيرلندياً، أو تحت تأثير سلتي منوم، فإني قد -قد أكسر كماني. إنه لحن سلتي. غنّ لي الآن أو صفر لحناً إنجليزياً. وسأخرج الكمان مرة أخرى لعزفه. يمكنني سماعه عندما تصفر، ولكنه ليس نفسه تماماً".

"لم يسبق لألماني إلا أنت أن سمع هذه النغمة" قال ألفريد "إنه لحن سري". صفر ألفريد اللحن، وعزفه الفارس جيداً، ثم ابتسم.

"وما هي الكلمات التي تخونها معه؟ الكلمات المتمردة السرية؟".

"نعم. نحن نغنى:

"أرسل الرب لنا الملك المحارب"

أرسل الرب ملکنا الباسل،

أرسل الرب ملکنا.

أرسله منتصراً

متعب بالحرب ولكنه مجيد

طويلاً سيحكم بيننا،

أرسله الرب حالاً.

"أسلحتك المختارة في المستودع

كن مسروراً بتوزيعها علينا

على الفلاحين والملائكة

شتت العدو!

الموت لجميع الألمان!

سوف تكون إنجلترا حرة

في عهد الملك العظيم".

"ماذا؟" صاح الفارس. "هل يعني أنكم أيها الإنجليز الهاشميون الطيبون  
تعنون هذه الأغنية؟".

"كلا. إنها أغنية همجية. ولكن كلنا يعرفها، وببعضنا يغනيها، في بعض  
الأحيان. هناك قائد عظيم سيظهر ويجندنا، كما ترى. هناك مخازن الأسلحة  
التي أخذت من الألمان والتي خلفتها الحرب إذا عرفنا أين يمكن العثور  
عليها. أجزاء من الطائرات والدبابات والأشياء".

"هل ستكون هناك أي فائدة في استخدامها، بعد ستمائة سنة وأكثر،

"أليس كذلك؟".

"أوه، أنا أعرف. الأمر كله هراء حقاً".

"ماذا تعني بال فلاحين والملاّك؟".

"لا أحد يعرف. إنهم الرجال الذين سيجندون، على أية حال".

"من السوق، بالطبع"، قال الفارس. "يجب أن تكون تلك كلمات أنجلو سكسونية قديمة جداً تعني الزميل العادي، القروي، والضابط. مثل النازيين والفرسان".

"والملك يعني الزعيم. الفوهير. لدينا كلمتان للزعيم، وأنتم واحدة فقط".

"على العكس من ذلك، الملك هي الكلمة ألمانية. وترد في كتاب فون هييس. Koenig . لم يعد الملك في تاريخ لاحق تماماً كالفوهرر. بل أصبح منصباً وراثياً. الفوهير يختار اختياراً. بينما الملوك يولدون ملوكاً. عندما لم يعد هناك ملوك في الأسر الحاكمة في ألمانيا، وكان التاريخ قد اختلف، اختفت الكلمة أيضاً. ولكنها ما زالت لديكم لأنكم لا تزالون ملحدين أساساً وغير مخلصين. أنا سعيد. إنكم أبداً لن تدحروا ألمانيا وتحرروا أنفسكم بقوة السلاح. يجب ألا تسمحوا لأنفسكم أن تكونوا أغبياء وعنيفين بسبب أغنية سرية تخصكم".

"نحن لسنا كذلك حقاً. اللحن يساعدنا على البقاء معًا فقط، بغضنا يرغب في ذلك".

"ولكنه حينها لا يعود لحناً إنجليزياً!" قال الفارس.

"إنه لحن إنجليزي!" قال أفراد بغض. "إنه إنجليزي مقدس قديم"

جداً. أراهنك أنه كان يُغني في جميع أنحاء الإمبراطورية القديمة بكلمات مختلفة".

"ربما كان كذلك، ولكن مع كل ذلك فهو ليس لحناً إنجليزياً. بل هو لحن ألماني. لقد سمعته في مقاطعة سكسونيا. إلى جانب ذلك، كنت سأعرف أنه كان ألمانياً حتى لو لم أكن قد سمعته في مقاطعة سكسونيا. إنه لحن نموذجي جيد، بالأحرى ألماني مضجر".

"أنتم تريدون كل شيء، وحتى ألحاناً الآن! لم تتركوا لنا شيئاً، لا شيء على الإطلاق! وأستغرب كيف سمحتم لنا بتناول الطعام أو ارتداء أي ملابس!".

"الفرد، لا تخضب كثيراً. وسأعزف لك المزيد على الوترين. ومهما قلت، وحتى لو قتلتني، فلن تحصل على اعترافي بأن هذه النغمة هي أي شيء غير أن تكون ألمانية. صفر لي لحناً إنجليزياً آخر".

صفر الفرد لحناً آخر، حزيناً ولكنه عذب. عزفه الفارس، أولاً في نوته واحدة وبعد ذلك بتنااغم جلب الدموع لعيوني الفرد وجعله ينسى الإهانة التي قدمها الفارس للحن الإنجليزي السري المقدس. "العزف على الوترين معاً مناسب تماماً لهذا اللحن"، قال. "وأكثر تطوراً من لحن هايلاندر، وليس عذباً بحثاً -نعم، يسمح بأن يعزف بالوترين، ويسيير الأمر على ما يرام.

" ! Ganz gut

وعزف مرة أخرى. وشكره الفرد، حانياً رأسه إلى أسفل بحيث لا يستطيع الفارس أن يرى دموعه. كان يخجل من نفسه لتأثيره الشديد، ولكن كان هناك شيء في الألماني العجوز وهو يعزف أو في اللحن نفسه---

"أسمح لك أن تأخذ هذا اللحن" قال الفارس، وهو يضع الكمان مرة

أخرى في حقيقته. "إنه ليس سلتيّاً، وليس ألمانياً، وبالتأكيد ليس روسيّاً، كما أنه ليس مثل الألحان الشعبية الفرنسية أو الإسبانية على الإطلاق. إنه ذو جودة ذاتية. ما هي الكلمات؟".

"إنها أغنية حب من رجل لصبي جميل، وتبداً هكذا "نخب شرابي عينيك فقط".

غنى الفارس بهدوء هذه الكلمات بصوت فقد كل عذوبته وصار خالصاً واضحاً.

"آه نعم"، قال. "بالطبع إنها أغنية حب. ولكنها لم تكتب لصبي. حصل وتغيرت الكلمات مثل أغنية متمرديك. إنها أغنية قديمة كتبت في وقت كانت فيه النساء جميلات، وكان على الرجال اجتذابهن، وكيف يتوددوا إليهن، فربما رفضنهم. آه نعم. والآن إذا فكرت في تلك الفتاة الألمانية التي في الصورة يمكنك التوصل إلى فهم بسيط للحن - ليس موسيقياً، فذلك سهل جداً، بل عاطفياً. لم تكتب ألحان بهذه منذ توقف الرجال عن حب النساء. لا توجد ألحان على الإطلاق من أي نوع وتكون بربع جودة تلك الأغنية الإنجليزية القصيرة. ولكن، يا أفراد، يجب أن تذهب. لقد أهدروا كل وقتنا في أمور تافهة، ولم أوضح لك شيئاً. يجب أن أذهب إلى ميونيخ الليلة".

"بالطائرة؟ الجديدة؟".

"أنا ذاهب بسيارتي. صرت أكثر حذراً الآن، ولا أتعرض لأي مخاطر مهما كانت. هل لديك أي طعام للعشاء؟".

"كلا يا سيدي".

"أذهب إلى المطبخ إذاً، وأعرف ما يتناوله الخدم الشخصيين للفرسان.

إنهم يعيشون بمستوى مرتفع جداً بالنسبة إلى إمبراطورية إسبارطية رسمياً، ولكن الفرسان ليسوا إسبارطيين متقدسين إلا طوعاً، والطعام موجود دائماً، ويتناوله الخدم".

"ما هو الإسبارطي؟".

"منتَمْ إلى حضارة أخرى نصف محاربة ونصف متحضرة مثلنا. الآن، اصمت يا أفرِيد، وقف بانتباه. سأستدعي هاينريش ليأخذك إلى المطبخ. تعال في الغد باكراً، لنقل في الرابعة. أحضر هيرمن معك. لا بد لي من معرفة ماذا يريد أن يفعل. وسأفكر في مزيد من الألحان. ولكن لا، لدينا القليل من الوقت لذلك. علي أن أوضح لك فقط، ها هو هاينريش!".

## الفصل السابع

"قل لي هيرمن" قال فون هيس، عندما اجتمع ذلك الثلاثي الغريب معاً مرة أخرى في اليوم التالي "هل أنت مستعد حقاً، أنت رجل بريء، أو لنقل بريء نسبياً (فقد قتلت ذلك الفتى)، لأن تُقدم على المنفي الدائم لكي تذهب إلى إنجلترا مع أفراد؟".

تلوي وجه هيرمن وكأنه يعاني ألماً شديداً، ليس بسبب أي شعور ضعيف بالشفقة على ضحيته الشابة.

"أنا على استعداد يا سيدتي" قال بصوت خفيض.

"وأنت متأكد من قدرتك على تحمل التحقيق، والاعتراف، وحكم محكمة الفرسان، والتحقيق العلني، والرحلة عبر ألمانيا؟".

"يمكنني تحمل كل ذلك، يا سيدتي. من فضلك، أيها النبيل، أنا لست جباناً".

"أنت لا تعرف ما سيكون عليه الحال. هل رأيت من قبل نازياً يُحقر ويُرسل إلى المنفي الدائم؟".

"كلا يا سيدتي".

"حسناً، أنا رأيت ذلك مرة واحدة. إنه فظيع. ورغم أنني لا أؤمن بالدم، فقد وجده رهيباً. لن يمكنني فعل أي شيء لك، أو أن أمنحك أي دعم، أو أن أتحدث إليك بعد صدور الحكم. فلا يجوز لي أبداً التحدث إليك أو رؤيتك بعد ذلك". تقلص وجه هيرمن مرة أخرى.

"يا سيدى، سيكون من دواعي حزنى العميق ألا أراك مرة أخرى. أنا -  
أعتقد أنني لن أفعل ذلك".

"إذاً. ستكون رجلاً جيداً وتؤدي عملك وتتصرف بصورة جيدة؟".

"كلا يا سيدى. إذا لم أذهب فسوف أقتل نفسي". قال هيرمن.

"ولكنك بعدها لن تراني أبداً، الأمر إشكالي للغاية".

"أعتقد أن من الأفضل أن أذهب يا سيدى" قال هيرمن.

"يجب أن تكون على يقين. فحالما أبدأ الأمر لا يمكن أن أتوقف. وسيمر عليك مثل الدبابة. هل تظن أنك تستطيع العيش في إنجلترا من دون أن تقتل نفسك؟ لأنه إذا كنت تتوи ذلك على أية حال، فالأفضل أن تموت كالماني جيد في ألمانيا وتدفن هنا".

"أستطيع أن أعيش في إنجلترا مع الفرد. يقول إنه سيحصل لي على عمل في مزرعة إنجليزية، يديرها إنجليز. في ويلتشير في مكان ليس بعيداً جداً من بولفورد".

"وهل ستحمي الفرد وكتابي الذي أعطيته له بقدر ما تستطيع؟".

رفع هيرمن رأسه عالياً، وسحب نفساً عميقاً.

"بدم قلبي يا سيدى".

"حسناً إذاً، أنت لم تعد نازياً أو أحد رجالـي، أنت رجلـ الفـردـ الآـنـ، تخدمـهـ وـتـولـيـ حـمـاـيـتـهـ كـمـاـ تـفـعـلـ مـعـيـ".

"سـأـفـعـلـ ذـلـكـ يـاـ سـيـديـ".

"إـذـاـ استـمـعـ الآـنـ. ذـهـبـتـ إـلـىـ مـيـونـيـخـ الـلـيـلـةـ الـمـاضـيـ بـخـصـوصـ الصـبـيـ روـدـوـلـفـ، الـذـيـ توـفـيـ أـوـلـ أـمـسـ. لـمـ أـرـ أـحـدـ شـهـادـتـكـ حـتـىـ الآـنـ. وـأـنـتـ رـسـمـيـاـ مـحـتـجـزـ عـنـدـ مـسـاعـدـ الـفـارـسـ لـضـربـكـ الصـبـيـ بـشـدـةـ حـتـىـ مـاتـ. وـلـكـنـ هـذـاـ سـيـعـدـ بـمـثـابـةـ الـقـتـلـ الـخـطـأـ وـبـالـطـبـعـ لـنـ يـحـصـلـ الشـيـءـ الـكـثـيرـ، إـلـاـ أـنـكـ سـوـفـ تـُجـلـدـ لـتـتـعـلـمـ أـنـ تـكـوـنـ أـكـثـرـ حـذـرـاـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ، وـتـتـذـكـرـ أـنـ أـوـلـادـ الـأـرـبـعـةـ عـشـرـ، أـقـوـيـاءـ وـلـكـنـهـمـ لـيـسـواـ رـجـالـاـ بـعـدـ. إـذـاـ أـعـلـنـتـ هـذـهـ الشـاهـادـةـ أـمـامـ الـجـمـهـورـ، وـلـمـسـ الـفـارـسـ جـيـبـ سـتـرـتـهـ "فـلـنـ يـحـدـثـ شـيـءـ عـلـىـ الإـطـلـاقـ. قـتـلـ صـبـيـ لـاـرـتـكـابـهـ جـرـيـمـةـ مـثـيـرـةـ لـلـاشـمـئـزـازـ كـهـتـكـ عـرـضـ الـعـرـقـ لـيـسـ قـتـلـاـ فـيـ نـظـرـ أـيـ أـلـمـانـيـ حـقـيقـيـ، أـكـثـرـ مـاـ هـوـ عـلـيـهـ قـتـلـ ذـبـابـةـ زـرـقاءـ. وـلـكـيـ تـحـصـلـ عـلـىـ الـمـنـفـيـ الدـائـمـ يـجـبـ أـنـ تـُمـلـيـ اـعـتـرـافـآـخـرـ، بـأـنـ هـذـاـ الـاعـتـرـافـ الـأـوـلـ هـوـ اـتـهـامـ كـاذـبـ خـبـيـثـ، وـلـتـجـعـلـهـ مـعـقـولـاـ الـأـفـضـلـ لـكـ أـنـ تـقـولـ إـنـهـ نـتـجـ عـنـ كـراـهـيـةـ وـغـيـرـةـ مـفـاجـئـةـ نـحـوـ روـدـوـلـفـ، لـأـنـهـ لـمـ يـرـغـبـ بـالـتـعـامـلـ مـعـكـ".

"نعمـ يـاـ سـيـديـ" قـالـ هـيـرـمـنـ، بـصـوتـ خـالـ منـ التـعـابـيرـ. تـوقـفـ الـفـارـسـ.

"سـتـعـقـدـ مـحـكـمـةـ الـفـرـسـانـ خـلـالـ أـسـبـوعـ يـاـ هـيـرـمـنـ. وـيـجـبـ أـنـ أـقـدـمـ إـشـعـارـاـ بـالـقـضـيـةـ الـتـيـ سـتـمـثـلـ أـمـامـهـاـ. وـإـذـاـ فـاتـتـكـ هـذـهـ فـلـنـ تـكـوـنـ هـنـاكـ أـخـرـيـ لـمـدةـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ".

"سـأـمـثـلـ أـمـامـ هـذـهـ".

"هـذـاـ يـعـنيـ أـنـهـ يـجـبـ أـنـ تـأـتـيـ وـتـقـدـمـ الشـاهـادـةـ الـأـخـرـىـ الـلـيـلـةـ. يـجـبـ أـنـ تـؤـخـذـ إـلـىـ مـيـونـيـخـ فـيـ الغـدـ. غـدـاـ سـيـكـونـ عـلـيـكـ الـذـهـابـ إـلـىـ السـجـنـ فـيـ

"ميونيخ".

"سأفعل ذلك يا سيدى".

"ولن تكون قادرًا على الذهاب إلى إنجلترا مع الفرد. وهو في ألمانيا عليه أن يدعى أنه يشتمز منك كما هو الحال مع أي شخص آخر. إلى جانب ذلك، ستكون تحت الحراسة حتى توضع على متن السفينة".

"هل سيرسلونني مباشرة إلى هناك بعد التحقيق؟".

"أعتقد ذلك".

"إذًا، سأكون هناك في نفس الوقت تقريبًا".

"يمكنك أن تذهب إلى بيتي حتى لو وصلت إلى هناك أولاً" قال الفرد.  
"توماس وفرد وجيمس الشاب سيكونون هناك. أستكون معه أي أموال يا سيدى؟ أو أنه سيضطر إلى المشي من أي مكان يحط فيه من ويلتشير؟".

"سيكون معه بعض المال الذي سأعطيه إياه. لا أستطيع أن أعطيه الكثير، بالطبع. لكنهم لن يأخذوه منه. في إنجلترا، وحتى يحصل على عمل، سيكون من حقه التموين و الطعام امرأة عجوز، وهو نصف لا شيء، وبالطبع إذا وجد رئيس عمال في مزرعة إنجليزية يهتم لتوظيفه، فإن مالك العقار لن يُوقف أجره. يا هيرمن، لن يُسمح لك أن تبدو مثل إنجليزي، أو أن تحصل على تصريح الرجال الإنجليز طالما أنك لا تتكلّم اللغة".

"وأنا أعلم يا سيدى. سوف أضطر إلى ارتداء الزي الأحمر الخاص، وإذا خلعته سيتم ضربي".

"نعم، عليك أن تكون منبودًا يسهل التعرف عليه. لكل نازي الحق في ركلك، ولكل إنجليزي الحق في احتقارك. هل أنت متأكد من قدرتك على

تحمل ذلك؟".

"نعم يا سيدي. متى أحضر لأقدم إلى نباتكم شهادتي الثانية؟".

"أوه. حوالي الخامسة. ولكن أبق الآن إذا أردت، يا هيرمن".

"سيدي، أنا أفضّل العمل في المزرعة اليوم، إذا تكرمت. لم ننتهِ من البنجر بعد".

"أوه، اللعنة على البنجر. أوه، حسناً، جيد، من الأفضل لك الذهاب. ستكون أكثر سعادة وأنت تعمل، كما أتوقع. سأعطيك آخر أوامرِي ومشورتي الليلة. انصرف".

ذهب هيرمن. بدا الفارس حزيناً جداً، لكنه لم يقل شيئاً. "سيدي..." غامر أفراد بالقول بعد صمت طويل "هل يسمحون له باختيار مكان منفاه؟ ماذا لو وجهوه إلى روسيا بعد كل ما تعرض له؟".

"إنهم يسمحون له باختيار أي مكان في الإمبراطورية طالما أنه خارج ألمانيا. إذا قال المنفي إنه يريد الذهاب إلى جنوب أفريقيا فسيرسلونه إلى هناك. فالعقوبة تكمن في المنفي، وفي كونه منبوداً، ولا يهمهم أين يذهب؟".

"لا بد أن المنفي الحقيقي يشعر بالسوء في ذلك".

"أخشى أن تضعف إرادة هيرمن، رغم أنه يحبك ويدرك أنه ليس منفياً حقيقياً. ما كان علينا إخباره يا أفراد".

"على جميع الألمان أن يعرفوا".

"نعم، ولكن ليس الآن. لم يحن الوقت بعد".

"وكيف سيكون ذلك؟".

"أنا لا أعرف كيف. هناك نوعان من الأشياء التي يمكن أن تحدث. أولاً، أنا لا أعتقد أن الأمة يمكنها أن تصمد خمسين سنة أخرى من دون حرب. بل ربما لا تستطيع الصمود لثلاثين. ثم إن المؤس العميق الذي يأتي من عدم القدرة على التكيف مع الظروف التي تغيرت، والسلام الدائم في هذه الحالة، سوف يجعلها تفعل شيئاً. ويمكنها أن تثور على الفرسان والفوهرر، وتقوم بإحياء بعض الشعور الاشتراكي القديم وتعتقد أن هذا النظام الاجتماعي وحده هو الذي يسبب لها المؤس. في هذه الحالة قد تكون هناك حرب أهلية، بعض النازيين يوالون الفرسان، وبعض الفرسان، القليل جداً منهم، ينحاز مع النازيين الساخطين. أما الأعراق الخاضعة فلن تكون مهتمة بتحطيم الألمان لأنفسهم، ولكنها قد تقوم ببعض الثورات الغربية، التي من شأنها أن توحد الألمان على الفور معاً، مهما كان موقفهم من النظام الاجتماعي، وسيدفع ذلك بألمانيا أن تلتفت إليهم وتمزقهم وتسحقهم مرة أخرى، وهي سعيدة للقيام بذلك. ولكنني لا أعتقد أن أيّاً من ذلك من المرجح جداً أن يحدث بالتدريج، أو ليس تدريجياً تماماً كفقدان الإيمان، وحالة عدم اليقين حول الدين، والأخلاقيات، وفلسفتنا كلها. لأنها جثة نتنة، ورائحتها تنتشر. إن الدين هو الذي يجب أن يموت مباشرة فلا يوجد أي احتمال للحرب، إلا أن الحقيقة مفيدة جداً وحيوية فعلاً في زمن الحرب. حسناً، إذًا، عندما تترسخ هذه الخسارة في الإيمان في ألمانيا، وعندما يكون الرجال في المؤسهم المدقع سيداؤن في التجمع حول فكرة جديدة، أخلاقيات جديدة، وهذا هو الوقت الذي يجب فيه على الإنجيليين الحقيقيين بدء مهمتهم. وهم قد يأتون من جميع أنواع الأماكن، سواء من داخل ألمانيا أو خارجها، ولكنني أعرف مكاناً واحداً الذي، إذا كنا جميعاً محظوظين، ستأتي منه

الرسالة، وهذا المكان هو إنجلترا. ليس في حياتي، ولا في حياتك، ولكن بعد بعض الوقت. عليك أن تكون النواة، يا أَلْفِرْد، بمساعدة من كتابي وتابعك الخاص، عليك تدريب الرجال. وتدريب أبنائك. هل لديك أبناء؟".

"ثلاثة".

"جيد. عليك إنجاب ثلاثة آخرين. وتدريب أبناء رجال آخرين. لا تقبل أي ضعفاء في مجتمع الحقيقة الذي ستصنعه، ولا الرجال الأغبياء، ليس بعد. تأكد من كل رجل لديك، ولا تحاول أن يكونوا كثيرين جداً. وحذركم، حذركم، يا أَلْفِرْد، بكل ما لديك من قوة، من العنف. أنا لا أقصد عدم التعرض مادياً للسلطة الألمانية، بل أعني تحذيرهم من اعتبار العنف فاضلاً، وأنه شيء رجولي. فعلنا ذلك نحن الألمان، واستخدمنا القوة في أعلى مستوياتها، وفشلنا في جعل الحياة طيبة، أو حتى، ممكنة. لذا بحق الرب حذركم من كل فضائل الجسد الباسل التي عندنا، واصنع مجموعة جديدة من الفضائل الروحية، وتولي التبشير بها. اجعلهم يفهمون ما كتبه فون هييس. فهو رسميًّا وفي الظاهر كان لا يزال يؤمن بالقوة، بالانتصارات، بالهيمنة المادية للإنسان على أخيه الإنسان، ولكن كانت فضيلته وبطولته نابعة من الروح. تذكر "الأسلحة المختارة في المستودع" للرجال هي الصدق الروحي والشجاعة. واصل الفارس حدثه، مثبتاً عينيه الرماديتين الكبيرتين بنظرة حالمه على لفرد "أعتقد أحياناً أن الحضارات الماضية بكل تعقيداتها وثرائها الذي لا مكن تصوره - فون هييس يقول إنه لا يمكن أن يتوصل لجزء من المليون من عجائبها - في بعض الأحيان أعتقد أنها ربما كانت فقط مرحلة الطفولة لعرق. وأن هذه الهوة، هذا التبلد الكثيف، هو مثل البلدة التي يكون عليها أولاد أحياناً في سن المراهقة، وأن مرحلة الرجولة لم تأتِ بعد. وأنه ربما مع الرب للرجال بارتكاب هذه الجريمة ضد الحقيقة من خلال أدواته

اليدوية، الألمان واليابانيين، لخلق فاصل بين الطفولة والرجولة، وليعطينا قسطاً من الراحة، لتمكيننا من التغلب على الندم على ما لا يمكن أن يعود مرة أخرى. إذا عرفنا روائع طفولتنا كنا سنرغب في العودة إليها مرة أخرى؛ وطالما أنها لا نعرف ما كانت، ولكننا نعرف فقط أنها وجدت مرة، يمكننا أن نمضي إلى الأمام بطيب خاطر. سيكون عملك، وعمل نسلك، السماح لهؤلاء الأولاد البليدين، هؤلاء المراهقين المدمرین الأغبياء، أن يعرفوا أنهم ليسوا مثاليين، إذا كانوا قد عاشوا طفولة رائعة، وأنه إذا كان في وسعهم المضي قدماً حتى يشبو عن الطوق، فسيصلون إلى نضج تبدو أمامه عبرية الطفولة مثل شمعة في وضح النهار. هل عندك أي رجل يمكن الوثوق به للوصاية على الكتاب الآن؟ يجب ألا ترك ذلك للصدفة كما فعلت أنا. ليس لديك أي سبب للقيام بذلك. فقد كنت غير واثق من مهمتي، وأنت لست كذلك".

"لدي رجل" قال أفراد.

"وكم عمره؟".

"في السابعة عشرة".

"إنه صغير جداً" قال الفارس، وهو يهز رأسه.

"إنه أفضل رجل أعرفه يمكن ترك الكتاب معه. ليس لما هو عليه من الشجاعة أو قوة الذهن أو لأنه الأكثر جدارة بالثقة من الكثير من باقي أصدقائي، بل لأنه الأذكي".

"حسناً، آمل أن يكون متقدماً كثيراً في السن قبل أن يتولى بالفعل مسؤولية ذلك. هل هو ابنك، كما أفترض؟".

"نعم، أَلْفِرْدُ الشَّابُ".

ابْنِسُ الْفَارِسِ، وَهُوَ يَتَذَكَّرُ شَيْئًا.

"هَلْ لَهَا الْمَلْكُ الْبَاسِلُ الْفَوْهِرُ الَّذِي سِيَخْلُصُكُمْ مِنْ أَلْمَانِي أَيْ اسْمٍ  
وَلَوْ بِالْصَّدْفَةِ؟".

"لِمَذَا، نَعَمْ. اسْمُهُ سِيَكُونُ أَلْفِرْدُ. نَفْسُ اسْمِ الْمَلْكِ الإِنْجِلِيزِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي  
عَاشَ بَعْضَ الْوَقْتِ قَبْلَ أَنْ يَتَمَ غَزْوَنَا".

"غَزْوَكُمْ أَيْةً مَرَّةً؟".

"آهُ، أَنَا لَا أَعْرِفُ".

"وَلَكِنْكُ تَعْلَمُ أَنْكُمْ غُزِيْتُمْ مَرْتَيْنِ؟ وَأَنَّ الْأَلْمَانِ لَمْ يَكُونُوا الْغَزَّةَ فِي الْمَرَّةِ  
الْأُولَى، بَلْ فِي الثَّانِيَةِ؟".

"لَدِينَا أَسْطُورَةٌ حَوْلَ غَزْوَنَا مِنْ قَبْلِهِ، وَأَنَّا التَّهْمَنَا الْفَاتِحِينَ. لَكِنْ  
الْإِسْكَنْدَرِيُّونَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِلْغَزْوِ عَلَى الإِطْلَاقِ".

"هَذَا مُثِيرٌ لِلْهَتْمَامِ. نَعَمْ، لَقَدْ غُزِيْتُمْ، وَفَوْنُ هِيسْ يَذَكِّرُ ذَلِكَ لَأَنَّهُ  
أَعْقَبَ نَتَائِجَ مَهْمَةً عَلَى أُورُوبَا. قَبْلَ حَوَالِيِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ مَجِيَّءِ هِتَلِرِ، قَامَ  
الْنُورُمَانِدِيُّونَ، الَّذِينَ كَانُوا رِجَالًا مِنْ أَصْلِ اسْكَنْدَنَافِيِّ، اسْتَقْرَرُوا فِي الْجَزْءِ  
الشَّمَالِيِّ مِنْ فَرْنَسَا، بَغْزَوُ الْأَنْجِلُو سَاكْسُونِ، وَأَخْذُوا إِنْجِلْتَرَا".

"وَلَمْ نَلْتَهْمُهُمْ؟ لَا يَبْدُو أَنَّهُ حَصَلَ ذَلِكَ".

"لَقَدْ فَعَلْتُمْ بِطَرِيقَةٍ مَا. كَانَ عَلَيْهِمُ التَّوْقُفُ عَنْ حُكْمِ إِنْجِلْتَرَا مِنْ فَرْنَسَا،  
وَصَارُوا مِنْ إِنْجِلِيزَ، وَبَعْدَهَا حَاوَلُوا لِمَئَاتِ السَّنِينِ حُكْمَ فَرْنَسَا مِنْ إِنْجِلْتَرَا.  
كَمَا لَوْ أَنَّ فَرْسَانَ سَاوِثَامْبُرْتُونَ وَلَندَنَ وَجَمِيعَ الْمَقَاطِعَاتِ الإِنْجِلِيزِيَّةَ بَقَوْا  
هُنَاكَ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ، وَفِي وَقْتٍ لَاحِقٍ كَوَنْتُ ذَرِيْتُهُمْ جِيشًا مِنَ النَّازِيِّينَ

والإنجليز والويلزيين والاسكتلنديين والإيرلنديين، وهاجمت ألمانيا".

"ذلك سيكون مخططاً شيئاً، علينا فقط السير فيه حتى يمكننا أن نقول الحقيقة".

"أخشى أن أكثر من نصفكم دموي التفكير" قال الفارس وهو يهز رأسه.  
"لأن الاسكتلنديين لم يتعرضوا للغزو قبل أن تقوم ألمانيا بذلك، فيبدو من المحتمل كفاية، كما يقول فون هييس، أنه عند تاريخ معين - نسيته الآن، في 1700 تقريباً - كانت اسكتلندا وإنجلترا موحدتين، وكانت الجزر البريطانية كلها تحت سلطة ملك واحد. وهذا يبدو ناتجاً من ترتيب مسبق، زواج أو شيء من هذا القبيل، أكثر من كونه نتيجة حرب".

"هل يقول شيئاً عن ملك يدعى الفرد؟".

"نعم. قام بتنظيم القانون السكسوني، ومنع إنجلترا من أن تصبح اسكندنافية".

"ها!" قال الفرد، مبتسمًا بسرور. "كان هناك ملك، كما ترى. وسيكون هناك آخر. نجل الفرد الشاب ربما. الرسول".

"ستكون فكرة جيدة إذا كتبتُ إلى فارس لندن، وقلت له أن يقبض على جميع الرجال في محافظة إنجلترا الذين يطلق عليهم اسم الفرد الفردسون، والذين ابنهم الأكبر يدعى الفرد. وسوف أقول له أنه يستطيع إطلاق النار عليهم جميعاً بأمان بسبب خيانة ما".

"أوه، هذا لن يكون عادلاً، يا سيدي. لماذا، لأن الاسم شائع تقريباً مثل اسم هيرمن".

"ماذا، ويتوافق من الأب إلى الابن الأكبر؟ هذا يذكرني بأنك سألتني

كيف فقدتم الألقاب الخاصة بكم. أعتقد أن ذلك لأن الحكومة الألمانية ترغب أن يملك الرجال العاديين، والنازيين والأعراق الخاضعة، أقل قدر ممكن من الشعور **الأُسرى**. بينما يسمح للفرسان بالمشاعر **الأسرية**: أنت تعرف ما هو مدى قوتها الخطيرة. لم يفعل رجال عائلة فون هيس أي شيء بشأن الكتاب، ولكن **أياً** منهم لم يقم بإعدامه، كما هو واجبهم كالمان جيدين. فالفرسان **أرستقراطيون** ويجب أن يفخروا بأسرهم. بينما لا يسمح للنازيين سوى بالفخر **بألمانيا**: الدم الألماني هو **أسرتهم**، وهكذا تم حظر القابهم، وليس هناك سوى عدد محدود من الأسماء الأولى **الألمانية العادية** التي يسمح للألمان تسمية **أبنائهم** بها. لا يمكن للإنسان أن يشهر نفسه بامتلاك اسم نادر. كل ذلك تم ترتيبه منذ فترة طويلة. أنا في الحقيقة لا أعرف منذ متى. إنه مجرد جزء من النظام الاجتماعي الآن. للفرسان **ألقب**، **أما النازيون فلا**".

"وبماذا كان علينا أن نفخر؟".

"أوه، لا شيء. لا بد أن الألقاب قد حظرت لمنع النازيين من الغيرة. فوق كل شيء، كل واحد في الإمبراطورية لديه رقم مسجل، وما الذي تريده أكثر من ذلك؟".

"أوه، أنا لا يهمني. اسم الفرد جيد بما فيه الكفاية بالنسبة إلى، ونحن ندعو الصغار **فرد**. ولكن هناك شيء آخر يحيرني كثيراً. إذا أردتم جرمنتنا، لماذا تركتمونا نبقي على لغتنا الخاصة وكتابتنا الخاصة؟ من المفترض أن يتربّط الإنجليز معًا إذا كان لديهم لغة مختلفة وطريقة مختلفة في تشكيل الحروف. كان من السهل فرض النطق **بالألمانية** في حضانات الأولاد".

"نحن لا نريد جرمنتكم بأي شكل من الأشكال إلا لجعلكم تقبلون

فلسفتنا ودونيتكم. إذا كانت لغتنا ودمنا مقدسين فإنه لا يمكننا جعل كل طفل صغير روسي وإيطالي وإنجليزي يكتسب لغتنا كلغة بالولادة. فلا يصح لمثلها أن تكون لديك حق، بل يجب أن تتعلّمها كي نقتنع، هذا كل شيء. هناك طريقتان لإدارة أية إمبراطورية. الأولى هي جعل الرعايا الأجانب يشعرون بأنهم أفضل حالاً بكثير داخل الإمبراطورية من خروجهم منها، لجعلهم فخورين بها، لمنحهم حضارة أفضل مما لديهم، والسماح لهم بتحقيق المواطنة الكاملة عن طريق السلوك الجيد. وهذه هي الطريقة الرومانية. كان هناك الآلاف من الرجال الذين بكل فخر وبكل سرور أطلقوا على أنفسهم اسم الرومان والذين لم تكن قطرة دم رومانية تجري في عروقهم. كان لديهم الحق القانوني للقيام بذلك، وقد تقاسوا شرف العرق الحاكم. والطريقة الأخرى هي جعل الأعراق الخاضعة يعتقدون أنفسهم دونيين جوهرياً، مصدقين أن يحكمهم عرق مقدس من نوع مختلف من الرجال، وحرمانهم من كل المواطنة المتساوية إلى الأبد. وهذه هي طريقتنا. ونحن لا يمكن أن نحلم بالسماح لأي رجل أن يطلق على نفسه ألماني إلا إذا كان ألمانياً بالولادة. الدم هو نحن. كل ما أنتم عليه ليس دماً. لذلك يجب أن تتحدثوا لغات خاصة بكم، وتكتبوا الكتابة الخاصة بكم، وتفكروا باللغة الإنجليزية، كم نحن مقدسون، كيف لهتلر أبداً أن يكون أي شيء سوى ألماني، وكيف يمكن أبداً أن تكون هناك أي فلسفة أخرى أو طريقة حياة غير التي لنا. إنهم لا يسمحون لكم حتى بالمساواة في الدين. وهناك العديد من الاحتفالات الدينية في كنائسنا التي يتم استبعاد الأجانب منها. الإقصاء وسيلة ممتازة لجعل الإنسان يشعر بالدونية. ثم هناك شيء آخر، في إطار الدين الذي يفترض بجميعكم الإيمان به والكثير جداً منكم يفعل في الواقع، أنتم دائماً عامة. ولا يمكن أن تكونوا أبداً من الكهنة-".

"وما هو الكاهن؟".

"إنه الرجل الذي يُجري المراسم الدينية".

"هذا الفارس فقط".

"كان لدينا الحس بعدم وجود الكهنة والفرسان معاً. الأمر الذي يؤدي دائمًا إلى المتاعب. الكنيسة والدولة هما كيان واحد في الإمبراطورية الألمانية، والفوهرر هو البابا".

"أنا لا أفهم".

"في الدين المسيحي الكهنة - وهم الرجال الذين يجرؤون المراسم ويذهبون إلى ما يعادل مصليات هتلر، الرجال المقدسون - كانوا عادة مجموعة مختلفة من الرجال عن أولئك الذين يقومون بالإدارة والحكم والقتال".

"يا لها من فكرة مذهلة! لكن هذه المجموعة أو الأخرى يجب أن تكون النخبة".

"ليس في كل الأوقات. كان للكهنة القوة الروحية وكانت للحكومة السلطة الزمنية. كان النبلاء في كثير من الأحيان أكثر خوفاً من الكهنة منه في الجهة الأخرى".

"أكان الكهنة مسلحين، حينها؟".

"كلا، ولكن كان يمكنهم لعن الناس".

"وماذا في ذلك؟ الفرسان يلعنوني دوماً".

"ويمكنهم استبعادهم من نعم وبركات رب".

"هل يمكنهم ذلك حقاً؟ أنا لا أصدق ذلك".

"بالطبع لا يمكن لإنسان أن يستبعد أبداً رجلاً آخر من عنایة الرب. أعتقد الناس أنه يمكنهم ذلك، وهذا كل شيء".  
"إذاً، كان عليهم قتل الكهنة".

"لكن هذا في حد ذاته قد يستبعدهم من الرب. كان للكهنة قداسة مثل الفوهرر والدائرة المقربة".

"ولكنك تقول إنهم لم يكونوا فرساناً بل كهنة فقط، وبلا سلطة حقيقية على الإطلاق إلا اللعن. بطبيعة الحال الرجل مقدس إذا كنت ستجعل حتى الموت لضربه في وجهه. إذا كان بإمكانني ضرب فارس في وجهه ولا يمكنهم فعل أي شيء لي سوى لعني، هناك واحد أو اثنين في إنجلترا أود أن أصفعهم، بلطاف تام طبعاً".

"أخشى أنك ملحد جداً لتفهم الأمر. لا يمكن لل العامة، وحتى للنبلاء، التقرب إلى الرب إلا من خلال الكنيسة، وذلك من خلال الكهنة. تماماً كما لا يمكنك الاقتراب من الفارس إلا من خلال مساعد الفارس. ولا يمكنك أبداً الاقتراب من الفوهرر بأية طريقة ممكنة. وإذا أزعجت مساعد الفارس، فلن يسهل وصولك إلى الفارس، أليس كذلك؟ إذاً الأمر هو نفسه: إذا أزعج الناس أو النبلاء الكهنة بشكل جاد، فسيحرمون من الرب".

"وكيف يكون الأمر عندما لا يكون الرب حقيقة منقطعاً عنهم؟ لماذا؟ لنفترض أن الفوهرر سمع بي وقال: "أريد أن أرى هذا التابع الفرد الذي سيأخذ كتاب فون هييس وهو عائد إلى إنجلترا" لا أحد منكم يستطيع إبعاده عنـي. وإذا استطعتم ذلك، فهو لا يعود الفوهرر إطلاقاً، بل أنتـ. إذاً أمكن للكهنة إبعاد الرب بعيداً عن الناس، وهم من يقول له "يمكنك

مواصلة الإنعام على هذا الرجل، ولكن يجب أن تمتنع عن مباركة ذلك الرجل، إذاً فهو ليس الرب. إنه أدنى من الكهنة. ورغم أن الفوهرر ليس إلا رجل ولا يعرفني أو يعرف جزءاً من المليون من الشعب الذي يحكمه، فالرب يعرف الجميع وما إذا كانوا يريدون التوجه إليه أم لا. لا أحد يمكن أبداً أن يصدق مثل تلك الفكرة المجنونة، وأن إنساناً يمكنه أن يبقى الرب بعيداً عن رجال آخرين".

"لقد أعطى الرب الكهنة السلطة لإبقاءه بعيداً عنهم".

"وهذا يعد أكثر جنوناً، لأنه قد يعني أن الرب استقال عمداً و وهب حريته في الحكم إلى الكثير من الكهنة. لماذا؟ إذا كان هؤلاء الناس قد صدقوا كل ذلك، فسيصيرون بطريقة ما أقل تحضراً منك أنت. المغفلون، على أي حال. عندما كنت طفلاً صغيراً، وكنت لا أزال حينها مؤمناً بهتلر، لم أفكر أبداً في أن أي فارس أو الفوهرر نفسه يمكنه أن يُبقي هتلر بعيداً عنـي. بقدر ما يتعلق الأمر بي وبـهـتلـر، أنتـم جميعاً مرمـيـون فيـالـبـحـرـ. اعتـدـتـ أنـأـصـلـيـ "أـبـتـهـلـ إـلـيـكـ، ياـهـتلـرـ، اـسـمـحـ لـيـ أـدـخـلـ كـلـيـةـ التـقـنـيـةـ"، منـ دونـ التـفـكـيرـ فـيـ أـنـهـ عـلـيـ الـذـهـابـ وـإـزـعـاجـ الـفـارـسـ بـالـأـمـرـ".

"ديننا ليس سماوياً، ولا يملك الشعور نفسه. لا يوجد جحيم فيه، والجند والكهنة يعدون واحداً، إنه دين حرب، وتحكمون فيه بطريقة عسكرية، وليس كهنوـتـيـةـ".

"سوف يكون يوم ميلاد سعيد في إنجلترا عندما تحاولون حكمـناـ بطـرـيـقـةـ كـهـنـوـتـيـةـ" قالـ أـلـفـردـ مـقـهـقـهـاـ. "وـسـيـتـمـ بـيعـ رـؤـوسـ الـفـرـسانـ بشـلـنـ منـ أـجـلـ الأـسـنـانـ".

"ويـبـقـيـ عـلـيـ الرـسـلـ أـنـ يـتـصـرـفـواـ بـطـرـيـقـةـ كـهـنـوـتـيـةـ أـكـثـرـ مـنـ الطـرـيـقـةـ

العسكرية إذا أرادوا أن يكونوا جيدين؟".

"آه، هذا مختلف. لن يستمروا في التظاهر بأنهم يحولون بين الرب وأي رجل. وسوف يقولون الحقيقة. لا يوجد شيء كهنوتي في ذلك. من هم أَس الشياطين؟ أنا أفترض أنهم ليسوا حقاً شياطين أكثر من كون هتلر هو الرب".

"إيه؟" قال الفارس "من تقصد؟".

"الشياطين في العقيدة. هل يقول فون هييس أين وجدوا حقاً؟".

"أوه، إنهم. حسناً، لينين وستالين كانوا في الواقع يشبهان الشياطين قليلاً لأنهما كانوا من القادة الروس، وأسوأ قتال خاضته ألمانيا، كان ولوقت طويل، القتال ضد روسيا. مع أن لينين كان قد مات قبل زمن بعيد من وصول هتلر إلى السلطة، الذي لم يحدث أن كان بالقرب من ستالين شخصياً".

"لم يتوجه بالطائرة المباركة إلى موسكو على رأس الأسطول الجوي؟".

"بالطبع لا. وكان أغلى من أن يسمح له بالتعرض إلى جرح بإصبعه".

"إذاً، هو لم يكن بطلاً؟".

"ليس لدي شك على الإطلاق بأنه كان رجلاً شجاعاً، لأن الألمان لن يتبعوا جياباً. ولكن لم يسمح له القيام بأي شيء. ولأغراض الألوهية فقط سمح له بأن يذهب إلى المعركة".

"إذاً أكان روم سيثاً كما قيل عنه في كتاب هتلر المقدس؟ وأَس الخونة، المخادع، الشرير الذي أخذ شكلًا واحداً من الأصدقاء الأبطال؟".

"أنا لا أعرف لماذا تم اختياره ليكون يهوداً، لأن هناك عدة رجال معه".

"من هو يهودا؟ وعدد رجال معه في ماذا؟".

"يهودا الذي في الدين المسيحي. صديق يسوع الذي خانه. كان روم رجلاً إما قام بالتمرد ضد هتلر بعد وقت قصير من وصوله إلى السلطة، أو أنه لم يتمرد وقت لقتل آخر. مع العديد من الرجال الذين قتلوا، فون هييس يقول تبقى القصة غامضة. وربما كانت مهمة في ذلك الوقت، ولكنه بالتأكيد لم يكن تمرداً كامل اللباس. كان روم صديقاً لهتلر، وكان رجلاً ذو سلطة كبيرة قبل فعل ما كان خطأً أن يفعله، وأنا في الحقيقة لا أعرف لماذا هو وليس أيّاً من المنحرفين الآخرين قد ذكر في العقيدة. كان معظمهم من النازيين المهمين. أما بالنسبة إلى كارل بارت، وهو الرابع، فلم أتمكن من معرفة أي شيء عنه مهما كان. وفون هييس لم يتطرق إلى ذكره. أعتقد أن من الممكن رؤية اثنين من الشياطين الروس وخائن ألماني، أما كارل بارت فيمثل العدو الآخر وهو المسيحية. كما أنه، في اعتقادي، يجب أن يكون ألمانياً، وبطبيعة الحال بالنسبة إلى الهايترين يعد المسيحي الألماني أكثر فتكاً من أي نوع آخر".

"لكونه أكثر صلابة؟".

"لكونه مشيناً أكثر".

"يفترض أن يكون كارل بارت في الكتاب المقدس لهتلر. والثلاثة الآخرون تم ذكرهم في معارك البطولة".

"كارل بارت سر غامض" قال الفارس وهو يتنهد. "ولن يمكننا أبداً توضيحه. ربما كان رجلاً عادياً مثل روم، أو قائداً عظيماً مثل لينين وكما كان ستالين من دون شك، أو أنه ربما كان رجلاً من نوع آخر مثل فون هييس، رجلاً روحيًا. أما من الناحية الأخرى، فقد كان تابعاً للشيطان حقاً. أنا لا أقرأ العقيدة أبداً من دون التساؤل عن كارل بارت".

"أنا لا أعرف كيف يمكنك أن تقول كل ذلك من دون أن تضحك".

"الأمر محير، مع أنه غير محير. لقد ربطت تلك العقيدة هذه الإمبراطورية الضخمة معاً لأكثر من ستمائة سنة. والهراء الذي له قدرة تحمل كهذه لا يمكن أن يكون هراء".

"هذه فكرة خطيرة. فحتى لو استمر لملايين السنين فإنه يظل هراء، تماماً كما لو أن أحداً لم يعد يصدق الحقيقة أبداً فهي لن تتوقف عن كونها حقيقة. كيف تظن أنني سوف آخذ هذا الكتاب إلى إنجلترا، يا سيدي؟".

"لقد فكرت في ذلك. سأغلفه وأضع الختم عليه وأعنونه كما لو أنه مني، وأسمي مكتوب عليه، إلى فارس مقاطعة غلوستر. إنه صديق لي. وإذا قام أحد المسؤولين النازيين بفتح الكيس الخاص بك في أي مكان.. سواء في هذا الجانب أو ذاك، فإنه لن يجرؤ على كسر ختم الفارس. ولن يفعل ذلك أي فارس. ستكون فظاظة منه يمكنني أن أقضيه عليها. سأكتب على السطح الخارجي للرزمة، "بواسطة الساعي، الفرد، اي. دبليو 10762" وعندما لا أحد سيكون فضولياً بما يكفي ليفكر في أخذها منك، وإرسالها عبر البريد. إذا سألك ما الذي في داخلها، قل لهم كذبة كبيرة، وقل لهم إنك لا تعرف. إذا سألك لماذا، وأنت إنجليزي، قد يختارك الفارس لتكون مراسلاً بينه وبين فارس آخر، فقل إنني أعجبت بك، وهذه ليست كذبة أبداً".

"وماذا لو تذكري بعض المسؤولين النازيين، وكتب حالاً إلى فارس جلوستر لمعرفة ما إذا استلم الرزمة باللغة الأهمية كما تبدو؟".

"سيناقش فارس جلوستر الأمر معك، من خلال مساعد الفارس الخاص بك. وسوف تقول له ببساطة إنك آسف جداً ولكنها سقطت في نهر آفون، أو في البحر، أيهما تعتقد أنه الأفضل، وأنك على أي حال فقدتها. وأنك

استقلت الكتابة إلى فارس جلوستر لتقول له ذلك. ثم سيقول فارس جلوستر لنفسه ببساطة "المسكين العجوز فون هيس صار أخيراً معتوهاً تماماً، كي يثق بأي شيء حتى بإنجليزي أبله"، وقد يكتب ليسألني ماذا كانت. سأكتب إليه رداً وأقول له إنها كانت خططاً مفصلة على ورق جلدي لهجوم جديد على اليابانيين مع تلك الأشياء التي تحفر تحت الأرض، وسوف يقول، "محزن، محزن" ولن يهتم أكثر من ذلك. لكنني لا أعتقد أن فارس جلوستر قد يعرف أي شيء عن ذلك. فالمسؤولون النازيون يتددون جداً في التدخل حتى بأفضل النوايا في أي عمل بين فارس وآخر، ومن المرجح أن لا أحد حتى بمستوى مساعد الفارس قد ينظر إلى كيسك الخاص بك. احصل على بعض الأغصان من الغابة المقدسة وحجرأً أو اثنين أيضاً من الجبل المقدس".

"لدي بعض منها حقيقة".

"لماذا؟".

"سألني رجل أن أجلب له بعضاً منها وأنا عائد. وهو نازي يقضيه الحنين إلى الوطن".

"أوه، يا للفتي المسكين! حسناً، آمل أنها سوف تجعله يشعر بنفسه على نحو أفضل. وماذا تنوي القيام به مع الكتاب بدلاً من نقله إلى فارس جلوستر؟".

"سأدفنه تحت الأرض كي لا يراه الألمان. الآن سأقول لك شيئاً سرياً للغاية، سراً إنجليزياً حقيقياً، ولن تكون قادرًا على القول إنك سمعت به في مقاطعة سكسونيا. أنت تعرف ستونهنج، بطبيعة الحال؟".

"نعم".

"هل ستحت لك فرصة ملاحظة محجر الطباشير الصغير، أو ما يشبه محجر الطباشير، إلى الشرق، بربع ميل، وليس بعيداً عن تلك التموجات القديمة التي لا بد أنها كانت نظام خنادق؟".

"كلا".

"أو لاحظت نوعاً من تبة طباشيرية من جانب واحد؟".

"ويلتشير مغطاة بالباب. لا، أنا لا أتذكر ذلك".

"حسناً، إنه ملجاً جيد، ولكنه ليس بدايئاً. إنها غرفة غاز قديمة أو مخباً. غرفة من الخرسانة، غرفة كبيرة، وتحت الأرض".

"الا يعلم النازيون بها؟".

"كلا. فقد انهارت مقدمتها، إما بسبب القصف أو أن الطبقة الطبوسورية تداعت بسبب سوء الأحوال الجوية. وانسدت الغرفة. كنت أتسكع حول ستونهنج في أوقات مضت، عندما كان عمري تسعة عشر فقط، فوقيع من الطبقة الطباشيرية الرخوة في مدخل المخبأ. وكدت أن أقتل. ولكن خرجت سليماً ولم أخبر أحداً، ثم صنعت نفقاً من خلال الطباشير في المخبأ وأخفيت نهايته".

"وماذا وجدت...الغاز؟".

"كلا، كان الهواء سيئاً جداً، ولكن مع الثقوب في الطباشير تحسن تدريجياً وصار أفضل. بعد فترة من الوقت أمكنني أن أسترسل في أمان. لقد وجدته مخباً كبيراً، وغرفة صغيرة بالقرب منه وأحد عشر هيكلأً عظيمياً. الهياكل العظمية متفتة. بالكاد تبدو هيأكل. لم تكن لها رائحة كريهة قوية، ولكنها كانت فاسدة جداً وعفنة. ولكنني وضعت بعض المطهر عليها، وتركتها حيث

هي".

"لماذا لم تخرجهم؟ من المحتمل جداً أنهم ماتوا من أنفلونزا الطاعون".

"أنا لا أستطيع إخراجهم. لنفترض أنني حملتهم كي أدفنهم ورأني رقيب نازي وقال: "مرحبا، Englander-schwein ، من أين حصلت على تلك العظام؟" كلا، لقد أبقيتهم فيها ولكنني عملت مخرجين لحفرة أرنبى هذه. أخبرت زميلاً آخر، وهو صديق شاب من سني يعمل في التسليح في سالزبورى. فسرق بعض المتفجرات وفجرنا قليلاً من زاوية المخبأ. تسبينا في تصدع تمكنا بعده من أن نحفر ثقباً صغيراً".

"هل عرف أي أحد شيئاً عن التفجير؟".

"ليس الكثير. فنحن لم نقف ونرمي الثواب على المواد، بل ثبتنها مع مصهر طويل مناسب وانتظرنا عاصفة رعدية. وجاءت الجميلة أخيراً، ليلاً لحسن الحظ، فهربت إلى هناك من بولفورت وأشعلنا النار. لكن التفجير لم يؤثر كثيراً في الجزء العلوي من الخندق، عندما كنت أنتظر الشيء لينفجر، مستلقياً في الخارج تحت المطر المتهاطل، فاعتراضي أفعظ خوف يمكن أن يعتري إنساناً، أن ينفجر المخبأ وربما نصف ميل من البلاد وحتى ستونهنج. كنت صغيراً جداً وغبياً، ولم نكن نعرف شيئاً عن المتفجرات. ثم جاء أعلى انفجار لصوت الرعد وفكرت، يا إلهي، لقد طار ستونهنج. لم أفكر أني قد أكون انتهيت أنا نفسي. حسناً، كان الأمر جيداً، وكانت مجرد فرقعة صغيرة خفيفة، غير ملحوظة تقريباً في العاصفة، وعندما ذهبنا لنرى ما حدث كان الوضع على ما يرام. لذا عملنا نفقاً خلال الطباشير وصنعنا مدخلاً مخفياً بصورة أفضل من الجانب الآخر من التبة حيث كانت هناك بعض شجيرات العرعر الصغيرة. ثم وصلنا إلى كل هذه الرفات وقمنا بحزمها؟".

"حزّتم الرفات؟ ما هذا في اللغة الألمانية؟".

Wir haben den Draht durch die Skelleten gerannt"

كان هناك أحد عشر منهم، عشرة رجال وواحد صغير قليلاً. لا بد أنه طفل، رغم أن وجوده هناك لا أستطيع أن أفكر فيه. كانت هناك بندقية آلية قديمة، كلها صدئت بلا أمل فيها وعلقت أحراوها حتى التحمت، وبعض المسدسات".

"أسلحتك المختارة في المستودع" قال الفارس ساخراً.

"ضحكنا كثيراً على ذلك" اعترف ألفريد. "لكننا عرفناكم كذبىن جمیعاً، على أي حال. لقد قال الألمان لنا دائماً أن كل المخابئ القديمة والأشياء الخرسانية، والحفر القديمة تحت لندن، قد أنشئت من قبلهم، منذ مئات السنين، لحمايتنا وحماية أنفسهم من اليابانيين. ووجدنا على الخرسانة، بطلاء خالد، "ممنوع التدخين". باللغة الإنجليزية. تطويحة بعيدة، أليس كذلك؟ ولكنني لم أعد أؤمن بهتلر بعدها، ولا فعل توم، صديقي. سرت أمتاراً وأمتاراً من الأسلاك شيئاً فشيئاً من المحل، وربطنا الهياكل العظمية بالسلك معاً، عظم ساق بعظم ساق، وعظم ذراع بأخر، لتنبيتهم معاً، كما ترى، ثم ألبسناهم خرق ملابسهم مرة أخرى والملابس الأخرى التي صنعناها بأنفسنا من أي شيء أمكننا إيجاده. ووضعنا الرشاش في المدخل مع أربعة رجال، ووضعنا كل هيكل عظمي في مكانه الصحيح كما يجب. أعطينا الرجال الآخرين بنادقهم وأحنيناهم على الجدار ليقفوا بسهولة، داعمين أصابع أقدامهم بحجارة صغيرة. وبدوا رائعين على ضوء المصباح اليدوي. استغرق منا الأمر حوالي ثمانية عشر شهراً لإصلاح تلك الرفات، لأننا لم نستطع الذهاب إلى هناك إلا في الليل. ولكننا تمكنا من إتمام الأمر في

نهاية المطاف، وصار أولئك الإنجليز العشرة حراساً لهذا المكان أفضل في وفاته مما كانوا عليه في حياتهم. النازيون يخافون من الأشباح في إنجلترا.  
هل تعلم ذلك؟".

"أنا أعرف أنهم يخافون ستونهنج. نعم، إنه مكان جيد، أين يقع مخبؤك.  
وماذا فعلت مع الطفل؟".

"دفناه. وكان هيكله العمسي صغير جداً. سحبناه خارجاً من الفتحة الخلفية ودفناه غير بعيد. على الأقل دفناه معتقدين أنه كان صبياً إنجليزياً، ولكنني متشكك بعض الشيء الآن. كان هناك بعض الشعر الطويل، وليس بالضبط على رأسه. أعتقد أنها قد تكون طفلة صغيرة. حسناً إذًا، ثم صنعت درعاً خشبيةً كبيرة أو باباً للغرفة الصغيرة في الخندق ونقلته إلى هناك في أجزاء وصبغته بلون موحل. ليبدو تماماً مثل بقية الخندق تحت ضوء المصباح. لذا، هناك سوف أخفى الكتاب. النازيون لن يعثروا أبداً على المكان نفسه، لأنهم لا يحبون التفتيش قرب ستونهنج، وليس هناك شيء للبحث عنه هناك. وإذا وجدوا المكان، فلن يعجبهم أولئك الجنود الكالحين وهم متأهبون قرب المدخل. سيقولون فقط "يا، هتلر!"، ويتركوهم هناك، دون مساس في Heilige Deutschland . وحتى لو تجاوزوا الجنود فلن يجدوا الغرفة الداخلية".

"وماذا عن صديفك، توم؟ هل هو جدير بالثقة تماماً؟ وهل يعلم غيره بالأمر؟".

"كلا، لا أحد. على ما أظن، سيأتي الوقت الذي ستكون فيه الثقة في متناول اليد. ولكن ليس في وقت نحن فيه جميعاً غير مؤمنين بهتلر فقط نغني "أرسل الرب ملکنا" مع حلول الليل. يجب علينا أن نفعل أكثر من

ذلك. لذلك أنا لم أخبر أحداً.

"وماذا عن توم؟".

"توم جدير بالثقة للغاية. إنه ميت. اشتباك في عراك مع بعض النازيين في الثكنة، وركلوه حتى الموت".

"ياه!" قال الفارس.

"يجب أن تكون مسؤولاً بذلك. كان توم خائناً حقيقةً".

"حسناً، أنا لست سعيداً بذلك. وقد كان فتي شجاعاً، والفتيان الشجعان لا يجب أن يركلوا حتى الموت".

"أوه، حسناً، كان ذلك منذ وقت طويل" قال ألفرد.

"توم لم يحمل أي حقد. كان لعين التفكير، وكان سيود أن يركل مساعد الفارس في سالزبورى حتى الموت خمس مرات، ليبدأ بعافية مثالية في كل مرة. لكنه كان فتي لطيفاً. يا للمتعة التي تقاسمناها مع تلك الرفات البائسة! كانت لهم أسماء جميعهم، وضحكتنا عليهم، فكرنا فيما كانوا عليه عندما كانوا أحياء. حتى عمتنا الفظاظة والبؤس".

"كيف تظن أنهم ماتوا؟ كيف وجدتهم؟".

"ملقون فقط. كانت الطفلة قد ماتت ورأسها على كتف رجل ميت. على الأقل لم يكن قد تحرك بعدها. لم نجد كسرأ فيها، باستثناء الملك نو سمو، الذي تعرض أعلى رأسه لضربة".

"الملك نو سمو؟".

"نو سمو كنغ . نوسمو ملكتنا. الملك نو سمو. مثل الملك ألفرد".

"هل هذه مجرد مزحة إنجليزية نموذجية؟ أنا لا أعتقد أنها مضحكه للغاية".

"إنها مضحكه بالنسبة إلينا. وقد كدنا نختنق تقريباً لأننا لم نجرؤ على الضحك بصوت عال جداً، في حال كان شخص يسير في الأعلى، وأمكنه أن يسمعنا. وكان الملك نو سمو هيكلنا العظمي المدلل، وكان يبدو الأكثر شناعة فيهم بسبب رأسه. أما الآخرون فأعتقد أنهم ماتوا بالغاز أو من المرض".

"حسناً، في الحقيقة يبدو مكاناً آمناً إلى حد ما، وإن لم يكن بربع آمان أن تكون فارساً وتوصد على الكتاب في درج طاولة مكتبك. ولكن ماذا عن المسيحيين في المنطقة؟ هل هنالك الكثير منهم؟ إنهم دائماً يحومون ليلاً ويضعون الأفخاخ ثم يأخذونها".

"هناك بعض المسيحيين في أميسبورى".

"هذا قريب جداً. سيكونون في الخارج وراء الأرانب والأرانب البرية في المنحدرات".

"حسناً، أنا أعرف، لكنني لا أعتقد أنهم قد وجدوا المكان في أي وقت مضى. كما ترى، لا يمكن للمرء أن يجده بطريق الخطأ، إذا جاز التعبير، والأكثر من ذلك. عندما سقطت من خلالها ارتصت الطبقة الطباشيرية بحيث لا يمكن لأحد أن يقع مرة أخرى. الحفرة التي تكونت لا تبدو وكأنها تؤدي إلى أي مكان. الحفرة الأخرى دائماً مسدودة إلا إذا كان شخص في الداخل. وقد سدت بحجر كبير جداً كي يقدر صبي على تحريكه. وقد أرهقني شخصياً تحريكها. إنها قطعة كبيرة من ذلك الحجر المهجور خارج الجزء الرئيسي من ستونهنج الذي تحطم كلية".

"أنا أعرفه" قال الفارس. وأضاف "لابد أن ذلك الحجر تعرض لضربة مباشرة بقنبلة أو قذيفة".

"لذلك لا يبدو حقاً من الغريب جداً لقطعة صغيرة نسبياً أن تكون أبعد قليلاً من الكتل والشظايا الأخرى. لقد سحبناه في ليلة واحدة. وأأمل أنه سوف يحرس الكتاب كما فعل ما كان من المفترض أن يفعله عندما كان واقفاً ومنضمًا إلى الحجر الكبير".

"هل يخاف المسيحيون من ستونهنج؟".

"لا ولكنهم خرافيون في أشياء أخرى. إذا وجد أحدهم المدخل الأمامي فلن يحب مثل أولئك الجنود القدامى. وإلى جانب ذلك، حتى لو عثر المسيحيون على الكتاب وكل شيء فإنهم لن يفعلوا أي شيء حياله. لا يمكن لأي منهم القراءة. وسيظنون أنه إما مخبأ إنجليزي أو خبيثة نازية لما، وسوف لن يتدخلوا أو يقولوا الكثير حول هذا الموضوع. المسيحيون يتزمون بصرامة بشأنهم الخاص - الصلاة إلى يسوع، والحداد على الخطيئة والصيد غير المشروع، نحت الخشب، وصنع الصافرات والسلال، وتخمير العلاجات العشبية والانحراف في الشراء والبيع غير المشروع مع المقيمين المستقبليين في البحيرة النارية".

"نعم" قال الفارس: "أنا ممتن جداً أنه قد ثبتت دائمًا استحالة منع جميع عمليات التداول مع المسيحيين". ثم نهض وفتح باب خزانة صغيرة في الحائط، وقال: "لدي هنا أفضل مجموعة من الصفارات المسيحية من أي فارس في الوطن. عندما أصبح ميتاً وتوول ممتلكاتي إلى الدولة، سيحس متغصب ما نفسه مضطراً إلى حرقها كلها. سيكون ذلك جريمة كبرى. لدى صفارات في كل نغمة، وليس هناك ألمانية واحدة فيما بينها. يجب أن

يكون للمسيحيين طريقة سرية لمعاملة الخشب قبل صنع الثقوب التي تعطي الصافرات تلك النغمة الغريبة الحلوة التي تشبه نغمة الطيور. إنها آلة موسيقية بدائية رائعة. هناك نوع من الموسيقى لا يمكنك مطلقاً أن تعزفه بصورة مرضية على أي شيء آخر. استمع إلى هذه".

اختار الفارس إحدى الصافرات وصرخ لحناً بسيطاً وعذباً عليها.

"أسمع، يا أفراد؟ هذه ليست الموسيقى البدائية، ولكنها فكرة رجل ورأسه مليء بأغاني الطيور. لذا الصافرة المسيحية هي الأداة المناسبة. لا يمكن لعنديب - ولا لشحرون - أن يغني بأكثر عذوبة وصفاء. أنت تعرف موسيقى الطيور ما نسميه خطأ سيمфонية سيغفريد لفاغنر؟ وهي ليست سيمфонية على الإطلاق، ولكنها أوبا،طبعاً".

"نعم، أنا أعرفها".

"موسيقى الطيور تلك يجب أن تعزف دائماً على صافرات مسيحية. ويمكن القيام بها بشكل جيد تماماً. وهي لا تناسب الآلات الأكثر تطوراً، أكثر مما يتناسب صوت طائر مع أي شيء آخر في العالم. إنه مجرد كونها طيوراً، غير منسجمة، مذهبة ولذيدة. ولكن للأسف لم يسبق لي أن تجرأت على اقتراح حتى أنها ينبغي أن تُجرب. هناك أشياء كثيرة قد يرغب أي رجل عاقل في القيام بها والتي لا يمكن اقتراحتها. أشياء كثيرة". أعاد الفارس آسفاً الصافرة إلى الخزانة وأغلقها. "كيف حصلت على جميع الصافرات يا سيد؟ لا يمكنك أن تذهب إلى النازي الوسيط وتقول له: "اجلب لي صافرة مسيحية في نغمة دو الكبرى".

"كلا، كلا. رجالي جلبو لي الصافرات. بين الحين والآخر وعلى فترات طويلة، يبلغني رجل أن لديه صافرة. أبعث له، وأنا أقول له: "أنت متأكد

من أن هذه صافرة ألمانية؟ ويقول، نعم إنه على يقين من ذلك، لأنه يعرف الرجل الذي صنعها. ثم أسمح له بالعزف، وإذا تبين - كما يحدث أحياناً أنها ناشزة مع اللحن - وأنها صافرة ألمانية، أعيدها إليه. ليست النغمة ما أريد. فذلك صبياني جداً وغبي، لأنهم جميعاً يعرفون أنني لنأشتري أي شيء إلا صافرة مسيحية، وواحدة جيدة في ذلك، ولكن يجب الحفاظ على الشكليات. وبطبيعة الحال، فإن جمع الصافرات المسيحية هو خطأ وخروج عن الدين. ويفترض بي ألا أسمح بمثل هذه الأشياء النجسة داخل بيتي. فأنا بذلك أشجع بشكل مباشر التجارة مع المسيحيين التي من واجبي كفارس إيقافها تماماً. لكنهم يغفرون لي كل ذلك الجزء. بسبب أنهم رجال مسيقيين، ولأنني من عائلة فون هيس. عندما كنت بعيداً عن المنزل في الخدمة الخارجية في إنجلترا وبلاد فارس وفرنسا ومصر كان علي أن أكون أكثر حذراً، ولكن هنا، رغم أنني على مسافة بضعة أقدام من المدينة المقدسة، أفعل ما يحلو لي. الأرستقراطية الإقطاعية، عندنا هي في الشعور بالإقطاعية، بما لديها من مزايا كبيرة".

"نعم، بالنسبة إلى الفارس" قال ألفريد مبتسمـاً.

"وحتى إلى النازيين أيضاً".

"في الاحتفاظ بهم أولاداً وعدم السماح لهم أن يكونوا رجالاً"، لا يمكن أن يكونوا رجالاً في حين لا يزالون تحت طائلة الانضباط من أي نوع. لا يمكن أن تكون رجل نفسي لو أقسم على الطاعة العمiae للفوهرر، وعنيت ذلك حقاً. ولكن من ليسوا رجالاً، أولادي النازيين البافاريين، هم أفضل حالاً في ظلي منهم تحت فرسان الجيش والرقابة. هذا انضباط بارد، غير مبال، إنه عندي حكم الأب. حتى يمكن للرجال حكم أنفسهم، والأب هو الشيء الأجرد بأن يطاع بصورة عمiae أكثر من الحكومة".

"إن ذلك يعتمد على الآباء. جميع الفرسان، كما أظن، هم ليسوا مثلك، حتى في مناطقهم الخاصة".

"كلا، قد يكون هناك آباء سيئون، قساة القلوب، وغير محبيين وظالمين، وأكثر قسوة مما يسمح به ديننا. ولكن الحكومة يجب أن تكون من دون قلب".

"ولكن ليس بالضرورة أن تكون ظالمة. يجب أن تكون الحكومة هي النازيين أنفسهم".

"ماذا، كلهم؟".

"كلا، المختارون منهم".

"ومن الذي يختارهم؟".

"النازيون".

"ومن الذي سيكون الفوهرر؟".

"المختارون هم من يحددون الفوهرر".

"فكرة الآن فيهم كإنجليز وليس كألمان، لو كانت إنجلترا حرة، أكنت ستقسم على الطاعة العمياء لأي رجل، دائماً، حتى لو كان قد تم اختياره من قبل الإنجليز؟".

"كلا، بل أرجو أن أكون أنا القائد".

"بدون معرفة أي شيء عن الديمقراطية وجدت العيب في ذلك. في ظل نظام ديمقراطي لا يوجد رجل له شخصيته ويكون على استعداد للتخلي عن حقه الخاص في الحكم، ولأنه لا يستطيع الثقة العمياء بقائده، عارفاً

أن سيكون من نفس طينته، فيجب أن يكون هو نفسه القائد. لذا تصير الحكومة صعبة للغاية. لأنه في حين أن هناك العديد من الرجال ذوي الشخصيات المستقلة، والديمقراطية تشجعهم، وهناك أيضاً كتلة كبيرة من الرجال الأضعف، الذين يجب أن يقال لهم دائماً ما يجب وما لا يجب عليهم القيام به، ولا يمكن الوثوق بهم للعيش بصورة صحيحة من دون قوانين. ولذلك نهاية الديمقراطية، كما يقول فون هييس، هي نفسها دائماً فهي تنهار إلى حالة من الفوضى، ويخرج من الفوضى نوع من الحكم الاستبدادي، والفوهرر، حكم الأقلية أو الحكومة بواسطة الجيش، أو شيء من هذا القبيل. الآن أنا لست أزدري الديمقراطية كثيراً مثله، لأنني شاهدت الأضمحال الطبيعي في نهاية المطاف للحكم الاستبدادي، وهو الركود الكامل. ولكنني ما زلت لا أرى كيف يمكن جعل الديمقراطية تستمر طويلاً بما يكفي لصنع الشخصية المستقلة في عدد كافٍ من الناس. وسيكون ذلك مشكلة أحفادك، يا أفراد، لأنه حالما تظهر الحقيقة إلى العالم فشكل الحكم السلطوي حتماً سينهار". كان أفراد يستمع باهتمام كبير، مقطب الجبين من التركيز.

"أنا لا أعتقد أن الناس يجب أن تحذف -ماذا أسميتها؟ الديمقراطية، لمجرد أنها صعبة" قال "يجب أن يكونوا على يقين من أنها صحيحة حتى يتمكنوا من مواجهة أي صعوبات. إذا ثابروا عليها فستصير أسهل وأيسر، بعد بعض الوقت. هل قاموا فيما مضى بتجربتها لفترة طويلة جداً؟".

"حسناً، كلا، بسبب خطر الحرب. لا يمكن للجنود أن يكونوا من الديمقراطيين، وكانت الجيوش، حتى جيوش الدول الديمقراطية، دائماً تسلطية".

"لا يمكن للجنود أن يكونوا رجالاً ذي شخصيات مستقلة، بالطبع" قال

الفرد. "لا يمكنهم أن يكونوا رجالاً. يجب أن يكونوا دائمًا أولاداً. رأيت ذلك دائمًا".

"مرة أخرى وجود الحكومة الاستبدادية وراء الجيش السلطوي يعطي الأمة ميزة هائلة في زمن الحرب. عندما تهدد الدول الديمقراطية بالحرب، فر تصاب بالذعر من عاهاتها الشديدة، ويصير فقدان الثقة في شكل الحكومة أمراً لا مفر منه".

"إذاً، ما تعنيه حقاً هو أن الديمقراطية صعبة جداً بحيث لا يمكن المثابرة معها عندما يتحمل أن الحرب ستحدث، وليس في الواقع أنه من الصعب جداً للبشر للتعامل معها".

"أتوقع أن هذا ما هي عليه".

"وهناك شيء آخر. هل سبق وأن بدأت ديمقراطية في أي وقت مضى في مجتمع، أو أمة، حيث كان الرجال حقاً على قدم المساواة، لا أحد في الأساس وبشكل قاطع متفوق على أي شخص آخر؟".

"أعتقد أنه من غير المرجح ذلك. فقد ظهرت الديمقراطيات من أستقراتيات تهاوت".

"لكن كما ترى نحن سوف نبدأ تماماً من الواقع. في ألمانيا سيكون هناك عدد من الفرسان الساخطين، معتبرين على فقدان أو تقاسم امتيازاتهم. ولكنهم لن يكونوا بينما حالما تنهاي الإمبراطورية. كل الإنجليز دونيون جداً في نظرك بحيث يتساوون، نحن نشعر أننا متساوون في تقديرنا الخاص أيضاً. لا توجد طبقة، كما هو الحال في ألمانيا. هناك فقط الرجال الذين يستطيعون القراءة والرجال الذين لا يستطيعون. وهذا لا يهم حقاً".

"كلا، عندما لا يكون هناك شيء للقراءة سوى كتاب هتلر المقدس والأساطير السخيفة حول الأبطال والكتب التقنية، يكون للأمية أهمية مختلفة تماماً عن تلك التي كانت في الزمن القديم. الصبي الذي يُعد ليكون فنياً يتعلم التكيف كجزء من وظيفته، وذلك لا يسبب الغيرة بين أولئك الذين لا يريدون أن يكونوا كذلك، أو لا ينفعون ليكونوا فنيين. يُقرأ لهيرمن الكتاب المقدس في الكنيسة، وهكذا يريح عينيه. وهناك مزايا في عدم القراءة. هيرمن يرى أكثر بكثير مما تفعل. إنه يلاحظ أشياء عن الطقس، عن الطبيعة، عن الحيوانات، وجميع الحركات والجوانب المتغيرة للعالم الذي يعيش فيه لن تكون كما تراها أنت أبداً. العين والدماغ الأمي يختلفان عند من يجيد القراءة والكتابة، ولكن ما لم يكن الرجل معتوهاً، فهما بطريقتهما بنفس الجودة. إنها ليست فقط في كون هيرمن عامل المزرعة. لقد لاحظت نفس الشيء في عمال المصانع الأميين الذين يتولون الأجهزة البسيطة. إنهم يرون الأشياء بشكل مختلف. ولكن سيكون عليكم تعليم رجالكم الشباب القراءة، يا أفراد. عليهم أن يقرأوا فون هييس بأنفسهم".

"فرد يستطيع القراءة، ويتكلم بألمانية طفولية، لكنه لا يعرف الكثير من قواعد اللغة حتى الآن".

"يجب أن تعلّمهم القراءة بالألمانية. فون هييس ليس صعباً. ولكن لا تحاول أن تفعل أشياء سريعة جداً. لا يسوع ولا هتلر ولا أفضل تلاميذهم يمكنه تحويل أوروبا أثناء حياتهم. إذا تمكنت من جعل عشرين رجلاً يفهمون حقاً قبل أن تموت، تكون قد أبليت بلاء حسناً".

"أنا لا أفهم أشياء عن يسوع. من أين جاء اليهود؟".

"كانوا شعيراً يعيش شرق المتوسط، وهم ليسوا زوجاً، ولكنهم سمر

البشرة، وهم يبدون كالعرب".

"وأين هم الآن؟".

"لا وجود لهم الآن. إما ذابوا في أمم أخرى أو مُحيوا. كان قد بقي القليل منهم في زمن فون هييس. قُتل يهود فلسطين، وذبحوا حتى آخر رجل وآخر طفل، عندما احتل الجيش الإمبراطوري الألماني القدس. وتم قتل اليهود الألمان في مذابح مختلفة أثناء وبعد حرب السنوات العشرين. تعرض اليهود في البلدان الأخرى للمضايقة أولاً من قبل حكومات الحرب الاستبدادية المعادية للسامية في تلك البلدان، قبل غزو ألمانيا لهم، حيث تدنى عددهم إلى حد كبير، ومن ثم تعرضوا للمضايقة من جديد من قبل جيوش الاحتلال الألمانية. ولكن كيف اختفت آخر بقائهم، أنا لا أدرى. حدث ذلك بعد زمن فون هييس، كما فعل عزل العدد القليل من أتباع يسوع المخلصين. نهاية المأساة اليهودية ابتلعوا ظلامنا. كان كثير من الرجال من أصل يهودي، وخاصة في روسيا وأمريكا وإنجلترا حيث اختلطوا أكثر مع السكان الأصليين، ولكن لم يعد يوجد الآن يهود بمفردتهم. كانوا شعباً سيئ الحظ".

"بعد أن قتلوا يسوع؟".

"كلا، بل دائماً. استعبدتهم المصريون، ثم البابليون، ثم الرومان. ثم جرت مذبحة القدس والشتات (الأمة كلها ذهبت إلى منفى دائم)، ثم الاضطهاد المسيحي. وبالكاد توقف اضطهاد المسيحيين، والذي كان وراءه دافع ديني، حتى بدأ الاضطهاد العنصري. وبالكاد استطاع جزءٌ قليل من اليهود إقامة منازل جديدة في منازلهم القديمة في فلسطين، دفع الألمان الإمبراطورية إلى هناك وقتلوا جميعهم".

"لماذا يكرههم الجميع بهذه الدرجة؟".

"أنا لا يمكنني أن أفهم لماذا" قال الفارس. "فون هيس لا يعرف. في زمنه كان هناك القليل جداً منهم كي يرغب أي أحد في أن يفعل شيئاً أكثر من أن يحتقرهم ويتركهم وشأنهم. وخلت ألمانيا منهم في ذلك الوقت. قرأ فون هيس الكثير عن اليهود، لكنه قال إنه حتى في أيامه لم يكن من الممكن حقاً أن نفهم معاداة السامية. كانت لديهم خصائص غير سارة مثل جميع من يتعرضون للاضطهاد المستمر ويشعرون كالأجانب في البلد الذي يعيشون فيه، ولكن كانت لديهم صفات رائعة. كانوا شجاعاً متحمسين لو حدث وبدأوا القتال. وقد قاوموا ببسالة تيتوس، وقاوموا الجيش الإمبراطوري الروماني. فكافأهم تيتوس بالصلب، وبشكل أكثر رحمة نضحهم بالنبل والنهال عليهم بالهراوات. أعتقد أن العالم كله، وليس الألمان فقط، كان خائفاً من اليهود بطريقة ما. ولكن فون هيس لم يشعر بذلك الخوف، ولذا لم يتمكن من فهم الكراهية. الآن لم يعد أحد يخاف أبداً من المسيحيين. ونحن ننظر إليهم كما ننظر إلى حيوانات برية. إذا صاروا متواشين نقوم بإطلاق النار عليهم، ولكنهم غير مؤذين ويمكن تركهم لوحدهم".

"هناك القليل جداً منهم. لكنهم عندما كان كثراً وكانوا يبشرون بيسوع ضد هتلر، ألم يكن الرجال خائفين منهم؟".

"أنا لا أعتقد ذلك. ليس بنفس الطريقة. يقول فون هيس إن المسيحيين في وقته كان معظمهم غير متمسكين بدينهم. وكانت ألمانيا غير مسيحية، كانت بلا دين إلا التفاني في سبيل ألمانيا، وكان جزء كبير من الأعراق الخاضعة مسيحي فقط بسبب أن ذلك كان مضاداً لألمانيا. كان هناك قساة فيما بينهم؛ المسيحيون موجودون في كل مكان في أوروبا، حتى في ألمانيا، إلا أن الغالبية ليسوا متزمتين دينياً. الآن يبدو أن اليهود كانت لهم دائمًا نية

حسنة بأن يكونوا يهوداً، ويحتווون في حياتهم اليهودية شيئاً مهدداً جداً. ولكنهم بعدها صاروا مجرد عرق، وليس ديناً فقط، بل ربما دماً كما قد أقول. أحياناً، وربما جاءت المسيحية في وقت مبكر جداً. ربما كانت صعبة جداً، مثل الديمقراطية. فون هيس، حين يكتب من جانبه العسكري المتعالي يحتقرها. ويقول إنها دين مخنث".

"ماذا يعني ذلك؟".

"مثل المرأة".

"كيف يمكن لدين أن يكون مثل المرأة؟".

"إنه يجعل الرجال كالنساء".

"لا يمكنه ذلك أبداً. أوه، حسناً - لكنني أعتقد أنه ربما كان هيرمن كذلك - أوه، نعم، أفهم ذلك. ذلك لأن النساء كن أكثر شبهأ بالرجال. ولكن باكراً جداً؟ هل تعني أن المسيحية ستعود مرة أخرى؟".

"أنا لم أقل ذلك. ولكن رفض الحرب يجب أن يأتي مرة أخرى. أعني الرفض الوعي، وليس هذا التجويع القسري الكئيب. الآن سيقول فون هيس إنه عندما بدأ الكتابة كان يرى أن أي رجل ينفي المجد والخير والإحسان عن الحرب هو مخنث، ويعني هذا، أنه كالمرأة".

"حسناً" قال أليكس، "لو كان معي هنا، مع احترامي لحضوركم، أيها النبيل، لقطعت رأسه".

ابتسم الفارس، ثم تنهد.

"سوف أفتقدك، يا أليكس. وسأفتقد فون هيس، وعلى أن أشهد التحقيق الرسمي لأحد النازيين التابعين لي. إنها نهاية بائسة لحياة رجل عجوز.

حسناً، ها نحن وصلنا. انتهي الوقت".

أخرج الفارس من مكتبه طرداً فخماً جداً مغطى بالأختام، ومعنون بعنابة  
فائقة بخط ألماني دقيق:

من فريدريك فون هييس، فارس هونلندن في بايرن ميونيخ، إلى النبيل فيلهلم فون اودنلوه، فارس جلوستر في إنكلترا، على يد الساعي، أльفرد، اي.دبليو 10762، الحاج الإنكليزي إلى ألمانيا.

حدق الْفَرِدُ فِيهِ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

"الصورة داخل الكتاب" أوضح الفارس. "أنا لم أضع الكليشيه معها. فقد ينكسر. تلك الطبعة جيدة لمئات من السنين إذا أبقيتها بعيداً عن الضوء الشديد، وقبل ذلك الوقت قد يستطيع شخص ما صنع كليشهيه جديد منها. إنها ليست بنفس أهمية الكتاب، ولكن لها أهميتها".

"ولكنك يا سيدى قلت إنك في طريقك إلى حزم الكتاب. هل تعنى أن على الذهاب الآن بصحبة الكتاب؟".

"نعم. ولكن لم أكن أريد أن أفسد حديثنا الأخير بأفكار الفراق".

"ولكن لماذا لا يمكنني أن أعود مرة أخرى؟ أنا لا أفهم الأشياء تماماً حتى الآن. أنت تقول إنك تستطيع أن تفعل ما تريده".

إلى حد ما. ولكن عندما يعرف الآخرون ما سوف يحدث الليلة، وأن هيرمن قد ذهب إلى السجن، عندها لا أستطيع أن أراك أكثر من ذلك. لأنهم سيعرفون بعد ذلك لماذا ذهب هيرمن إلى السجن، وأبني، كفارس، منذ هذا المساء في نوع من الحداد المخزي لكون واحد من رجالي، وهو نازي معروف لي شخصياً، يتم تحقيره. ولا يمكن أن تتوقع مني بعد ذلك إيلاء أي

اهتمام بإنكليزي، مهما كنت مجذوناً، وإذا واصلت فعل ذلك فستحوم حولي شبهات قاطعة عن شيء غريب في هذه القضية برمتها. هل فهمت ذلك؟".

"أوه، نعم. لكنه مزعج جداً. أنا لن أكون قادراً وحدني على فهم الكتاب".

"يقول فون هيس إن أي رجل متوسط الذكاء يستطيع فهمه. ولو كانت هناك كلمات لم تعد مستخدمة، قد يكون هناك بعضها، فعليك تخمين معناها من السياق. ربما يكون هيرمن قادرًا على مساعدتك في البداية بالقليل من الألمانية التي لا يمكنك فهمها. ولكن، ورغم أن لغتك الخاصة هي البريطانية مع الأسف، فالواقع أن إجادتك للألمانية ستكون جيدة جداً".

"ليست بمثل جودتك في اللغة الإنجليزية. أوه، يا للأشياء التي يفترض أن أسأل عنها! لم أفكر بهذا لأنني أعلم أن كل الأمر يدور حول هيرمن. هل يمكنني أن أنصرف الآن مع هذا الطرد تحت ذراعي؟ وبالطبع لا يمكن أن آتي مع هيرمن الليلة لأنه سوف يدلني لك باعترافه الكريه".

"كلا لا تستطيع، ولكن يمكنك الخروج الآن مع الطرد، وأن ترى للقرية بأكملها إذا كنت ترغب، على الرغم من أنني لا أصدق أن تفعل ذلك، ومن ثم أعتقد أن من الأفضل لك الحصول على كيسك والمشي إلى أي مكان آخر، إلى ميونيخ، على ما أعتقد. يجب عليك إتمام الحج بشكل صحيح. كما ترى، لقد فعلت كل هذا بقلب مبتهج لأن كل ما نعرفه حتى الآن هو أن هيرمن قد قتل خطأ الصبي الذي أقسم أنه كان يتعامل مع فتاة مسيحية. ولكنني بعد الليلة لن أكون مبتهجاً، أكثر من ذلك، وسأكون كما لو كنت بدأت رحلتك، وفصلت نفسك عن شؤوننا".

"أنا لست فرحاً الآن" قال أفراد. "أيمكنني أن أقول وداعاً لهيرمن؟".

"كلما كان فرّاكما علنياً ومؤثراً كلما كان ذلك أفضل. وإذا جعلت هيرمن ينتحب سيكون أمراً ممتازاً. إنه يجهز نفسه كي يأتي الليلة مع حكايته المروعة."

ظل الفرد واقفاً، والحزمة الثمينة تحت ذراعه. وهو يحدق في الفارس باهتمام، كما لو كان يحاول أن يصنع له صورة فوتوغرافية واضحة في ذهنه. ثم تنهد، ونظر مباشرة إلى أسفل المكتب.

"عندما كنت شاباً" قال "اعتدت أن أخرج الصغير فرد من الحضانة في وقت فراغي، وأن آخذه للتجول حول نهر أفون أو في مكان ما، وكنا نلعب لعبة: أنا أحب حبيبي بحرف (أ) لأنه الفرد. وأنا أكرهه بحرف (أ) لأنه أبله، أو مزعج، أو أهوج، أو شيء بنفس السوء، كما ترى، وبعد ذلك يقوم فرد الصغير بنفس اللعبة معي. خلال كامل الأبجدية، وأحياناً باللغة الألمانية، لأعلمه بعض الكلمات".

نظر الفرد إلى الفارس مرة أخرى.

"أنا أحب حبيبي بحرف (أ)" قال ببطء، "لأنه أطيب. وأنا أكرهه بحرف (أ)، لأنه ألماني. إذا كان بإمكانني تذكّر وجهك فقط والشعر وشكل لحيتك، وعينيك، وأن أنسى السترة الزرقاء والرداء، وذلك الصليب المعقوف الفضي على الياقة البيضاء! لقد سببتم لنا ضرراً كبيراً جداً، لأنه الآن لن يمكننا حقاً أن نحب، كما نود، حتى أفضل ألماني، ولا حتى أفضل رجل، إذا كان عليه أن يكون ألمانياً، في هذا العالم".

"حسناً" قال الفارس بسعلة خفيفة "أوافق على أن ذلك أمر مؤسف. ولكنك تفكّر كثيراً فيّ يا الفرد. أنا لست أفضل رجل، أنا مجرد رجل ذي مزايا خاصة. رجل محظوظ، وذلك لا يثير الإعجاب. أنا أمر الحظ لك وأأمل ألا

يقتلك إلى اللقاء إذاً".

ومد يده، فصافحه الفرد، متسائلاً كم من القرون العديدة مرت منذ أن عومل إنجليزي بمساواة من فارس جرمانى. جلس الفارس مرة أخرى، وقال: "انتباه. على استدعاء هاينريش".

تبسَّ أَلْفِرِدُ فِي وَقْتِهِ يَحْدُقُ فِي الْفَرَاغِ فَوْقَ رَأْسِ الْفَارِسِ حَتَّى جَاءَ هَاينرِيشُ.

"سيدي" قال محيياً الفارس.

"خذ هذا الرجل خارجاً، وأبلغ مساعد الفارس بأنني على استعداد لرؤيته الآن".

"حاضر يا سيدي" قال هاينريش.

وحيا الفارس هو وألفرد، لكن أَلْفِرِدُ مشى وهو يجر قدميه بطريقته الإنجليزية جداً، ورأسه يدور على كتفه. لم ينظر الفارس إليه. كان يضع يديه النحيلتين العجوزين أمامه على المكتب، وهو يحدق في خاتمه.

انتهى

**مكتبة ميزوبوتاميا**

**@Mesopotamia1972**